

رسالة لكل مسلم ومسيحي

# الجوانب الخفية من حياة المسيح

أسرار تنشر لأول مرة عن المسيح

ناصر المنشاوي



اسم الكتاب: الجوانب الخفية من حياة المسيح

اسم المؤلف: ناصر المنشاوي

تاريخ النشر: يناير ٢٠٠٣

رقم الإيداع: ٢٠٠٣ / ١٧٥٠

التسجيل الدولي: I.S.B.N. 977 - 5740 - 20 - 7

حقوق الطبع: والنشر والترجمة محفوظة للمؤلف

عنوان المؤلف: ج. م. ع. - الفيوم - فيديمين

تليفون: + ٢٠٨٤٥٥٣٥٥١

تليفون: + ٢٠١٠٥٤٦١٢٦٨

البريد الإلكتروني: Nass\_ELmensch@hotmail.com

## إهداء

### سيدي المسيح :

لقد اختلفوا فيك ، وفرقوا دينهم وكانوا شيعاً ، فبعد أن جثتهم بالتوحيد الخالص ديناً قيماً ، دين الحق ، إذا به يتعرض لغواشى من التعدد والتثليث .

### سيدي المسيح :

لقد اشتقت المسيحية من اليهودية ، واليهودية صارمة في عقيدة التوحيد ، فإن الطريق الذي صار من أورشليم - مجمع تلاميذ المسيحية الأوائل - إلى نيقية - حيث أقرت عقيدة التثليث كان من النادر القول بأنه كان طريقاً مستقيماً .

### سيدي المسيح :

على الرغم مما كان - وهو كثير وخطير - فلقد بدأ يظهر في الآفاق ما ينبىء بحتمية العودة إلى تعاليمك الأولى التي قلت فيها للقوم : ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ {المائدة : ٧٢} أو بنص الإنجيل : «الرب إلهنا رب واحد» .

ياسيدي . . لك منى الكثير والكثير من التعظيم ، والطيب من التحيات والتبجيل ، ولك منى هذا الإهداء ، وإلى لقاء يرتجى في ظل من وسعت رحمته كل شيء - لقاء - عسى أن يكون قريباً .



## تهـيد

أخى القارىء العزيز - إن كنت لاتعرف عبرية التوراة أو يونانية الأناجيل ، لا أريد لك أن يفوتك شىء من حلاوة بحث أريد أن أحبره لك تحبيراً ، أريد منك أن تشتط على توثيق ما أحدثك به ، فلا أكيل لك القول جزافاً أمنأً ألا تكشف زيفى لأنك لاتعلم شيئاً من أمر تلك اللغات التى ذكرت لك ، ليس هذا من العلم فى شىء ، وإنما هو من التدليس ، أريد منك أن تشتط على توثيق أن البشارة بخاتم النبیین محمد ﷺ مذكورة بالتوراة والإنجيل ، وأن تفسير أو معنى كلمة «يسوع» هى «المخلَّص الناجى» أو «الله خلاص ونجاء» أى أن الله مُخَلَّصُهُ وَمُنَجِّيه ، وأن معنى كلمة «مریم» هى «أمة الرب» وأن الذى صُلِبَ ليس المسيح بل «يهوداً» أو أحد الحواريين ، أريد أيضاً أن أدلك على الفترة التى تعرف بالثمانى عشرة سنة الصامته أو المجهولة من حياة المسيح ، والتى تمتد منذ أن بلغ الثانية عشرة إلى أن صار عمره ثلاثون عاماً ، إلى آخر مادبَّجْتُهُ لك فيما سوف يلى ، لاتقبله منى إلا إذا وثقتك لك ، ورجعت بك معى إلى مراجعى فيه ، فأنا لا أرضى لك متابعتى متابعة صماء فيما أحدثك به ، فُتُسلِّم لى بكل ما أقول ، تاركاً العهدة علىّ فيما أقصه عليك ، ولا أرضى لك أيضاً أن تقفز على التفاصيل سريعاً إلى نتيجة تشبّع لديك فضولاً ، ربما استثاره عنوان هذا الكتاب ، أى إلى معرفة مجمله غير مبال بالاشتقاق والتأصيل وكان هذا أو ذاك لايعنیک ، إن فعلت فسوف يفوتك الكثير ، لأن هذه التفاصيل لاتخلو من أسرار أريد أن أدلك عليها .

فأنا أريد منك أن تقرأ المقدمة ، وتقرأ المدخل «البحث اللغوى» سطرأً بسطرأً ، صفحة بصفحة وبعد ذلك تقرأ بقية الفصول بتؤدة ، ولاتترك متناً أو حاشية لأنها لاتخلو من فوائد جمّة ، وثق إننى لن أشق عليك بعون الله ، فقط عليك بالتؤدة والأناة ، وأنا ضامن لك بإذن الله ألا تمل .

فإن تكُ مسلماً فسبح ، وإن تكُ غير مسلم فتأمل . والله يهدى إليه من ينيب .



## مقدمة

ليس هذا بحثاً في علم مقارنة الأديان ولكن يعتبر هذا الكتاب واحداً من بين الكتب التي تشرفت بالكتابة عن المسيح ، سبقه الآلاف والآلاف وسوف يتبعه ماشاء الله من آلاف ، وأن الدين الإسلامي وخاصة القرآن معجز بذاته وكل مقارنة بينه وبين الكتب التي سبقته ظلم ظلوم ، وجهل مبین .

والمسلم - عربياً وغير عربي - يُسَلِّمُ بإعجاز القرآن تصديقاً لقول الحق سبحانه: ﴿ قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ [الإسراء: ٨٨]

وليس القرآن معجزاً بلغته فقط ، أى بحض لفظه وعبارته ، وإن كان قمة الإعجاز اللغوى لأهل العربية فى كل العصور ، مسلمهم وغير مسلمهم على السواء ، ولكنه معجز للناطقين بكل اللغات ، لأنه معجز بموضوعه ، معجز بمعانيه ، معجز بمهيمته على ماسبقه من الكتب ، وكلها غير عربى ، يُصَدِّقُهَا فَتَصَدِّقُ ، ويخالفها فيصدق هو .

والقرآن معجز أيضاً بقائله ، أى بصدوره مباشرة عن الله تبارك وتعالى ، فهو سبحانه فى كل القرآن القائلُ الْمُخَاطَبُ المُحَدِّثُ الراوى ، وليس لهذا نظير فى الكتب التى سبقت ، فيها من قول الله ، وفيها من غير قول الله ، فيها من قول النبى أو الرسول وأكثرها حديث الرواة عن النبى أو الرسول ، يستين لك هذا مباشرة من مجرد القراءة فى تلك الكتب ، غير محتاج فى إثباته إلى دليل من خارجها ، بل إن أصحاب تلك الكتب لا يجادلونك فى هذا ، وإنما يُسلمونه : التوراة كتابة الربانيين والأخبار بعد قرون من وفاة موسى عليه السلام ، والأنجيل منسوبة إلى الحواريين والآخذين عنهم بعد رفع المسيح عليه السلام ، وهم يُسلمونه أيضاً لأنه بين من عبارة الكاتب الذى يقول لك فى التوراة (كتاب موسى) : وقال الله لموسى . . . وذهب موسى . . . ومات موسى . . . الخ ، كما يقول لك فى الإنجيل (كتاب عيسى) : وتهلل يسوع بالروح . . . وانطلق يسوع . . . وعلمهم أن

يقولوا في صلواتهم . . الخ ، وهذا أشبه بالسيرة النبوية وكتب الحديث ،  
 لا تُسَلِّمُ إلا بعد تمحيص وتدقيق ، وأنت لاتجد في القرآن عبارات مثل : جاء  
 محمد . . ذهب محمد ﷺ ، تجد مثل هذا في السيرة النبوية ولاتجده في  
 القرآن ، ولكن أصحاب الكتب السابقة يؤمنون بأن كتبة التوراة والإنجيل كتبوا  
 ماكتبوه بإلهام من الله وبوحى من الروح القدس ، وأنت قد تسلم بالوحى للنبي  
 ولكنك لاتسلمه قط للرواة ، فهم لم يدعوه ، بل أنت تقرأ في «إنجيل لوقا» أن  
 الكاتب يقول لك إنه لم يكتب ماكتب إلا بعد جمع وتمحيص وتدقيق .

وليس من مقاصدنا المباشرة في هذا الكتاب الذى نكتب نقد المسيحية في  
 صورتها التى نقضها القرآن من قبل ، أعنى عقيدة التثليث والخلاص بالمسيح ،  
 فادى البشر بدمه المسفوح على الصليب ، فقد تكفل القرآن بالنقد والنقض معاً ،  
 وليس بعد القرآن مزيدٌ مُستزید ، الذى جاء بها ناصعةً بيّنةً فى جواب المسيح ربه  
 يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتكم قالوا لا علم لنا ، إنك أنت علام  
 الغيوب : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ  
 اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي  
 نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ \* مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ  
 اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ  
 عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿المائدة : ١١٦ - ١١٧﴾ وقوله عز وجل المتفرد  
 بالالوهية والملك : ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ  
 يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿النساء : ١٧٢﴾ .

ويدخل في الملائكة المقربين جبريلُ روحُ القدس صلوات الله عليه ، ثالث  
 الثلاثة في عقيدة التثليث . من هنا تستظهر أن المسيحية يوم رُفِعَ المسيح ليست هي  
 تلك المسيحية التى جادل بها أساقفة نجران خاتم النبيين ، التى صيغت أصولها فى  
 المجامع ، بدءاً بجمع نيقية عام ٣٢٥م ، بعد رفع المسيح بنحو ثلاثة قرون ، الذى  
 أله المسيح على البنوة لله ، ثم أعقبه بنحو خمسين سنة مجمع آخر فصل القول  
 فى ألوهية روح القدس جبريل فاكتمل الثالوث الأقدس ؛ الآب والابن والروح  
 القدس ، ثلاثة فى واحد .



ولكن مقولة المسيحيين في المسيح هي التي تفرض نفسها على كل بحث لغوي صرف يريد تحليل معنى علم المسيحية الأكبر ، عيسى بن مريم صلوات الله عليه ، كما سنرى ، وأيضاً لفظة « إنجيل » لأن مقولة المسيحيين في المسيح هي التي صنعت التفسير اللغوي الشائع لهاتين اللفظتين : « عيسى » - « يسوع » عبرياً ، « إنجيل » المقول بيونانيتها ترتيباً على يونانية الأناجيل .

والذي ينبغي التنبيه إليه فيما يلي من مباحث الكتاب أننا حين يُلجئنا موضوع البحث إلى النقد ، فهو النقدُ الرصين ، نريدُ به وجه الحق تبارك وتعالى ، فنختصم المقولة ولا نشجبُ القائل ، فالهدى هدى الله عز وجل ، ولوشاء لهدى الناس أجمعين ، ولله وحده الفضل والمنّ : ﴿ قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ { الحجرات : ١٧ } .

ومن فضل الله على المسلم أنه معصوم بعصمة الله عز وجل من الخوض في مقام أنبيائه : ﴿ لَا نَفْرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ { البقرة : ٢٨٥ } ولا تستقيم لغير المسلم مع المسلم حجة إلا بالخوض في نبوة خاتم المرسلين .

ومن فرائد إعجازات القرآن في غيوب القرآن قوله عز وجل في الآية التي تلوت توأ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ { الحج : ١٧ } ، أى سيظل من هؤلاء وهؤلاء فرق يفصل بينهم الله يوم القيامة ، يوم يجيء كلُّ أناسٍ بإمامهم .

أما أنبياء الله ورسله ، لانفراق بين أحد من رسله ، فسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

إن المسلم الحقيقي يجد في نفسه دافعاً إلى نصيحة البشرية جميعاً امتثالاً لما أمر به الله ورسوله في وجوب إبلاغ دين الإسلام للبشرية جميعاً ، ومن هذا المنطلق يحدث كثيراً أن نقوم بهذا الواجب لجيراننا من أهل الكتاب فيوجهون لنا هذا السؤال « أنت الآن تدعوننا إلى الإسلام وترك ديننا ، فهل أنت ترضى أن تترك دينك ؟ » والجواب سهل فلانترك نحن ديننا ولاترك أنت دينك الأصلي ، ولو

كنت تعلم أنت حقيقة دينك !! إذ نحن مقرون ومؤمنون أن دين الأنبياء كله واحد، ولو أن مسلماً واحداً أنكر نبوة أى رسول من الرسل السابقين - مثل موسى وعيسى لصار كافراً تاركاً لدينهم ، إذ أن كتبهم ورسلمهم مصرحة بضرورة الإيمان بالنبي محمد ﷺ ، فعدم انقيادهم لهذه الوصايا التي فى كتبهم هو ترك الدين الذى يخافون منه ، ونحن لو كانت عندنا وصايا بالإيمان بنبي آخر لما تردنا فى ذلك طرفة عين ، فلب المشكلة أن الإيمان بالنبي محمد ﷺ عندهم يعتبر ترك لدينهم !! والحقيقة أننا لانطلب منهم ترك شىء من دينهم الذى جاء به الأنبياء ، إنما نطلب منهم ترك ماشرعه لهم القساوسة والملوك فى العصر الرومانى وأن يؤمنوا بكل الرسل والرسالات ، وماعدا ذلك فديننا ودينهم واحد هو دين الأنبياء جميعاً .

ويتوقف الإيمان بصدق الرسالة - أى رسالة - على سبق الإيمان بصدق الرسول ، فأنت لاتستطيع مثلاً تكذيب التوراة (كتاب موسى عليه السلام) ، إلا وقد كذبت موسى من قبل شأن فرعون وقومه فى دعواه الوحي من الله تبارك وتعالى ، ولا تستطيع تكذيب الإنجيل (كتاب عيسى عليه السلام) إلا وقد كذبت عيسى من قبل فى دعواه البلاغ عن ربه عز وجل ، شأن آباء اليهود فى عصر المسيح ، وأنت لاتستطيع إنكار الوحي على القرآن (الكتاب المنزل على محمد ﷺ) إلا وقد كذبت محمداً من قبل فى دعواه النبوة والرسالة .

المكذب بالرسالة مكذب أصلاً بالرسول ، والمكذب بالرسول مكذب ضمناً بالرسالة عكس هذا - المصدق بالرسول المسلم بأن هذا الوحي من الله فهو لايستدرك على رسل الله ، وإنما يأخذ بما يلقون إليه من رسالات ربه أخذ المدعن المتبع ، المنصت الواعى ، يستمع القول فيتبع أحسنه ، شاكراً أنعم الله أن حباه بالمنة الكبرى فأسفر إليه يدعوه .

أما أهل الكتاب - أصحاب التوراة والإنجيل - فقد صدق اليهود بموسى فآمنوا بالتوراة ، وصدق النصارى بعيسى وموسى فآمنوا بالتوراة والإنجيل - أما المسلمون فقد صدقوا بمحمد خاتم النبيين المصدق لما بين يديه من كتاب ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى رسله أجمعين ، فآمنوا بالتوراة والإنجيل والقرآن .

والتصديق والتكذيب هنا أو هناك يدوران على التسلم بالوحي للرسول أو إنكار الوحي على الرسول : سلّم اليهود بالوحي لموسى وأنكروه على عيسى ومحمد ، وسلّم النصارى بالوحي لعيسى وموسى وأنكروه على محمد ، صلوات الله عليهم أجمعين ، وسلّم المسلمون بالوحي لرسول الله جميعاً لا يفرقون بين أحد من رسله .

لماذا آمنت طائفة ببعض وكفرت ببعض ؟ لماذا يكذب السابق اللاحق والوحي واحد جل جلاله ؟ هل يرون أن رسالات الله خُتِمت بنبيهم ؟ فأين النصُّ على مثل هذا في كتبهم كما تجده في القرآن على من خُتِمت به النبوة والرسالة ؟ ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ {الاحزاب : ٤٠} أم اكتفوا بكلمة الله على رسولهم فلم تعد بهم حاجة إلى من يليه؟ فهل أمروا بذلك أم أمروا بعكسه ؟ إذن كيف توالت النبوات تترى على بنى إسرائيل من بعد موسى ؟ لماذا آمن اليهود لموسى وقد آمنوا من قبل لكل من سبقوه ، من نوح إلى إبراهيم وإسحق ويعقوب وبنيه ؟ وكيف آمن النصارى لعيسى وقد سبقه موسى بالتوراة فيها هدى ونور ؟ فالدين خط مستقيم ممتد من آدم حتى محمد ﷺ لانؤمن ببعض وننكر بعض ، بل بكله نؤمن ولا نفرق ولا نفرط فيه ، وكل من حرّف أو وضع كذباً أو تحريفاً فعليه إثم مافعل ، وعلى كل من يتلقى عنه هذا الإثم فعليه إثمه .

أم أن التسليم بالوحي يحتاج إلى معجزة بينة يجزيها الله على يد الرسول ، ويدعن لها المكابر والمعاند ؟

فهل أكبر من انشقاق البحر لموسى يمشى فيه ييساً ومن ورائه فرعون لايزعن للآية الكبرى حتى ينطبق البحر عليه ؟

وهل أبين من انشقاق القبر عن «لعازر» قد أحياه الله لعيسى إذ يناديه : «لعازر! هلّم خارجاً» فيخرج على أعين الناس يدب على قدميه مدرجاً في أكفانه؟ كلتا المعجزتين أعظم من أختها ولا يستطيعهما إلا ربُّ الكون ومحى الموتى . لم يُحى عيسى الميت ، كما لم يشق موسى البحر ، وإنما صنع هذا رب موسى وعيسى ، ورب البحر ورب لعازر .

فإن من خصوم القرآن - هؤلاء ملحدون - يدعون اصطناع المنهج العلمى فى مقارنة الأديان ، يستوى عندهم - فى بطلان دعوى الوحى - التوراة والإنجيل والقرآن جميعاً ، فتندش كيف استباحوا مجادلة القرآن - ثابت الأصل والسند باعترافهم هم أنفسهم - بتوراة مقطوعة السند عندهم ، قالوا إنها كتبت من الذاكرة بعد صاحبها بعدة قرون ، أو بأناجيل أو ترجمات أناجيل يقولون إن أصلها العبرانى المفترض مفقوداً ، لاتدرى أين أخطأ المترجم أو أصاب ، إلا أن تسلّم بالوحى لكتبة الأناجيل اليونانية - كما أرتأت الكنيسة من قبل - والمنكر المتعالم ينكر الوحى على كائن من كان .

ولكن تعلم أن هؤلاء ليسوا بعلماء ، وإنما هم خدام سياسة ، والهوى والغرض كما تعلم داء عضال لايرجى منه برء .

أما علماء الملتين فما أنصفوا وماسددوا : القرآن هو السند الأوحد لرأب ما انقطع سنده فى التوراة والإنجيل ، وهو سند أى سند !!  
بل ماذا ينكرون من القرآن وقد جاءهم القرآن بالخلق والبعث ، وبالتوحيد الخالص غير ملبوس وغير مهموس ؟

الأئنه وقد آله الواحد ، أثبت لعيسى وجبريل عليهما السلام الربانية والملائكة ونزهما عن دعوى الربوبية والتأليه ؟ وهل يؤمن فى قراره قلبه حقاً بتعدد الآلهة أحد ؟

أليس أبلغ فى تكريم المسيح عليه السلام - وقد شرفه الله برفعة إياه إليه أن يستجيب الله لابتهالات نبيه فيخلصه من كيد الذين كفروا ويُجيزُ عنه «الكأس» فلايوقع الصلب عليه ؟

أيهما أبين فى الإعجاز ، وأيهما أنبل وأشرف ، أن يولد «ابن الانسان» بشراً من عذراء أم يتأنس الإله ويتأله الإنسان ؟

ماضرهم لو آمنوا بالقرآن مصداقاً لما معهم ، محققاً ، مصوباً ، مهيمناً ؟

ولكن . . لا أحد يلزمه فى عقيدته أحد . بل يهدى الله لنوره من يشاء .

إن الله عز وجل يصطفى لرسالته الرسول ، ويصطفى لرسوله الجليل الذى

يحمل الرسالة ، ويصطفى لخاتم رسله البقعة التي تنطلق منها الرسالة إلى أقاصى الأرض .

أليس تُبعثُ الرسل كل بلسان قومه ؟ فكيف يفهمون عنه ؟ كيف يتم البلاغ ؟ كيف يصح التكليف ؟ أيمشى الرسول غريباً فى قومه يتوكأ على مترجم يفسر مايقوله للناس ؟

والذى يجب التنبيه إليه ، أياً كان الدين الذى به تدين ، أن كلمة الرسول فى لب العقيدة وجوهرها لاتؤخذ من فم الشراح ، تلاميذ وغير تلاميذ ، كهنوتاً وغير كهنوت ، وإنما تؤخذ من فم صاحب الرسالة نفسه ، يقولها جلية بينة فيفهم عنه سامعوه مباشرة ، دون وسيط ، عالمهم وجاهلهم سواء ، ثم يتناقلونها من بعده خلفاً عن سلف ، اللفظة باللفظة ، والحرف بالحرف ، لأن النبى لم يقل لهم هذا الكلام من عنده ، وإنما من عند الذى أرسله ، أى من الله عز وجل ، لايجوزُ فيه التبديل ، ولا تجوز فيه الإضافة ولو بقصد التفسير والتوضيح .

النبى الذى يحتاج فهم مقولته إلى تفاسير شراح يجيئون بعده بقرون ، يتفقون ويختلفون ، ويتجادلون ويتناظرون ، ثم يقترعون بأغلبية الأصوات فى المجمع أيهم المخطيء وأيهم المصيب ، ليس بنبى ، لأنه لم يحسن تبليغ الرسالة كما أنزلت إليه .

لم يكن هذا بالطبع حال المسيح عليه السلام ، حاشاه أن يكون ، الذى أبلغ فادى . يكفيك فى محكم قوله فى تأصيل عقيدة التوحيد الخالص «لا إله إلا الله» قوله المحفوظ فى الأناجيل حين سُئل عن أعظم الوصايا فى توراة موسى فأجاب : «أولى الوصايا جميعاً هى : اسمع يا إسرائيل ، الرب إلهنا رب واحد ، فأحب الرب إلهك بكل قلبك وبكل نفسك وبكل فكرك ، ويكل قوتك . هذه هى الوصية الأولى ، وهناك ثانية مثلها ، وهى أن تحب قريبك كنفسك ، فما من وصية أخرى أعظم من هاتين . فقال السائل : صحيح يا معلم حسب الحق تكلمت ، فإن الله واحد وليس آخر سواه ، فلما رأى يسوع أنه أجاب بحكمة قال له : لست بعيداً عن ملكوت الله ولم يجرؤ أحد بعد ذلك أن يوجه إليه أى سؤال» (مرقس : ١٢ / ٢٨ - ٣٢) فقد جاء المسيح على دين موسى .

قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم : ٤] ، أى كما أنزلنا التوراة عبرانية على موسى العبرانى فكذلك القرآن ، عربياً على عربى .

وكأن من أهل الكتاب من تعاضمه أن يخاطب الله الخلق بغير العبرية لغة التوراة ، فقال جل شأنه : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ [فصلت : ٤٤] .

أراد أهل الكتاب أن يخاطب الله أهل الأرض جميعاً باللغة العبرية ويقولون أنها لغة آدم فى الجنة وعلى الأرض !!

أفكان آدم رجلاً عبرانياً أو آرامياً ؟ كيف ، وهو أبو كل البشر ؟

أفكانت العبرية أو الآرامية هى اللغة التى علّم بها آدم «الأسماء» كلها ؟

أفكانت هذه أو تلك هى لغة الملائ الأعلی ؟ أكانت هذه أو تلك هى اللغة الأولى التى هبط بها آدم من الجنة ؟ ليس لك أن تخوض فى لغة الملائ الأعلی ، هذا من غيب الله ليس لك أن تفترض ضرورة وجود «لغة» لفظية - صوتية ما ، أياً كانت أداة للتلقى والفهم والخطاب فيما بين الملائ الأعلی ، ليس لك أن تخوض فيما لم يُعلّمك الله .

أما لغة آدم التى تكلم بها على الأرض مهبطاً من الجنة ، فالراجع عندى - ولا أُلزِمك إياه - أنها هى نفسها اللغة التى علّم بها آدم الأسماء فى الملائ الأعلی ، لاسيما اسمه هو نفسه الذى خاطبه به الله فى الجنة ، وثبت له علماً فى الأرض بين زوجته وبنيه ، والذى أقطع به - ويلزمك المنطق الصرف إياه - أن لغة أبى البشر آدم كانت لغة سامية ما ، بل قد كانت هى أم اللغات السامية جميعاً ، وأن اللغات السامية - دون سائر اللغات - هى الأحفظ لما بقى من لغة آدم بعدما تفرقت فى لغات البشر ؟ لا أقول لك - وإن كان الأرجح - أن العربية الأولى قبل أن تتطور إلى اللغة التى نزل بها القرآن قد كانت هى لغة آدم . يكفى العربية فخراً أن قد كان بها ختام كلام الله إلى أهل الأرض جميعاً ، يكفى العربية فخراً قرآنها .

فكيف وَسَعَتِ العربية هذا القرآن؟ كيف حملت قره؟ ما تلك الحضارة التي أنضجت تلك اللغة، واللغة كما تعلم هي نضاج - عبارة؟ وهل كانت للعرب قبل القرآن حضارة؟ فمتى اكتمل لها نحوها وصرفها وإعرابها؟ متى تهياً لها شعراؤها وخطباؤها وفصحاؤها؟ بل كيف فهم العرب عنه؟ كيف تذوقوا حلاوته؟ كيف سلموا بإعجازه؟،

ولكن الذى يتوقف عنده كثيرون، وربما قل من يفتنون إليه، هو أن اللغة العربية - عصر بدء نزول القرآن فى مطلع القرن السابع للميلاد، على قلة الناطقين بها يومذاك - كانت هى دون منازع أرقى لغات العالم القديم، ليس فحسب أرقاها بلاغة وفصاحة وجمالاً، وإنما أيضاً بالمقياس اللغوى البحت أرقاها دقة وكمالاً إنها لغة الإيجاز البليغ، لغة اجتمعت لها كل الحروف، وصحت المخارج: لا تندغم فى الحلق، ولا تتآكل على أطراف اللسان، ولا تتحور فى ذبذبات اللهاة، فيها ما يقرع السمع عنيفاً، وفيها الدمثُ اللين، وما بين بين.

لغة غَنِيَتْ حروفاً فغنيت جذوراً: لاتعرف اللواصق من رواكب وروادف، وفى غيرها ينوء جَدْرُ اللفظ بأوزاره، فيغيم المعنى فى ضباباته.

أما هى فتنحت الألفاظ والأوزان للمعنى وضده، وللمعنى وقريبه، وللمعنى والمشتق منه، وللمعنى والمتداخل معه؛ ما أن يقع بصرك على اللفظ حتى يَسْتَعْلِنَ لك بكل معناه ودلالاته.

لغة تفتنت فى أوزانها، ونوعت فى تراكيبها طرائق شتى. تمد بالإعراب أواخر الكلم، تهمز وتُسَهِّلُ، وتصل وتقف، وتنون وترخم، فما استعصى عليها نغم، وتلك كلها خصائص قرآنية.

الحق أن العبرية هيئت تهيةً لتلقى هذا القرآن، وزينت تزييناً لتليق به، وأنضجت إنضاجاً لتكون وعاءه، وأحكمت إحكاماً لتعبر عنه، فما نزل القرآن إلا وقد تهياً لهذا كله ضد منطق التاريخ ومنطق الحضارة.

كانت العربية وقت نزول القرآن، بمستواها هذا الفنى المحكم، لغة الخطاب اليومى، لا لغة يصطنعها فحسب أهل الفن والفكر والأدب، ولم تكن بمستواها

هذا الفنى المحكم لغة الخطاب لدى الصفوة من سادة قريش فحسب ، بل كانت هى لغة الخاصة والعامة .

وهذا هو أصلاً معنى اللغة : لاتلتبس فى المدونات ويطون الكتب ، ولاتهمم بها الأقلام وتحبر الصحف ، وإنما اللغة هى التى ينطلق بها اللسان سجية فتبصر بها العين وتسمع الأذن .

لم يكن ينقص العربية عصر بدء نزول القرآن لتصبح اللغة العالمية الأولى يومذاك إلا أن تتجاوز حدودها الجغرافية السياسية الضيقة ، فتشيع بين الناس فى المشارق والمغرب . وقد تكفل القرآن بذلك .

أخى القارئ العزيز - أنت تعلم بالطبع أن علم التفسير يحتاج ممن يتصدى له إلى جملة علوم ، أولها بإطلاق علوم اللغة العربية وعلم الحديث ، وثانيها التاريخ ، وثالثها العلوم الطبيعية والاجتماعية . ولكنه يحتاج أيضاً ممن يتصدى له إلى القدرة على تحقيق النصوص التى يُستشهدُ بها من خارج القرآن والحديث الصحيح عن الصادق المصدوق عليه السلام ، فى مصادرها المدونة بلغة الأصل الذى كتبت به ، فلا يسمع لرواة أهل الكتاب - الذين لا يعلمون الكتاب إلا أمانى كما وصفهم الحق تبارك وتعالى - دون تمحيص ، وإنما يُحقَّق ما يُروى له فى مصادره الأصلية ، أى فى التوراة والإنجيل . ولم تكن على عصر تفاسير القرآن ثمة ترجمة عربية للتوراة والإنجيل كما تجدُ لهما اليوم ترجمات بكل اللغات . ولم يكن من أهل التفسير من يستطيع قراءة التوراة والإنجيل فى نصَّهما الأسمى ، العبرانى واليونانى ، فَيَمَحِّصُ ما يلقيه إليه رواة أهل الكتاب ليعلم أن قد صدَّقَ الرواةُ أم كذبوا ودلَّسوا ، أو اخترعوا بغية لهو الحديث . ومن هذه تلك الإسرائيليات التى دسها صغارُ رواة أهل الكتاب من يهود على أهل التفسير وانخدع بها لقيفُ منهم ، لا يخلو منها كتاب من كتب التفسير مهما جَلَّ قدرُ صاحبه ، فيضلُّ بها القارئ العام غير المتخصص ، إلا من عصم ربُّك . وقد جرنى هذا إلى تدارس «الكتاب المقدس» بشطريه - التوراة والإنجيل - فى ترجماتها العربية ، ثم إلى مراجعة هذه الترجمة حين يعضل فهمُ وجه الصواب فيها على الأصل العبرانى للتوراة ، والأصل اليونانى للأناجيل .



وموضوع البحث (الجوانب الخفية من حياة المسيح) يتناول معظم هذه الموضوعات ومعظم هذه الأحداث . . . وهى - ولاشك - أحداث غامضة تحتاج إلى عناء ، والبحث فيها شائك يحتاج إلى المزيد من التأمل والتروى قبل إصدار الحكم على أن الموضوع تناولته الأقلام من شتى المشارب ، فالمستشرقون لم يزهّدوا فى البحث فيه بل كان مغنماً تسابقوا إلى اقتسامه ، فاستغل بعضهم تلك الأحداث للطعن فى الإسلام أو النيل منه ، وتبع أولئك تلامذتهم من المستغربين الذين أبعّدوا النجعة فى تحليلاتهم لتلك الأحداث ، ويضاف إلى هؤلاء وأولئك طائفة لبسوا لبوس البحث العلمى حتى يقنعوا الناس بنتائج أبحاثهم !

إزاء هذا - ونظراً لقلّة الكتابة الإسلامية والمسيحية أيضاً عن تلك الفترة المفقودة من حياة المسيح ، أحسست بالحاجة إلى الكتابة فى هذا الموضوع - على الرغم من صعوبته .

ولكى تتضح الصورة ، وحتى يعلم طرف من الصعوبة فى الموضوع أشير إلى النقاط الآتية :

- ١ - الموضوع الأساسى للبحث (المسيح بن مريم) شخصيته أسطورة عند بعض الباحثين ! وما أصعب البحث عن شخصية تعتبر من نسج الخيال لدى بعض الباحثين ، وأسطورة فى عداد الأساطير عند آخرين .
  - ٢ - وحتى لو تجاوزنا هذه العقبة واجهتنا عقبة أخرى ، ألا وهى صعوبة البحث عن فترات صامته من حياة المسيح .
  - ٣ - يضاف إلى ذلك حاجة البحث إلى نقد النصوص ، وخاصة عن طريق (الجرح والتعديل) وهو علم غزير الفائدة فعن طريقه نتبين صحيح الأخبار من سقيمها ، ولكنه صعب المنال لغير المتخصصين فيه .
- ولأن مقولة هذا الكتاب مقولة جديدة غير مسبوقة ، لا أعلم أحداً ملح إليها من قبل ناهيك بأن كتب فيها ، فلن تجد بالطبع مراجع لهذا البحث فى كتب سبقت ، وإنما الأساسى لهذا البحث هى المراجع اللغوية فحسب ، أى المعاجم المتخصصة . وقد عنيت فى انتقاء هذه المراجع بما هو متاح منها فى

الأسواق ، تيسيراً على القارئ والناقد والخصم ، ممن يودون التثبت من مقولات هذا الكتاب أو التصدى لها .

وقد اجتزأت من تفاسير القرآن بأوسعها في هذا العصر انتشاراً ، وهو أيضاً أحكمها وأشملها ، أعنى تفسير الإمام القرطبي رحمه الله «الجامع لأحكام القرآن» الذي تمنى ألا يخلو منه بيت مسلم . وفي هذا التفسير أيضاً فضيلة . هي اهتمامه بالتأصيل اللغوي ، الذي يكمل النقص في معاجم اللغة العربية الحديثة المنتشرة في الأسواق ، وأهمها بالطبع «المعجم الوسيط» الصادر عن مجمع اللغة العربية بمصر .

أما القرآن كتاب الله عز وجل ، فلديك مصحفك والحمد لله . وإنى لأعوذُ بوجهه الكريم أن يُجنَّبَ هذا البحث هنات الطباعة في لفظ أو حرف من كلام الله عز وجل . وقد عُنيتُ في إيراد الآيات بذكر اسم السورة ورقم الآية ، كي تراجعها معي على مصحفك فلا تتصحف عليك .

وهناك أيضاً - على الجانب الآخر - التوراة والإنجيل ، ولديك في المكتبات ترجماتها العربية المعتمدة من السلطة الدينية المختصة . وتستطيع أيضاً - إن أردت - الرجوع إلى نصّها الأصلي العبراني واليوناني ، وقد أثبتت لك في قائمة المراجع اسم الناشر واسم المكتبة .

وقد عُنيت في كل نص استشهدتُ به من «الكتاب المقدس» بشطريه - أعنى التوراة والإنجيل - بذكر رقم الإصحاح ورقم «الآية» . والإصحاح من التوراة والإنجيل يعنى في مصطلح أهل الكتاب ما تعنيه «السورة» عند أهل القرآن ، وهو أيضاً من معناها قريب . فهو مصدر من «الصحة» لاجمعنى السلامة من المرض والآفة ، وإنما هو بمعنى الكمال والبراءة من النقص ، فهو المكتمل غير مزيد فيه أو منقوص منه . أما «الآية» فقد استعاروها من مصطلحات أهل القرآن ، وليست هي أصلاً بآية ، وإنما هي السطر أو البيت في القصيد ونحوه Verse أو هي العبارة أو الجملة المتكاملة . ولكنه تشبيه لا بأس به ، يُقربُ المعنى إليك ، كما يقربه إلى أهل الملة القارئين بالعربية لا يعرفون غيرها .

وقد عرجنا أيضاً في سياق البحث على موضوعات وقضايا ربما يظنها القارئ المتعجل دخيلة على مباحث الكتاب ، وهي منه في الصميم ، ومن ذلك على سبيل المثال شرح عقيدة المسيحيين في المسيح ، تعريف بالتوراة والإنجيل ، البت في مسألة الصلب ، والبت في مسألة القتل والرفع ، المجمع ، وقد أفضت في هذا شرحاً وتعقيباً ، كما أفضت في غيره من مباحث الكتاب ، لأنني أحببت أن أوفر على من يتصدون لانتقاد مقولات هذا الكتاب مؤونة الكرّ والفرّ ، فحرصت على أن أسدّ عليهم مقدماً منافذ القول : بذلت في هذا قصاراي ، وما أدعي الكمال ، فالكمال لله وحده ، وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

## مدخل لغوى لا بد منه

بدأ نزول القرآن على خاتم النبيين ﷺ عام ١٣ قبل الهجرة (٦٠٩م) مطلع القرن السابع للميلاد قبيل انقضاء ستة قرون على رفع المسيح عليه السلام ليس بينهما نبى .

كانت حضارات العالم القديم كلها آنذاك قد تهاوت ، وأذنت الدنيا بميلاد جديد ، وهى قد تهاوت لأن العمالقة أكل بعضهم بعضاً ، وكانت ساحة الصراع هى هذا الشرق الأدنى القديم .

لم يكن الصراع يدور على فكر أو على خطة حياة ، فقد تداخلت الأفكار والمذاهب ، وتشاكلت الضلالات هنا وهناك ، وإنما كان الصراع يدور على الأسلاب والغنائم ، وكان الأسلاب والغنائم هم أهل هذا الشرق الأدنى القديم .  
لم يكن لدى الغزاة شىء يفتحون به على أهل الأقطار المغلوبة ، ولم يكن لدى المغلوبين شىء يقدمونه للغزاة .

ولكن الصراع بين العمالقة الآريين الثلاثة - الفرس والإغريق والرومان - أو اختصاراً بين الفرس والروم ، لايفك يدور ، لاتضع الحرب أوزارها إلا لالتقاط الأنفاس بضع سنين ، وهى حرب عبث ، سواء على التاريخ قامت أم لم تقم ، فالغالب اليوم مغلوب غداً .

احتدم الصراع بين الفرس والروم على مابقى من أطلال الشرق الأدنى القديم قروناً بين كر وفرحتى أجهز عليهم المسلمون فى أواسط القرن السابع ، ومن قبل أنخن الروم - إغريقاً ورومان - بعضهم فى بعض ، وأتى القوط والجرمان على القياطرة فى روما ، فارتحلوا شرقاً إلى بيزنطة قبل قرنين اثنين من ظهور الإسلام .  
اختلط الحابل بالنابل فى هذه المنطقة من العالم التى شهدت مولد حضارات البشر ، ولم يكن هناك فكر جامع تستند إليه حضارة جامعة جديرة بالبقاء ، لم

تعد ثم - رغم ما قد تسمعه من شهيق وزفير - إلا حضارة ماتت أو أوشكت أن تموت، ولم يعد ثم - رغم ما قد تسمعه بين الفينة و الفينة من هدير وزئير - إلا أسد هرم تسلخ جلده وتثرت أسنانه وعشى بصره يرجو رحمة ربه في ضربة إجهاز تريحه من عذابه . وكان أن أتى أمر الله .

أخى القارئ - أنت تعرف بالطبع العلاقة بين موات الحضارة وموات اللغة . فما بادت حضارة قوم إلا بادت لغتهم ، أو ذابت في لغة السادة لتعيش بعضاً من حياة أو تحورت إلى رطانة شائثة هجينة لا تكاد تبين .

إلى هذا آلت اللغات في هذه المنطقة من العالم : تهاوت الحضارة فتهاوت اللغة ولم يكن في أى من تلك اللغات جميعاً كتاب في عظمة القرآن يعصمها أن تزول .

في مطلع القرن السابع للميلاد كانت اليونانية الفصحى التي تغنى بها من قبل شعراء الإلياذة وكتب بها أمثال أفلاطون وسوفوكل ، وخطب بها أمثال بريكلينس وديموستين قد آذنت من قبل بالأفول حوالى مطلع القرن الثالث ولم يأت القرن السابع إلا وقد آلت إلى يونانية دارجة هجينة ، لا على السنة العامة فحسب وإنما أيضاً في الفن والفكر والأدب .

أما اللاتينية الفصحى التي كتبت بها مدونات الفقه الرومانى ، ونظمت بها إنيادة فرجيل ، وخطب بها أمثال شيشرون وقيصر فقد حذت حذو أختها اليونانية بنفس الترتيب الزمنى أو تكاد ، فلم يأت القرن السابع إلا وقد تحورت إلى لاتينية دارجة هجينة ، بل قل إلى لاتينيات دارجة هجينة ، يلدن من بعد لغات أوربية تقرأ لها الآن لم يكتمل لها نحوها إلا في نحو تسعمائة سنة من نزول القرآن .

لم يبق من اليونانية واللاتينية مطلع القرن السابع للميلاد إلا آثاراً من مجد قديم تليق بحضارة ذوت ، ولا تتسع لحضارة باذخة توشك أن تولد ، لتعيش .

تلك الحضارة الباذخة الوليدة كان القرآن شهادة ميلادها ، وهو إلى الآن عمود حياتها ، وما أوشكت أن تتصدع في مراحل من عمرها إلا لأن أصحاب القرآن أنسوه ، فالحذر الحذر ممن يرفضونه اليوم دستور حياة .

أما في الشرق الأدنى القديم ما بين مصر وفارس ، مهبط الرسالات ، وموئل الحضارات التي سبقت الفرس والروم ، فقد اختلط الحابل بالنابل :

في مصر ، تصدعت - بانهيال دولة الرعامسة <sup>(١)</sup> حوالي القرن الثاني عشر قبل الميلاد - حضارة شامخة زهت نحو ألفى سنة (٣٢٠٠ ق م - ١٢٠٠ ق م) وأذنت بأفول لا رجعة منه ، حتى غدت مصر ولاية فارسية منذ (٥٢٥ ق م) على يد قمبيز وخلفائه ، ثم إقطاعة يونانية لخلفاء الإسكندر (٣٣٣ ق م) ثم ولاية رومانية (٣٠ م) للقيصرية في روما ، ارتحلت تبعيتها معهم إلى بيزنطة (٣٩٥ م) ولم يبق من المصريين إلا الحجر ، ومياه النيل تجرى تهمهم بما كان : ﴿كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَاتٍ وَعُيُونٍ \* وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ \* وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَهِنُوا \* كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ \* فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ {الدخان: ٢٥ - ٢٦} .

تري هل بقيت للمصريين في مطلع القرن السابع للميلاد أثاره من لغة حضارتهم الأولى التي درست ؟ هل بقي لديهم شيء من تلك اللغة الفصحى التي ترنم بها إخناتون من قبل ابتهالات وتسايج ؟ هل بقي لديهم شيء من تلك اللغة الفصحى التي حاور بها فرعون موسى وهارون ؟ <sup>(٢)</sup> .

أنت بالطبع تعرف الجواب : باندثار الحضارة تندثر اللغة ، لم يبق من المصريين في مطلع القرن السابع من يتكلم المصرية الفصحى ، وإنما آلت المصرية الفصحى إلى قبطية دارجة هجينة ، تكتب كلها أو تكاد بأحرف يونانية ابتدع رسومها الفينيقيون من قبل وتَنضَحُ برطانة تعرف فيها آثار السنة الغزاة ، الإغريق فالرومان ومسحة من آرامية <sup>(٣)</sup> فارسية انتقلت إليها مع جيوش قمبيز .

(١) الرعامسة : جمع رَعْمَسٍ ، أو رمسيس كما نكتبها نحن الآن .

(٢) كانت الفصاحة شرطاً في هذا الحوار البليغ ، يدل ذلك على هذا استنصار موسى بأخيه هارون ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونُ﴾ {القصص : ٣٤} .

(٣) الآرامية : هي لغة أهل آرام (إرم في القرآن) كانت تطلق على مانسميه نحن (سورية) بالمعنى العام ، سماها أهلها كذلك تحناناً إلى موطنهم القديم (آرام نهريم) أي آرام ما بين النهرين ، وهناك كانت (إرم ذات العماد) التي عناها القرآن .

كانت الآرامية هي اللغة الغالبة في ربوع الشرق الأدنى القديم ، فاستبقاها الفرس لغة رسمية في إمبراطوريتهم وبها اكتشف في مصر مخطوطات ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد =

أما فارس التي بلغت أقصى اتساعها على عهد الأخمينيين (القرن السادس ق م) - (القرن الرابع ق م) ، كر عليهم الإسكندر ففوض ملكهم من تخوم الهند إلى مصر (٣٣٣ ق م) وورث إمبراطوريتهم الشاسعة جميعاً ليتوزعها خلفاؤه من بعده ، وليبدأ في الشرق الأدنى كله العصر «الهليّني» .

ولكننا لانخوض بك في تاريخ ما قبل التاريخ ، فلا علاقة لموضوعنا بهذا الفن ، ولسنا أيضاً من رجاله . ولكني أريد أن أبين لك الخطأ اللغوي الذي وقع فيه النصارى في تأليه المسيح عليه السلام ، فلم يبق من الحديث عن لغات الشرق الأدنى القديم إلا الآرامية والعبرية ، ولكن الحديث عنها يقتضى الحديث أولاً عن اللغات المسماة بالسامية - وأمها جميعاً «العربية» - تقريراً لأصالة العربية عليها قبل نزول القرآن .

فأنت تستطيع أن تصنف لغات البشر إلى سلالات عرقية أو جغرافية - تاريخية ، تنسبها إلى موطن أقدم من يُظن أنهم تكلموا بها قبل أن ينساحوا في الأرض ، فتنشعب ألسنتهم لهجات فلغات ، فتقول مثلاً : اللغات الآرية ومنها السنسكريتية في الهند والفارسية في إيران ، واليونانية واللاتينية والجرمانية في أوروبا، وما تفرع عن هذه وتلك من لغات تقرأ لها الآن .

أو تقول مثلاً : اللغات السامية والحامية والكوشية ، ومنها العربية والعبرية والمصرية والحبشية ، بقى منها ما بقى وباد ما باد ، والسامية والحامية نسبة إلى سام وحام ابني نوح والكوشية نسبة إلى كوش بن حام ، وهذه أسماء قبائل وشعوب تفرقوا في البلاد فتفارقت الألسنة .

أما إن ترجح إليك وحدة الأصل الإنساني ، فلا مفر لك من أن ترد لغات

---

= مجيء قمبيز تستند إليها الدراسات الحديثة في محاول فهم الآرامية البائدة وتععيد نحوها وصرفها ، وللآرامية أيضاً اسمان آخران هما : «الكلدانية» و«السريانية» ، أما الكلدانية فهي تسمية خطأ ، عدل عنها اليوم علماء اللغات المحققون ، وأما السريانية فهي الآرامية نفسها أو ما آلت إليه الآرامية منذ القرن الثالث الميلادي ، وما زالت السريانية تعيش إلى اليوم على بعض الألسنة ، وبهذه الآرامية نفسها كان يتحدث المسيح إلى عشيرته وحوارييه وبها كان إنجيله الذي لا تجد له اليوم إلا أصولاً كتبها أصحابها يونانية متأخرة تعرف باليونانية الكنسية .

أهل الأرض جميعاً إلى أصل واحد ، وهو تلك اللغة الأولى التي تكلم بها أبو البشر آدم عليه السلام .

على أن افتراض لغة أولى تفرعت عنها كل اللغات ، وهو فرض علمي لاغبار عليه - إن لم يكن الفرض المنطقي الراجح - ربما يغريك ببحث عقيم عن أى اللغات كان الأول ، ولكنك مهما بذلت من جهد - وأيضاً من افتعال - فقصاراك أن تقنع بغرض واحد مؤكد ، وهو أن اللغة التي تكلمها آدم لم يعد يتكلمها اليوم أحد من أهل الأرض ، وإنما تفرقت في لغات البشر جميعاً : لكل منهم فيها نصيب ، قل أو كثر .

لهذا عدل اللغويون عن ذلك الآن ، وأصبحوا ينسبون الأسر اللغوية التي يتكلمها البشر اليوم إلى الأرض التي يعيش عليها في عصرنا هذا من يتكلمونها اليوم أو عاش عليها أسلاف لهم سبقوا .

أما الخصائص التي يستند إليها اللغويون في تقسيم لغات البشر إلى مجموعات لغوية ، أو أسر لغوية فهي تنقسم بدورها إلى فصائل لغوية داخل الأسرة الواحدة ، فأهم هذه الخصائص ما يلي :

١ - مخارج الأصوات .

٢ - دلالات الألفاظ .

٣ - بناء الألفاظ .

وأما الفوارق بين لغة ولغة من نفس الفصيلة ، كفوارق ما بين العربية والعبرية من الفصيلة السامية ، والتي تجعل منهما لغتين مختلفتين بحيث تعتجم العبرية على السامع العربي - كما تعتجم العربية على السامع العبرى - فلا يفهم أحدهما شيئاً من لغة الآخر حتى يترجم له . فمن الفوارق بين العربية والعبرية على سبيل المثال :

١ - القلب والإبدال .

٢ - المغايرة بين العربية والعبرية في النحو والصرف .



أما القلب فهو تغير ترتيب أحرف الكلمة مع اتحاد المعنى مثل :  
«جَذَبَ» و«جَبَذَ» بمعنى شد في كليهما وغيرهما كثير .

أما الإبدال فهو تغيير حرف بحرف آخر قريب من مخرجه مع بقاء المعنى  
مثل : «سِرَاطٌ» و«صِرَاطٌ» بمعنى الطريق في كليهما .

ومن الإبدال أيضاً المبادلة بين أحرف المد كإبدال المد بالواو مدأً بالياء مثل :  
«ساع / يسوع» و«ساع / يسيع» و«ساع / يسيع» و«ساع / يسيع» و«ساع / يسيع» و«ساع / يسيع»  
التغاير بين العربية والعبرية ، وأولها أيضاً على أصالة العربية وسبقها للعبرية  
(وللآرامية أيضاً) في الزمان والمكان ، فمنها تفوق العربية تفوقاً ساحقاً بوفرة المادة  
اللفظية (الجزر الثلاثي) بما لا يقاس على العربية والآرامية ، ليس فقط بسبب زيادة  
الأبجدية العربية بستة أحرف أصلية (ث - خ - ذ - ض - ظ - غ) وإنما أيضاً  
لكون العربية أوفر أوزاناً وأصبط وأقيس ، تستطيع الإتيان بالطريف المعجب دون  
زيادة في أحرف الجذر .

ومن وجوه الأصالة والتفوق أيضاً أن العربية تستنفذ من الجذر الأصلي كل  
معانيه - الرئيسى والترتب عليه - حين تقتصر العبرية والآرامية غالباً على وجه  
واحد تجمدان عليه .

من ذلك الفعل «حَمَدَ» فهو في العربية بمعان يتسلسل بعضها من بعض :  
«حَمَدْتُهُ» يعنى رضيته وأعجبت به ، وحمدته أيضاً يعنى ذكرت محاسنه فمدحته  
بما هو أهله ، وحمدت له أمراً يعنى استحسنت له ، وحمدته أيضاً يعنى ذكرت له  
نعمة فشكرتها وأثنت عليه لجوده بها .

أما العبرية فتقتصر من «الحمد» على وجه واحد ، وهو الرضا  
والإعجاب : «حمدته» العبرية تعنى أعجبنى وحلا لى .

وهذا هو الوجه المنعوت به ﷺ بمقتضى تسميته «مُحَمَّدًا» ، أى الحميد  
الخالقُ والخالقُ الحميد الأفعال والصفات وهو أيضاً الذى جاء فى العهد القديم  
نبوءة بمبعثه ﷺ على لسان حجاجى النبى : (وبا حَمَدَت كل هَجْوِيم) (سفر  
حجاجى : ٧ / ٢) يعنى : (ويجىء حِمْدُهُ كل الأمم) أى الذى تحمده كل الأمم ،

يعنى يحمده كل من نطق باسمه ، وإن جحده وأنكر نبوته .

والنصارى يسقطون هذه النبوة على المسيح عليه السلام ، وليس بشيء ، لأن المسيح لا يحمده من جحده وأنكره ، ومنهم اليهود على الأقل .

وهذا أيضاً بعض معنى قوله عز وجل : ﴿النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ {الأعراف : ١٥٧} أى نبى كل الأمم الموصوف بنعته فى التوراة والإنجيل اللذين بين أيديهم عصر نزول القرآن وإلى الآن .

ومن أسف أن ترجمة العهد القديم يترجمون عبارة «حمدة كل الأمم» بعبارة «مُشْتَهَى كل الأمم» ربما لطمس معنى «الحمد» فى النبوة ، ولو أنصفوا لاستبقوا لفظ «الحمد» فى النص العربى على الأقل - بصورته المشتركة بين العربية والعبرية .

ربما اعتذرت لهم بأنهم لو سلموا بهذه النبوة لسلموا بنبوة محمد ﷺ وربما ظننت أيضاً أنهم لا يسلمون بالاشتراك بين «حمد» العربى و«حمد» العبرانى ، ولكن آباءهم فى الأندلس كانوا يسلمون بهذا الاشتراك ، بدليل نطقهم اسم النبى لنصارى الأسبان والفرنسيس لا على زنة مُفَعَّل العربى - أى مُحَمَّد - وإنما على زنة نظيره العبرى مِفَعَّل - أى مُحَمَّد - بنفس المعنى عبرياً ، ومن هنا قال الأسبان Mahoma وقال الفرنسيون Mahomet اللتين تحار فى تعليل تحريفهما ، وربما أسأت الظن فحسبت أنها «حُمِد» نفيًا للحمد عنه ﷺ (وهذا جديد نفيس لم تقرأه من قبل) .

أما أكثر أوجه المغايرة دلالة على أصالة العربية وسبقها ، فهو أن العربية لا يوجد فيها لفظ مشتق إلا وهى تستخدم ثلاثيه المجرد فى أصل المعنى الموضوع له ، أما العبرية فيكثر فيها المشتق الذى لا جذر له ، معنى ذلك أن العبرية تأخذ اللفظ المشتق على صورته عند أصحابه دون فهم أصل معناه فى جذره الثلاثى ، والجذر بالطبع أسبق وجوداً من اللفظ المشتق منه ، العبرية إذن ناقلة عن العربية ، ولا يتصور العكس .

هذا يفسر لك لماذا يلجأ اللغويون إلى المعجم العربى لمحاولة فهم غوامض العبرية والآرامية وبوائدها ، مثلما يفعلون لمحاولة فهم غوامض غيرهما من بوائد الساميات .

لهذا صح عند اللغويون الأثبت أن العربية هي أم الساميات جميعاً ، لأنها الخزانة اللغوية التي تغترف منها سائر لغات الفصيحة ولا تنضب هي ، بل لديها دائماً المزيد .

ولكنك في أقل من القليل تستطيع أن تؤكد - مصيباً غير مخطئ - أن اللغة العربية - أياً كان الشكل الذي تطورت منه إلى الشكل الذي نزل به القرآن في مطلع المائة السابعة لميلاد المسيح - كانت هي نفسها في عصر ما بالغ القدم اللغة السائدة بين سكان شبه الجزيرة من أقصى اليمن إلى أقصى الشام ، وأن الآرامية التي ارتحل بها آباء إبراهيم من العراق إلى سورية ، والعبرية التي ارتحل بها إلى مصر يعقوب وبنوه ، وعاد بها بنو إسرائيل إلى جنوبي فلسطين بغير الوجه الذي ذهبت به فتعاجموا بها على إخوانهم الموابيين<sup>(١)</sup> - هذه وتلك وسائر ما تكلم به أهل الشرق الأدنى القديم في شبه الجزيرة - ليست إلا لهجات قبلية متحورة عن هذه العربية نفسها ، تهجنت بها ألسنتهم بتأثير الغزو اللغوي الحضاري الذي توالى على أطراف شبه الجزيرة شرقيها وشماليها ، وسلم منها قلبها في الحجاز ، وإلى حد بعيد جنوبيها في اليمن .

على أنك إزاء هذا المستوى الفني الرائع الذي ارتقت إليه تلك اللغة الفذة نحواً وصرفاً وإعراباً - ضد منطلق التاريخ ومنطق الحضارة - والذي تلمسه قبيل نزول القرآن - فيما صحت نسبته إلى الجاهلين من شعر - لا بد أن يخيلك إحساس مبهم بأن تلك اللغة لا ريب سليله حضارة موعلة في القدم سبقت عصر الطوفان وسبقت عصر التصحر والجفاف في شبه الجزيرة ، ثم ضاعت في ضباب التاريخ .

(١) الموابية : هي أقرب اللهجات إلى العبرية ، والتسمية عبرانية(مو + آب) أي ماء أبيتنا ، أي الذي يجمعنا بهم آب واحد وتفرقت بنا العلات .

ومن أشنع أباطيل سفر التكوين قولهم : إن الموابيين هم أبناء لوط من ابنتيه ، خلثا به بعد أن أسكرته الواحدة بعد الأخرى ليكون له منهما نسل ، وكأنما عدت الأرض رجالها ونساءها بعد خراب سدوم ، وكأنما لوط في فراره بابنتيه من القرية التي كانت تعمل الخبث ، كان يفر من الرمضاء إلى النار ، بل النار مشوى الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ويقولون هذا من عند الله ، كان هذا تشييعاً على قبائل الموابيين بعد أن قهروا بنى إسرائيل ، رغم أن الموابيين أسبق وجوداً على الأرض من لوط وابنتيه .

تحدثنا فيما سبق عن أوجه التقابل والتغاير بين العربية والعبرية داخل الفصيحة السامية ، وما ذكرناه بشأن العبرية والعبرية ينطبق في جملته مع بعض تفاوت ، على ما بين العربية والآرامية ، وعلى ما بين الآرامية والعبرية تلك اللغات السامية الثلاث .

ما أردناه هو التمثيل لوجوه التقابل والتغاير بين أفراد الفصيحة اللغوية الواحدة التي تجعل إحداهما كلاماً أعجيباً في سمع أهل اللغة الأخرى من نفس الفصيحة ذلك أن اللغات ، بغض النظر عن الغزو اللغوي - الحضاري ، لا تثبت قط على حال ، بل تنمو وتتحوّل أيضاً ، لا بفعل المؤثرات الخارجية وحدها ، وإنما أيضاً بفعل ارتقاء الحضارة الذاتية لأبناء اللغة : تنتعش الحضارة فتغني اللغة . والحضارة التي يصيبها العمق فلا تتطور ولا تُبدع ولا تُبتكر ، تعقم لغة أهلها أيضاً فلا تولد فيها ألفاظاً جديدة لمعان ومسميات جديدة مثل (العولمة) سبقهم إلى الوقوع عليها أبناء الحضارة الغالبة ، أصحاب الحق الأول في تسمية ما يكتشفونه ويبتدعونه .

أما اللغة التي تستعير من غيرها معاني الأفعال وأسماء الأفعال ، فهي لغة قد عقم تفكير أهلها وضحل ، ينتظرون من غيرهم أن يفكر لهم ، ثم يأخذون عنه أخذ البيغاء والقردة ، فيزدادون تبعية ويمعنون ارتكاساً .

ولأن الألفاظ هي أوعية المعاني ، تماماً كما أن الجسد وعاء الروح ، تستطيع أن تقول إن المعاني يتوالد بعضها من بعض بقدر ما تتوالد الألفاظ بعضها من بعض ، أي بقدر ما تكون اللغة قادرة على نحت الألفاظ واشتقاق اللفظ من اللفظ ، هي اللغة الأقدر على توليد المعاني ، وأنها اللغة الأدق عبارة ، الأوضح فكرة ، الأطوع لتشقيق المعاني ، الأقوى على التخيل والإبداع ، الأملك لعنان الفكر ، الأثبت في وجه الغزو اللغوي الحضاري .

واللغة العربية في هذا كله - دون سائر اللغات - فرس لايداني ، لأنها الأكثر حروفاً ، الأغزر جذوراً ، الأوفر أوزاناً ، الأضبط نحواً وموازن صرف .

مربك أن اللغات يلحق بعضها بعضاً ، ويستعير بعضها من بعض ، وهو تلاحق محمود فوق أنه محتوم ، وهو محتوم لامناص منه لأنه ناشئ عن احتكاك القبائل والشعوب ببعضها بعضاً سلماً وحرباً ، يموج بعضهم في بعض ، ويجوس

بعضهم في ديار بعض ، أما السقيم المقبوح ، فهو استعارة أهل اللغة من أصحاب الحضارة الغالبة لفظاً أعجمياً لا يحتاجون إليه ، وعندهم مثله ، كمن أراد العدول عن تحية الإسلام إلى تحية الجاهلية ، فقال : (بُنْجُور) Bonjour الفرنسية ، ولديه في لغته (عم صباحاً) وأصلها : (نعمت صباحاً) ، وهي طبق الأصل من تلك ، وهو في هذه الحالة - الرطانة والترجمة - بيغاء يهرف بما لا يعرف .

كان هذا بحثاً لغوياً مجرداً ، أردناه مثلاً لكيفية التدليل على عجمة لفظ ما أو أصلته في لغة بعينها ، وإذا كنا نعيبُ هذا التخبط وهذا الإسراف ، فنحن لانقصد إلى تنزيه العربية عن الاقتباس من غيرها ، وقد مر بك أن التلاقح بين اللغات أمر محتوم ، فوق أنه محمود مقبول حين تدعو إليه الحاجة ، بل لا تخلو معاجم أى لغة من ألفاظ أعجمية الأصل ، وليست العربية بدعاً بين اللغات ، فلا غضاضة في هذا على العربية أو على غيرها .





الفصل الأول





## الأنجيل

اليهود والنصارى هم وحدهم « أهل الكتاب » لا يندرج تحت هذا الاسم غيرهم من الملل ، فهذا هو صريح القرآن ، لا يصح غيره ، وشواهد القاطعة من القرآن عديدة ، ومنها هذا الشاهد الحاسم الذى يقطع كل جدل : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُتْقِمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ {المائدة: ٦٨} أى هم أهل التوراة والإنجيل فليستقيموا عليهما ، وعلى ما أنزل إليهم من ربهم ، أى القرآن ، الذى جاء به محمد ﷺ ودعاهم إليه ، بدليل قوله عقب هذا مباشرة : ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ {المائدة: ٦٨} ، فما أنزل إليهم من ربهم بخلاف التوراة والإنجيل هو هذا القرآن الذى دُعوا إليه . لا يصح أن يؤمر بإقامة التوراة والإنجيل إلا أهلها كما جاء فى قوله عز وجل : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ \* وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ {المائدة: ٦٥ - ٦٦} .

والراجح عندي أنهم سُموا « أهل الكتاب » بمعنى « أهل التوراة » ، فالتوراة لا الإنجيل هى الكتاب المعنى . وهى مشتركة بين الطائفتين : يدين اليهود بالتوراة ويكفرون بالإنجيل ، ويدين النصارى بالتوراة وبالإنجيل ، وقد قال المسيح عليه السلام ماجئت لأهدم الناموس (أى التوراة) وإنما جئت لأكمل ، أى بالإنجيل ، فالمسيح عليه السلام يكمل التوراة ولا ينتقص منها ، وقد ظل المسيحيون الأوائل يُعدون فرقة من فرق اليهود لا أكثر ولا أقل . ولم تكتب الأنجيل إلا بعد زمان من رفع المسيح ، وهى قد كتبت إنشاءً لا استنساخاً من أصل يرد إليه .

ولانزال المسيحية إلى اليوم تتعبدُ فى كنائسها بتلاوة فقرات من هذه التوراة توراة اليهود ، بل إن « الكتاب المقدس » ، كتاب المسيحيين مجلد يضم « التوراة والإنجيل » معاً : إنه هو « الكتاب » The Bible ( La bible بالفرنسية ) ، وأصلها Biblion اليونانية - لغة الكنيسة الأولى - وقد أصبحت Bible هذه

علماً على التوراة والإنجيل معاً ، لايجوز إطلاقها إلا والمراد منها التوراة والإنجيل  
لامجرد أى كتاب .

ومن إعجاز القرآن أن يفطن وحده - مطلع القرن السابع الميلادى - إلى هذا ،  
فيجمع بين الطائفتين تحت مسمى واحد : أهل الكتاب على معنى أهل التوراة  
والإنجيل ، يعنى : People of The Bible بالإنجليزية لا People of The Book  
كما تخطىء فيها بعض ترجمات القرآن الإنجليزية ، بل إن القرآن المعجز يأبى على  
أى من الطائفتين أن تنكر إحداهما على الأخرى وكتابهم واحد ، أى التوراة . (١)

ولقد ضمَّ المسيحيون أسفارهم إلى أسفار اليهود ( على خلاف بينهم فى إنكار  
بعض وإضافة بعض ) فى مجلد واحد من جزأين هما « العهد القديم » (التوراة)  
و«العهد الجديد» (٢) (الإنجيل) ، تحت اسم «الكتاب المقدس» ، لذا خص القرآن

(١) التوراة : كلمة مستعربة أصلها العبرى تورا : بمعنى العلم والإبانة والهدى والتبصرة . فقد  
فسر القرآن التوراة بمعنى العلم فى مثل قوله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ  
قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا ﴾ [محمد : ١٦] وبمعنى البيان والإبانة فى مثل قوله : ﴿ أَوَلَمْ  
تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ [طه : ١٣٣] ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ  
الْبَيِّنَةُ ﴾ [البينة : ٤٠] وبمعنى الهدى والهداية فى مثل قوله : ﴿ وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى  
لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الإسراء : ٢] وبمعنى البصيرة والتبصرة فى قوله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى  
الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ ﴾ [القصص : ٤٣] .

وهى الكتاب المنزل على موسى عليه السلام وهو خمسة أسفار : سفر التكوين (سفر الخليقة )  
وسفر الخروج وسفر الأحبار (سفر اللاويين) وسفر العدد وسفر التثنية ، وقد وردت كلمة  
التوراة فى القرآن ١٨ مرة وقد تسمى فى كتب العهدين باسم الناموس ، وتطلق التوراة مجازاً  
على العهد القديم المشتمل على أسفار موسى الخمسة السابقة وعلى كتب الأنبياء التى ألحقت  
بالتوراة خلال تسعة قرون . وقد استخدمت كلمة العهد فى التوراة بمعنى الوعد الصادق من  
الله للإنسان ، وفى عهد الرشيد قام أحمد بن عبدالله بن سلام بترجمة التوراة إلى العربية .  
(القاموس الإسلامى ١ / ٥٠٨ - دائرة وجدى ٢ / ٧٠٢ - الموسوعة الميسرة ص ٥٦٦ -  
كشف الظنون ١ / ٥٠٤) .

(٢) العهد الجديد : ويضم الأناجيل وملحقاتها ، أى جميع الأسفار والرسائل المكتوبة بعد عيسى  
عليه السلام ، وأولها إنجيل متى وآخرها رؤيا يوحنا ، وفى قبولها اختلافات كبيرة بين  
الكنائس ، وهذه التسمية اجتهادية أخذها النصارى من قول سفر إرميا : ٣١ / ٣١ - ٣٣  
(ها أيام تأتى يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً (٣٢) ليس=

أهل الملتين باسم « أهل الكتاب » لا يدخل فيه غيرهم ، وقد سلّموا للأسفار جميعاً بالوحي من الله ، ليس فقط لأن اللاحق بينى على السابق فحسب كما مر بك ، وإنما أيضاً وبالأخص اتباعاً لقول المسيح عليه السلام فى الأناجيل : ما جئت لأهدمَ التاموس (أى التوراة) ، وإنما جئت لأكمل (أى بالإنجيل) .

أما اليهود فهم بالطبع لايسلّمون بالوحي لكتابات «العهد الجديد» ، وإلا لما بقوا على يهوديتهم . وهم لايسلمون بالوحي أيضاً للأسفار أضافتها الكنائس المسيحية إلى أسفارهم المعتبرة عندهم (على خلافٍ فى هذا بين الكنائس المسيحية). (١)

وقد توقفت «النبوت» فى بنى إسرائيل قبل قرون من مولد عيسى عليه السلام . ومن هنا يفهم خلوّ أسفار التوراة من النص على أعلام المسيحية الأربعة : زكريا ، يحيى (يوحنا) ، مريم ، عيسى ، عليهم السلام ، ولم تذكر عمران جدّ عيسى .

ويلاحظ أن أسفار «العهد القديم مكتوبة كلها بالعبرية ، ماعدا أجزاء قليلة كتبت بالآرامية رأساً أو متأثرة بها ، منها عبارات فى سفر التكوين نفسه ، أول أسفار العهد القديم ، ومنها بعض إصحاحات متفرقة فى أسفار ثلاثة هى أسفار إرميا ، دانيال ، عزرا (عزير فى القرآن) . وإذا علمت أن عزرا كاتب «شريعة الله» بعد سبى بابل - كان من أعلام القرن الخامس قبل الميلاد ، فقد علمت مدى طغيان هذه الآرامية على ألسنة الناس ، حتى حلت تماماً أو تكاد محل العبرية فى ربوع فلسطين منذ ثلاثمائة سنة على الأقل سبقت مولد المسيح ، فكان بها جُلُّ كلامه عليه السلام .

= كالعهد الذى قطعه مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدهى فرفضتهم يقول الرب (٣٣) بل هذا هو العهد الذى أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب). فمن هذه الفقرات أخذت كلمة العهد القديم والجديد، وساعد على رسوخ هذا الإطلاق ما فى الرسالة العبرانية: ٨ / ٧ - ١٣ وهذه آخر فقراتها : « فإذا قال جديداً عتق الأول ». ومجموع العهدين هو الكتاب المقدس عند النصارى أو «البابيل» The bible . (قاموس الكتاب المقدس ص ٦٤٤ - ميزان الحق ط ٣ ص ٧٠ - الموسوعة الميسرة ص ١٢٤٥).

(١) ومثاله سفر «يشوع بن سيراخ» الذى ينكره اليهود وتعتبره الكنيسة الكاثوليكية ولا تعتبره الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ويسمى كتاب «إيكليزيا ستيكس» .

ولكن أسفار « العهد الجديد » لم تكتب بالآرامية أو العبرية أو بمزيج من هذه وتلك ، وإنما الموجود منها بين يديك الآن مكتوب كله - عدا بضع كلمات آرامية أو عبرية - بلغة « يونانية » متأخرة ، تعرف باليونانية « الكنسية » لاصطناعها ألفاظاً وتراكيب لم تسمع في اليونانية قبل عصر المسيح ، ومهما قيل من أن إنجيل « متى » وبعض رسائل الحواريين والآخذين عنهم كان لها أصل عبراني ترجمت منه إلى تلك « الأصول » اليونانية التي بين يديك ، فهذا الأصل « العبراني » مفقود ، لاسيما لك إليه لتطابقها عليه ، ليس لديك من « العهد الجديد » سوى هذه الأصول اليونانية ، وترجمات منها مباشرة إلى مختلف اللغات ، والذي يجب أن تعرفه أيضاً أن النص العبراني للتوراة مستنسخ من الذاكرة إثر عودة بني إسرائيل من سبى بابل بعد حوالي ثمانية قرون من وفاة موسى عليه السلام ، ظل أيضاً نصاً غير معجم ، أى غير مقيد بالشكل والنقط ، يلحن فيه قارئه ، مثقفاً وغير مثقف ، لاسيما بعد تراجع العبرية على الألسنة وحلول الآرامية محلها فى ربوع فلسطين منذ القرن الثالث قبل الميلاد ، وقد تصدى لتحقيق النص بالنقط والشكل والتعليق على صحة النطق ، فى مدى ثمانية قرون من القرن الثانى الميلادى إلى القرن العاشر طائفة يدعون « بعلى ماسورا » أى « أهل الأثر » ، حُفَظَ المأثور المتلقن .

ولك أن تتصور ماذا يمكن أن يحدث لنص أعيدت كتابته من الذاكرة بعد وفاة موسى عليه السلام بحوالى ثمانية قرون ، غير مضبوط بالشكل والنقط ، وظل كذلك إلى القرن الثانى لميلاد المسيح ، واستغرق « تحقيقه » بالشكل والنقط والتعقيب ثمانية قرون أخرى فما اكتمل إلا فى القرن العاشر الميلادى .

هذا وذاك يقوى لديك شبهة وقوع الإضافة والحذف فى النص الذى بين يديك . أما الحذف ، فهذا مالا سبيل لك اليوم إلى إثباته . وأما الإضافة فإثباتها هين بين ، تحفظ المسيحيون من قبل على بعضها بالنسبة إلى أسفار برمتها سموها « أبوكريفا » أى المنحولة ، وتستطيع أنت التحفظ على كثير مما تَضَمَّنَه صلب أسفار موسى الخمسة نفسها من سفاسف وشناعات لا يقبل ورودها فى نص إلهى مقدس ، ليس أشنعها زنى ابنتى لوط بأبيهما ليكون له منهما « نسل » ، وهو يقوى

لديك أيضاً شبهة صرف النص في بعض مواضعه - بمجرد النقط والشكل - عن أصل معناه .

وتستطيع أن تقول الشيء نفسه - أو قريباً منه - في الأناجيل الأربعة المتداولة، التي لم يخطها عيسى عليه السلام بيده ، كما خط موسى عليه السلام بإزميله في الألواح ، لولا أن أصحاب هذه الأناجيل لا ينسبونها ابتداءً إليه ، أى إلى عيسى عليه السلام : لم يملها عليهم ، ولم يراجعوها عليه ، وإنما هم ينسبونها إلى ذات أنفسهم ، كتبوها من الذاكرة أيضاً بعدما تبادت بهم السن ، أو كتبها آخذون عنهم لم يروا المسيح ولم يسمعوا منه ، وهؤلاء وأولئك لم يكتبوا مناطق به المسيح بلغته «الأرامية- العبرية» وإنما ترجموا ما وعوه إلى لغة ليسوا من أهلها (اليونانية) ، لاستثنى «لوقا» الطبيب اليونانى ، لأنه بنى إنجيله على ما سمعه منهم مترجماً إلى اليونانية من قبل، وهذا يفسر لك بعض أخطائهم فى الترجمة، سواء فى ترجمة ما استشهدوا به من التوراة العبرية فى الأناجيل اليونانية .

ويضم العهد الجديد الذى يتبعه به المسيحيون قبيل نزول القرآن وإلى اليوم سبعة وعشرين سفرأ ، وهى إنجيل متى وإنجيل مرقس وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا ، وهى تحكى سيرة المسيح وأقواله وأفعاله ووصاياه منذ أن ولد حتى رفع ، فهى أشبه بالسيرة النبوية عند المسلمين . بالإضافة إلى ثلاثة وعشرين سفرأ أخرى أولها «أعمال الرسل» أى أعمال الحواريين ومن دخلوا فى عدادهم بعد رفع المسيح ، وينسب هذا السفر إلى لوقا أيضاً صاحب الإنجيل الثالث المسمى باسمه ، تجيء بعد ذلك أربع عشرة رسالة تنسب إلى بولس<sup>(١)</sup> ( وهو من غير الحواريين بل لم

(١) بولس الرسول : كان يهودياً ثم أسلم وهو مخادع وصار نصرانياً . أهـ (وقصة إيمان بولس المذكورة فى سفر أعمال الرسل ٩ / ١٠ - ٣٠ ، و ٢٢ / ١ - ١٦ ، و ٢٦ / ١٢ - ١٨ ) واسمه العبرى شاول ، كان يهودياً فريسياً من سبط بنيامين ، ولد فى طرطوس بآسيا الصغرى ، وتعلم فى القدس ودرس الفلسفة اليونانية ، وكان كافراً ببعيسى عليه السلام شديد التعصب ضد أتباعه مبغضاً لهم ، ويسلك مسالك عدة فى محاربتهم وإيذائهم وتعذيبهم ، لكنه لم يفلح فى ذلك ، فزعم أنه بينما كان سائراً إلى دمشق رأى نوراً أسقطه على الأرض ، وظهر له المسيح ووبخه على معاداته لأتباعه ، فأمن شاول بالوهية المسيح الذى أرسله رسولاً إلى الناس ، فغير اسمه وتسمى بولس ، وبدأ بكتابة الرسائل الكثيرة إلى المدن يدعو الناس =

يشهد المسيح ولم يسمع منه) ، ثم رسالة تنسب إلى يعقوب الحواري ، واثنان منسوبتان إلى بطرس رئيس الحواريين ، وثلاث منسوبة إلى يوحنا الحواري ، (التلميذ الذي كان المسيح يحبه وهو أصغر الحواريين سناً) ، وليس هو صاحب الإنجيل الرابع المسمى بهذا الاسم ، بل هو سَمِيَّ له ، ثم رسالة منسوبة إلى يهوذا الحواري ( وهو غير يهوذا المتهم بخيانة المسيح ) .

وأخيراً «رؤيا يوحنا اللاهوتي» ، وليس هو يوحنا الحواري على التحقيق .  
والأسفار الأربعة الأولى ، أعنى الأناجيل الأربعة ، هي المعنية بلفظة الإنجيل على الإجمال ، يكمل بعضها بعضاً وينقل بعضها عن بعض ، متساوية في الحجية عند المسيحيين ، فلم تحفظ لك الكنيسة إنجيلاً آخر للمسيح غير هذه الأربعة .  
ويقول مؤرخو المسيحية إن الأناجيل لم تكن في الصدر الأول أربعة فقط ، وإنما كانت بالئات ، نحو ثلاثمائة إنجيل ، يروى كُلُّ ما شهد أو سمع ، أو ينقل عن من شهد أو سمع ، أو يقص ما يحتج به لمقولته في المسيح . ولكن الكنيسة - بعد استقرار عقيدة التثليث في القرن الرابع - استقبت من هذه الأناجيل أربعة

= للدين الجديد - مسيحية بولس التي تؤله عيسى وتحلل الحرام - وكان في رسائله يمزج الوثنية الرومانية والفلسفة اليونانية بالعقائد الدينية الجديدة لتناسب ما ألفه الوثنيون في الإمبراطورية الرومانية ، فلما رأى الروم يختنون حرم الختان ، ولما رأهم يأكلون الخنزير وسائر المحرمات أباحها لهم ، ولما رأهم يقولون بتعدد الآلهة وبنوة أحدها لله قال بالوهية المسيح وبنوته لله ، وبهذا عمل على تقريب النصرانية من الوثنية الرومانية مع المزج بالفلسفة اليونانية ، فالروم لم يتنصروا ولكن النصرارى تروموا ، ويعتقد كثيرون من مفكرى النصرارى ومؤرخيهم أن بولس دخل النصرانية ليفسدها بدعائه ، سُجن بولس في سجن رومية وأعدم ضرباً بالسيف خارج روما بثلاثة أميال سنة ٦٧ أو ٦٨ م ، وجميع فرق النصرارى يعدونه رسول الأمم العظيم والقديس الأول وأنه أول تلاميذ المسيح ورئيسهم ، وأنه رأس الكنيسة المنظور والباباوات خلفاؤه ، فهو وإن لم ير المسيح إطلاقاً لكنه عندهم حوارى باعتبار الصلابة الروحانية ، وهو نفسه يدعى المساواة بأعظم الحواريين - بطرس - وعند البروتستانت لارجحان لبطرس عليه ، وترى جميع طوائف النصرارى أن رسائل بولس مكتوبة بالإلهام ، وأن لها القداسة كما للإنجيل بل أزيد . (قاموس الكتاب المقدس ص ١٩٦ ، ودراسة الكتب المقدسة لموريس بوكاى ص ٧١ - ٧٣ ، والموسوعة العربية الميسرة ص ٤٤٠ ، وسوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان ص ١٥٤ ، ومعجم الأعلام الملحق بالمورد ص ٦٧ ، والمناظرة الكبرى ص ٢٣١ ، وتاريخ كنيسة المسيح على وجه الاختصار ص ٢٢ - ٢٣) .

فقط، هي تلك التي بين يديك الآن ، وحظرت ماعداها ، الذي طورد وأعدم لمخالفته بلاشك لمقولة الكنيسة في المسيح .

والمشهور أن مكتبة الفاتيكان احتفظت في خزائنها ببعض هذه الأناجيل المنكرة، المحظور تداولها بين الناس ، ومن هذه الأناجيل المنكرة عند الكنيسة الإنجيل المنسوب إلى برنابا (١) الحواري كما يروى مكتشف هذا الإنجيل الذي أنكرته الكنيسة غداة ظهوره في القرن الثامن عشر ، ورمته بالزيف والانتحال ، مكيدة كادها للكنيسة بعض خصومها وشائنها ، وليس لك أن تأخذ على الكنيسة إنكارها إنجيل برنابا ، فهو يقول بمقالة القرآن في المسيح .

ولسنا من القائلين بحجية إنجيل برنابا في مواجهة الكنيسة ، إذ ليس لك حجاجُ الكنيسة بما تنكره ، بل كُلاً يولى الله ماتولّى . فحسبك هذه الأناجيل الأربعة التي بين يديك ، وفيها رغم كل شيء كل الكفاية .

وبعد ، فليس برنابا الحواري إلا راوية بين رواة ، كلهم كتب بغير لغة المسيح ، لاتدرى عن أى أصل نقل ، ولاتدرى هل أخطأ في الترجمة أم أصاب . والذي يجب التنبيه إليه أيضاً أن هذه الأناجيل الأربعة لم يكتب أى منها بلغة المسيح العبرية - الآرامية ، وإنما كتبت كلها ابتداء بلغة يونانية متأخرة عرفت باليونانية الكنسية لاحتوائها ألفاظاً وتراكيب لم تُسمع من اليونان قبل عصر المسيح مثل : إيفنجليون Euaggelion يعنى الإنجيل ، وفارقليط Parakletos التي تترجم في الأناجيل العربية بلفظة «المُعزّي» ، وليس كذلك ، وإنما هي «أحمد» أو «محمد» ، ولايصح ما قيل من أنه قد كان لهذه الأناجيل اليونانية كلها أو بعضها أصلٌ عبراني نقلت عنه ، وبالذات إنجيل «متى» الذي كتبه كما يقال لليهود في

(١) برنابا : أحد الحواريين الاثنى عشر ، وهو لاوى قبرصى الجنس ، ويظن أن اسمه يوسف ، ثم لأنه كان مجتهداً في الوعظ ونشر الدين سمى (برنبا) : أى ابن الوعظ ، وكان زميلاً لبولس في أثناء رحلاته ثم اختلف معه وفارقه ، ويظن أنه قتل في قبرص ، وله إنجيل باسمه يشهد بوحدانية الله وبشرية المسيح وبيشّر بمحمد ﷺ وبعض العلماء ينسب إليه الرسالة العبرانية ، كما تنسب إليه رسالة معنونة باسمه (رسالة برنبا) . (الموسوعة الميسرة ص ٣٥٤ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ١٧٢) .

فلسطين ، ولكن هذا الأصل فُقدَ . لا يصح هذا القول ، ليس فقط لأنه لا عبرة بأصل مظنون قد فُقدَ ، وإنما أولاً وبالأخص لأن مَتَى بالذات ، بل ومرقس أيضاً الناقل عن بطرس ، ذكر في إنجيليهما كما تعلم عبارات بلغة المسيح العبرية - الآرامية حَرَصاً كلاهما على ترجمتها إلى اليونانية ، ولو كانا يكتبان أصلاً بلغة المسيح لقارىء بلغة المسيح لما احتاجا إلى هذه الترجمة لأن قارئهما لا يحتاج إليها .

ولعلك تعلم أيضاً أن أسفار «العهد القديم» ، أى أسفار التوراة ، قد كانت لها قبل عصر المسيح ترجمات إلى اليونانية أشهرها قاطبة الترجمة السبعينية (١) ، التى سبقت مولد المسيح بنحو ثلاثة قرون موجهة إلى يهود الإسكندرية ومتهوديتها وإلى من «تأغرق» منهم فى غيرها ، الذين أنسوا عبرية التوراة ، وقد تضمنت الترجمة بالطبع تحويل صورة العَلَمِ التوراتى من أصله العبرى - الآرامى إلى صورة يونانية ، جرت بالتأكيد على السنة «متأغرقى» اليهود لا فى أوربا فقط بل وفى مصر والشام أيضاً .

وتستطيع أن تقول - مصيباً غير مخطيء - أن كتبة الأناجيل اليونانية استفادوا من هذا الرسم اليونانى «الجاهز» فى الترجمة السبعينية فנסجوا على منواله فى

(١) الترجمة السبعينية : نسخة التوراة اليونانية (سبتوجنت) هى التى يقال لها (التوراة السبعينية) سميت بالسبعينية لأنه اشترك فى ترجمتها ٧٢ حبراً من يهود فلسطين وقيل أنها كتبت فى ٧٠ ، أو ٧٢ يوماً ، وهى ترجمة للعهد القديم من اللغة العبرانية إلى اللغة اليونانية الإسكندرانية وقد تمت فى الإسكندرية بمصر بناء على طلب بطليموس الثانى الملقب فيلادلفوس (٣٠٩-٢٤٦ ق م) أو (٢٨٥-٢٤٧ ق م) ويظن البعض أنها ترجمت فيما بين سنتى ٢٥٠-٢٠٠ ق م .

وهذه هى النسخة التى ترجمت إلى اللاتينية ، وترجع أهميتها إلى أنها نقلت عن نصوص فقدت فيما بعد ، وقد عول عليها اليهود الهلينستيون والنصارى الذين كانوا يتكلمون اللغة اليونانية ، ولا تزال الكنيسة اليونانية وأتباعها وبعض الكنائس المشرقية يعولون عليها حتى اليوم ، رغم أن مخطوطة الترجمة الأولى مفقودة ، ويعترف بها كذلك نصارى الكاثوليك والأرثوذكس ، وتشمل التوراة اليونانية (السبعينية) على ٤٦ سفرأ أى أسفار موسى الخمسة + ٣٤ سفرأ + أسفار الأبوكريفا التى يعتقد العبرانيون ونصارى البروتستانت أنها محرقة وغير قانونية وهذه هى النسخة التى كانت سائدة فى أيام المسيح وبقى الإجماع على صحتها منعقدأ إلى ظهور البروتستانت فى القرن السادس عشر . (الموسوعة الميسرة ص ٩٥٩ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٧٦٨ و ٩٠٣ و ١١٢٩ ، وميزان الحق ط ٣ ص ١٠٤-١٠٥) .



العهد الجديد ، وتستطيع أن تقول أيضاً أن كتبة الإنجيل حين اقتبسوا من التوراة خصوصاً يستشهدون بها في العهد الجديد ، لم يرجعوا إلى أصل التوراة العبراني ، وإنما رجعوا رأساً إلى تلك «السبعينية» يستقون منها ترجماتهم اليونانية لما أرادوا اقتباسه من التوراة ، وهذا يفسر لك سبباً من أسباب عدم تطابق بعض تلك الاقتباسات مع أصلها في التوراة ، لأن في «السبعينية» أخطاء استدركت بعد عصر المسيح بقرون .

ولأنك - مسيحياً كنت أو مسلماً - تُحيل على المسيح صلواتُ الله عليه أن يخطيء في الاقتباس من التوراة في عبارات نَسَبَت الأناجيلُ اقتباسها إليه ، فليس أمامك إلا التسليم بأن كتبة الأناجيل اليونانية كتبوا ماكتبوه بوحى من ذاكرة تُسَعَفُ وتخون ، أو رجعوا إلى الأصل العبراني ولكنهم لم يحسنوا الفهم أو الترجمة ، أو تعجلوا فاستخدمواجمات يونانية جاهزة شاعت من قبل ، أو أنهم كتبوا لجمهور يوناني اللسان ، جادلوه بما يقرأ منجمات يونانية للتوراة في السبعينية أو في غيرها .

وربما اشتطت بك الغلواءُ فقلت إن كتبة الأناجيل اليونانية الأربعة أو معظمهم، وبالذات لوقا ويوحنا ، ماكانوا يتقنون العبرية شأنهم شأن يهود مصر والشام على عصر المسيح ، وماكانوا بالتالي يقرأون من توراة عبرية ، بل منجمات لها . هذا وذاك أبرأ لدينك أن تقول أصاب كتبة الأناجيل وأخطأ المسيح، معاذ الله .

ليس في هذه الأناجيل الأربعة إنجيل منسوب إلى حوارى شهد وعاین ، إلا إنجيل متى وحده ، الأول في ترتيب أسفار العهد الجديد ، إن قلت أنه « متى العشار » واسمه في الأصل « لاوى » المعدود بين الاثني عشر على ماتجده في إنجيله (متى : ١٠ / ٣) أما كاتب الإنجيل الثاني ، مرقس ، فهو من تلاميذ بطرس الحوارى ، سمع منه ولم يشهد أو يعاین شأن التابع والصحابى عند أهل الإسلام، وأما الإنجيل الثالث ، لوقا ، فهو يُفصحُ لك في مفتتح إنجيله عن أنه لم يشهد ولم يعاین : « إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما

سلمها إلينا الذين كانوا في البدء معانين وخداماً للكلمة ، رأيت أنا أيضاً إذ قد تبعت كل شيء من الأول بتدقق ، أن أكتب إليك على التوالى أيها العزيز ثاوفيلس<sup>(١)</sup> لتعرف صحة الكلام الذى عَلِّمْت به « (لوقا : ١ / ١ - ٤) فهو يونانى يكتب إلى يونانى ، والمشهور أنه سمع من بولس الذى تَعَلَّمُ بشهادته هو أنه لم يسمع ولم يعانين ، فلوقا إذن ناقلٌ عن ناقل ، وأما الإنجيل الرابع ، يوحنا ، فقد قالت الكنيسة إنه يوحنا الحوارى (التلميذ الذى كان المسيح يحبه) ، كتبه وقد أسنَّ قرب ختام المائة الأولى لميلاد المسيح ، سألوه فى كتابته ليرد على «بدع ظهرت» تجحُّد لاهوت المسيح ، أو تنكر أن قد كان للمسيح وجودٌ قبل مريم أمه ، أو تلاميذ ليحى بن زكريا يغالون به تلاميذ المسيح ، فاستجاب لهم وكتب هذا الإنجيل إثباتاً للاهوت المسيح خاصة .

وهذا يعنى أن قد كان قبل كتابة هذا الإنجيل مسيحيون ماتوا مؤمنين بالمسيح رسولاً نبياً ليس إلهاً أو ابن إله ، وقد أصرت الكنيسة على نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحوارى دعماً لشهادته التى تجهر بتأليه المسيح ، وليس هذا بصحيح ، لا لأنك شَهِدْتَ الكاتب الذى كتب هذا الإنجيل ، وإنما ببساطة لأن الكاتب ينهى إنجيله بما تفهم منه صريحاً أنه ليس هو يوحنا الحوارى ، وإنما هو ناقل عن يوحنا : « هذا هو التلميذ (أى يوحنا) الذى شهد بهذا وكتب هذا ونعلم أن شهادته حق ، وأشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة » (يوحنا : ٢١ / ٢٤ - ٢٥) ، إنه يُؤمِّن على أستاذه لا أكثر ولا أقل ، لأن الضمير فى «نعلم» ، «لست أظن» قاطع الدلالة على المغايرة بين هذا المتكلم الشاهد ليوحنا وبين يوحنا المشهود له .

فى هذه الأناجيل الأربعة إذن عناصر ثلاثة تَحْتَرِزُ منها كل الاحتراز كى

(١) ثاوفيلس : اسم شخص يونانى أو رومانى وجه إليه لوقا إنجيله وسفر الأعمال ، ولعله كان صاحب منصب كبير ، ولذلك خاطبه بصفة (العزيز) ، وهو تعبير لم يتبعه المسيحيون عادة مع بعضهم البعض ، وربما كان محامياً تدخل للدفاع عن بولس فى روما . (قاموس الكتاب المقدس ص ٢٣٣) . وفى سفر أعمال الرسل ١ / ١ «الكلام الأول أنشأته يا ثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلم به» .

لاتسبىء فهم مناطق به المسيح الذى خاطب ربه فى القرآن بقوله : « مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ » {المائدة : ١١٧} وهذه العناصر الثلاثة هي :

١ - عنصر الرواية : أعنى صدق الراوى فيما روى ، فلا تأخذ إلا بما أجمع عليه الرواة الأربعة ، أو بما لايتناقض مع ما أجمع عليه الرواة الأربعة .

٢ - عنصر الترجمة : أعنى صحة الترجمة من لغة المسيح إلى لغة الأناجيل اليونانية ، فتفهم «الأب» بمعنى «الرب» كما قالها موسى عليه السلام ، وتفهم «الابن» بمعنى البار المبرور المتبرر أى «مختار الرب» لا ابن الرب .

٣ - عنصر الرأى : أى القول الذى زاده الكاتب من عنده يفسر برأيه شيئاً من قول المسيح وفعله .

تفعل هذا كمسلم يقرأ فى هذه الأناجيل ، أما الكنيسة فقد احتاطت لحجية المكتوب فى هذه الأناجيل بالكلمة والحرف ، فقالت بأنه وحى الله على كاتبه بذات اللغة التى كتبوا بها . تَنَزَّلَ عليهم به الروح القدس ثالث الثلاثة فى عقيدة التثليث ، يعنى جبريل صلوات الله عليه ، وقالت أيضاً أن ما اختلفوا فيه يكمل بعضه بعضاً ، كل إنجيل يقص ماوعى مما سمع .

أما حين يصعب التوفيق بين النقيض ونقيضه من مثل « ابن الإنسان » ، « ابن الله » ، وهى « بار أنشا » ، « بار - أباً » الأراميتين ، فعندئذ يقال لك : فى المسيح ناسوت ولاهوت ، أو «الكلمة صار جسداً وحل بيننا » أو يقال لك أخيراً « عظيم هو سر التقوى » يعنى أن هذا فوق العقل ، تؤمن به كما علمت . وتؤمن أيضاً بأن آباء الكنيسة الذين صاغوا لك « قانون الإيمان » القائل بأن الله ثالث ثلاثة ، وبأن الثلاثة واحد أحد ، إنما قالوا ماقالوه هم أيضاً بوحي من الروح القدس بعد رفع المسيح ، فهم معصمون بعصمة الله عز وجل من الوقوع فى الخطأ ، هنا يمتنع الجدل ويمتنع الحوار .

ومن طريف القول أن بعض كاتبيهم يذهبون كل مذهب لا يخلو من تعسف ، يلتمسون به التفسير والتعليل لتسمية الثالث بالآب والابن والروح القدس ، يقول القس إبراهيم إبراهيم فى كتابه التثليث والتوحيد : « إن الذات والد النطق ، فيقال

له الآب ، والنطق مولود من الآب فيقال له الابن ، والحياة منبثقة من الذات ، فيقال لها الروح القدس ، فالله الآب قائم بذاته ، ناطق بخاصية الابن الذى هو النطق ، حى بخاصية الحياة التى هى الروح القدس ، والله الابن قائم بخاصية الحياة التى هى الروح القدس ، والله الابن قائم بذاته الذى هو الآب ، ناطق بخاصيته هو ، حى بخاصية الحياة التى هى الروح القدس ، والله الروح القدس ، قائم بخاصية الذات الذى هو الآب ناطق بخاصية النطق الذى هو الابن ، حى بخاصيته هو الذى هو الحياة ، هذا هو القول بالآب والابن والروح القدس الإله الواحد . . . » هذا هو شرحهم لعقيدة التثليث وعلاقة كل واحد من الثالوث بالآخرين ، وهو كما نرى كلام يستعصى على الفهم ويغوص بنا فى أعماق الميتافيزيقا ، ثم ينتهى إلى اللامعقول .

وقد قال نقاد أناجيل مسلمون أن الإنجيل المعنى فى القرآن ليس هو تلك الأناجيل الأربعة المعتمدة وحدها عند المسيحيين يوم نزول القرآن ، بل ثمة إنجيل آخر كتبه المسيح أو أملاه ولكن أتباع المسيح أضاعوه .

وليس على هذا القول دليل ، بل لديك من القرآن الدليل على عكسه ، أعنى أن القرآن ينظر إلى هذه الأناجيل الأربعة نفسها ، التى فيها من وحى الله ، وفيها من قول الرواة ، وأن الذى فيها من وحى الله على عيسى هو وحده المعنى بلفظة الإنجيل فى القرآن ، وماعدها ليس بإنجيل ، لقوله عز وجل فى هذا القرآن : ﴿وَلِيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ {المائدة : ٤٧} ، وماكان الله ليعمى عليهم إنجيلاً غير الذى بين أيديهم ، ولكنه طلب إليهم أن يتحروا ما أنزل الله فيه ، وينبذوا مازاد الرواة .

فكيف تميز أنت كمسلم بين ماقاله الله عز وجل فى هذه الأناجيل الأربعة وبين مازاد فيه الرواة ؟ قد علمت أن الله عز وجل يخاطب الخلق على لسان أنبيائه ، لا على لسان صحابة أو تابعين ، ولا على لسان حواريين أو رواة حواريين ، فالذى قاله الله عز وجل فى الأناجيل هو الذى نطق به المسيح نفسه مبلغاً عن ربه .

حيثما وقعت في الأناجيل على قول محكى من المسيح أنه قال ، عليك أن تضعه بين قوسين ، أو تخط تحته سطرأ ودعك من الباقي ، فليس هو من المسيح نفسه ضربة لازب وإنما هو من قول الكاتب ، يحتج به لمقولته في المسيح ، لا يُلزِمُك لأنه ليس من وحى الله على رسله .

خذ مثلاً تلك الديباجة الفخمة المُفخّمة التي افتتح بها يوحنا إنجيله ، المكتوب بعد رفع المسيح بما لا يقل عن ستين سنة في أقرب التقديرات ، يحتجُّ بها لعقيدته في لاهوت المسيح : « في البدء كان الكلمة . كان عند الله ، وكان الكلمة الله . هذا كان عند الله . كل شيء به كان ، وبغيره لم يكن شيء مما كان . فيه كانت الحياة ، والحياة كانت نور الناس . والنور يضيء في الظلمة ، والظلمة لم تدركه » (يوحنا : ١ / ١ - ٥) . ويمضى فيقول : « كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم . كان في العالم ، وكوّن العالمُ به ولم يعرفه العالم . إلى خاصته جاء ، وخاصته لم تقبله . وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله ، أى المؤمنين باسمه . الذين لا من دم ولا من مشيئة جسدٍ ولا من مشيئة رجل ولكن من الله ولدوا » (يوحنا : ١١ / ٩ - ١٣) .

هذا الكلام العويص <sup>(١)</sup> المبهم المُفخّم الذي قاله يوحنا في مفتتح إنجيله - أيًا كان رأيك فيه - ليس من وحى الله على رسله ، لأن قائله ليس المسيح ، وإنما القائل هاهنا هو يوحنا الكاتب ، يستعلن بعقيدته في ألوهية المسيح ، وأن الله والمسيح واحد (وكان الكلمة الله) ، ناسياً أنه سيقول بعد ذلك على لسان المسيح يناجى ربه : « أنت الإله الحقيقي وحدك » (يوحنا : ١٧ / ٣) <sup>(٢)</sup> ، فاتأخذ بقول يوحنا وتترك قول المسيح ؟

(١) لا يعتاص هذا الكلام على بسطاء مكفوفين - كما يقال لهم - بعُلُوّه على مداركهم ، وهو كما يعلم دارسو الفلسفة ، مُرَقَّعاتُ من فلسفات الإسكندرية وبالذات أفلوطين ، هذا يدُك على أن الكاتب ليس حوارياً ، فقد مات الحواريون وتبعوهم قبل مولد أفلوطين .

(٢) هذا من نقائص يوحنا الكاتب . وقد قيل أن «لاهوت المسيح» الذي في إنجيل يوحنا منحول نَحَلَهُ إياهُ نيقاويون يحتجون به لعقيدتهم . وهذا إن صح يفسر لك نقائصه .

أما وقد استصفت أقوال المسيح في هذه الأناجيل فخذ بأحسنها ، كالذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه ، معيارك في ذلك ألا تترك محكم القول إلى متشابهه ، بل تُحكّم المحكّم في المتشابه فتقيده به ، لا تُحكّم المتشابه في المحكّم وتفسر المحكّم بالمتشابه الذي يضطرك إلى قول المحال على الله عز وجل ، كالذي قيل في مجمع نيقية وماتلاه من مجامع .

وليس عليك بعد ذلك حرج إن كنت مسلماً يقرأ في هذه الأناجيل ، فقد وضح لك الطريق ، واستبان المنهج .

### ماهو الإنجيل :

لقد جرى التقليد على تعريف الإنجيل بأنه : البشارة أو الأخبار السارة ، وفي أحوال كثيرة فإن هذا التعريف تلحق به تخريجات لغوية تحاول تأكيده كما في الإنجليزية حيث نجد مايقال من أن كلمة : « الإنجيل = Gospel » وأنها تأتي من Good spell .

لكن حقيقة الأمر ليست على هذه الدرجة من البساطة ، فرغم أن التعريف السابق يعتبر هو الأكثر شيوعاً ، إلا أنه ليس التعريف الوحيد ، ذلك أن علماء المسيحية يحاولون حتى الآن تحديد ماهية الإنجيل ، باعتبارها شيئاً لايزال في حاجة إلى تحديد .

وفي واحدة من هذه المحاولات ، نجد «جون فنتون» يقول في مقدمة تفسيره لإنجيل متى : « إن أحد التعاريف الشائعة لكلمة الإنجيل أنه الشيء الذي يمكن تصديقه بثقة ، فإذا كان القارئ يقبل على إنجيل متى وهو يتوقع أن يجد فيه سرداً تاريخياً دقيقاً لحياة يسوع فسوف يصاب بخيبة الأمل .

لهذا يجب أن نبدأ بتحديد ماهية الإنجيل حتى نفهم كيف نقرؤه ، ونعلم ما الذي نبحث عنه بين طياته لكن سرعان ماتواجهنا هذه الصعوبة ، وهي أننا لانجد وسيلة تعيننا على تحديد ماهية الإنجيل إلا من الأناجيل نفسها .

إن أياً من الكتاب الذين عاشوا في الزمن الذي كتبت فيه الأناجيل لم يقدم لنا أى معلومات قد تعيننا على الإجابة على هذا السؤال : ماهو الإنجيل ؟

من أجل ذلك فإننا بحثنا في طبيعة الإنجيل والغرض منه ، صار مقصوداً على دراسة الأناجيل ذاتها ، وبعد أن أجرى فنتون دراسته فإنه استطاع أن يحدد ماهو الإنجيل بقوله : « يبدو أن كلمة إنجيل تعنى ترتيب المادة التي تتحدث عن أقوال يسوع وأفعاله بالطريقة التي تجعل المؤلف يعبر خلال مؤلفه كله عن معتقدات محددة ألزم نفسه بها (١) .

وعلى أية حال ، فإن واقع الأمر الذي نجده فيما بين أيدينا من أناجيل يجعل الاتفاق ممكناً - بل ولا مفر منه - بأن الإنجيل يحوى أخبار المسيح ، رغم أن الأناجيل جميعاً قصرت على تحقيق العناصر الرئيسية من هذه الأخبار مما دعا نقرأ من العلماء إلى تقرير أن الأناجيل لم تكن سيرة للمسيح أو مذكرات عن حياته ، أو حتى حوادث تستحق التدوين سطرها أشخاص لتحكى تعاليمه ، إنما الأناجيل عبارة عن تجميع لموضوعات متواترة تتناقلها الكنيسة شفاهة في أول الأمر ، ثم كتبت فيما بعد وصنفت لتحقيق مطالب الكنيسة في التهذيب والعبادة والدفاع عن معتقداتها . وإن اسم المؤلف أو المصنف إما أنه قد أبقى عليه بمحض الصدفة ، أو أنه أضيف فيما بعد ، كما حدث في القرن الثاني عندما جمعت الأناجيل معاً ثم أريد التمييز بينها بإضافة أسماء منفصلة لكل منها . فرغم أن عنوان المجموعة كلها كان الإنجيل - فقد حملت الكتب المختلفة منها عنواناً يقول : حسب رواية متى ، أو لوقا ، أو مرقس ، أو يوحنا (٢) .

ويقول دنيس نينهام في مقدمة تفسيره للإنجيل مرقس : « إنها حقيقة تصدمنا أنهم (كتبه الأناجيل) لم يخبرونا بشيء عن هيئة يسوع وبنيته الجسمية وصحته ، كما لم يخبرونا بشخصيته وعمه إذا كان - على سبيل المثال - سعيداً ، مبتهجاً ، رابط الجأش ، أم أنه كان على العكس من ذلك .

إنهم لم يفكروا حتى أن يخبرونا بطريقة قاطعة عما إذا كان قد تزوج أم لا ، كذلك فإنهم لم يعطونا معلومات محددة عن طول فترة دعوته ، أو عمره حين

(١) تفسير إنجيل متى - جون فنتون - عميد كلية اللاهوت بليتشفيلد بإنجلترا ص ٩ - ١٧ .

(٢) الأناجيل أصلها وتطورها ص ٢٦ - د/ فريدريك كلفتن جراند - أستاذ الدراسات اللاهوتية في الكتاب المقدس بمعهد اللاهوت الاتحادي بنيويورك .

توفى ، كما أنه لا توجد أقل نبذة عن تأثير بيئته الأولى عليه أو عن أى تطور فى نظريته ومعتقداته ، لقد أمكن حساب الفترة التى تلزم لإتمام الأحداث التى يرويها مرقس فوجد أنها لاتتعدى ثلاثة أو أربع أسابيع ، عدا الفقرة ١ : ١٣ التى تقول : « وكان هناك فى البرية أربعين يوماً يجرب من الشيطان » ، لقد دفعت هذه الحقيقة ستريتر أن يقرر فى كتابه « الأناجيل الأربعة » ص ٤٢٤ أن المجموع الكلى للأحداث التى سجلها الإنجيل صغير جداً لدرجة أن الثغرات الموجودة فى الرواية لابد أن تكون هى الجزء الجدير بالاعتبار .

إن الحقيقة التى نقرها - لأسباب لابد أن تكون قد وضحت الآن - هى أن الأناجيل ليست قصة حياة يسوع ، ومن النادر أن تمدنا هذه الأناجيل بالأساسيات التى يستطيع بها الناس أن يكتبوا مثل هذه القصة . (١)

### الحواريون وكتابة الأناجيل :

الحواريون هم أصحاب المسيح وخاصته الذين اختارهم ليكونوا تلاميذه وبادروا إلى الإيمان به ، وكانوا اثني عشر رجلاً كما جاء فى إنجيل متى ( ١٠ / ٢-٤ ) وهم :

١ - سمعان : الذى يقال له (بطرس) .

٢ - أندراوس : أخو سمعان (بطرس) .

٣ - يعقوب بن زبدي ، ويقال له يعقوب أخو الرب ، وهو الأخ الأكبر ليوحنا الحواري ، وأبوهما زبدي ، ويُظن أن أمهما سالومة ، ويظن أنها أخت مريم أم عيسى . (٢)

٤ - يوحنا أخو يعقوب . ٥ - فيلبس . ٦ - برثلماوس . ٧ - توما .

٨ - متى العشار جابى الضرائب . ٩ - يعقوب بن حلفى .

١٠ - لباوس : الملقب (تداوس) . ١١ - سمعان القانونى .

١٢ - يهوذا الإسخريوطى المتهم بخيانة المسيح .

(١) تفسير إنجيل مرقس - دريس إريك نينهم - أستاذ اللاهوت بجامعة لندن ورئيس تحرير سلسلة «بليكان» لتفسير الإنجيل .

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٧٥ .



ولا ينقضى القول فى هذا المبحث قبل التصدى لتأصيل معنى لفظة الحوارين التى سَمَّى بها القرآن صحابة عيسى عليه السلام . وخلاصته قول المفسرين فى هذا - ولم يوقفوا فيه - هو اشتقاقها من «الْحَوْر» على معنى البياض . (١) واخترعت فى تأييد هذا روايات لاسند لها فى المصادر المسيحية ، فقيل لبياض ثيابهم (وليس بلازم) وقيل كانوا «قصارين» صنعتهم تبيض الثياب (وليس بصحيح) وقيل كانوا صيادين (وهذا وإن صح لا يوجب التزام الثياب البياض) ، وقيل على المجاز لبياض قلوبهم ، أى نقاء سريرتهم (ولا يصح هذا فى حق يهوذا بالذات الذى وشى بالمسيح) . وقيل أيضاً أن الحوارى هو الصاحب الناصر ، لقوله ﷺ : «لكل نبي حوارى وحوارى الزبير!» (٢) وهذا الحديث وحده كافٍ فى امتناع تأصيل معنى الحوارى على «الْحَوْر» بمعنى البياض ، بياض الثياب أو تبيض الثياب أو الاشتغال بصيد السمك ، فلم يكن الزبير بن العوام رضى الله عنه هذا أو ذاك ، ولا على المجاز من بياض القلب ونقاء السريرة ، لا لمغمز (معاذ الله) فى بياض قلب الزبير رضى الله عنه ونقاء سريرته وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وإنما لأنه واحد من كثير من صحابة رسول الله ببيض القلوب أنقياء السريرة فلا يصح أن ينفرد وحده بلفظ الحوارى على هذا المعنى ، ولا يصح أيضاً انفراده وحده بالتسمية على معنى الصاحب والناصر وصحابة رسول الله رضى الله عنهم جميعاً كانوا كلهم هذا الصاحب الناصر ، فضلاً عن أن الصحبة والنصرة لامجال لاشتقاقهما من الْحَوْر على معنى البياض .

والصحيح أن «الحوار» مشتقة من حار / يحور ، بمعنى رَجَع ، ومنه فى القرآن : «إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ» [الانشقاق : ١٤] ، أى ظن الكافر أنه ليس براجع إلى ربه ، وعلى هذا المعنى قيل لولد الناقة منذ ولادته إلى أن يُقَطَّم وينفصل : «حُوَار» بضم فَتْح ، لأنه يلازم أمه لحاجة الرضاع ، لا يبعد عنها قدر رُمح فى لهوه ومراحه حتى يشوب إليها ، أى «يحور» فهو «حُوَار» . «الحوارى» إذن منسوب إلى هذا الحُوَار على المماثلة ، لأن صحابة عيسى عليه السلام كانوا فتيه

(١) راجع تفسير القرطبي للآية ٥٢ من سورة آل عمران .

(٢) عن جابر (رضى الله عنه) البخارى (٣٧١٩) ، ومسلم (٢٤١٥) ، والترمذى .

أيفاعاً ، شأن الزبير رضى الله عنه يوم أسلم ، وكانوا يلزمون «مُعَلِّمِهِمْ» لا يفارقونه ، يرتضعون منه نفحات علم النبوة .

### أسباب تأخير الأناجيل :

لقد كتبت الأناجيل الأربعة على مدى فترة زمنية تقدر بأكثر من ٦٠ عاماً ، والأخطر من هذا أن أقدمها لم يكتب في حياة المسيح ولا عقب رفعه مباشرة أو حتى بعد ذلك بوضع سنين ، لكنه كتب بعد ٣٥ عاماً مضت منذ رفع المسيح ، لهذا جاء العلماء في البحث عن الأسباب التي أدت إلى تأخير كتابة هذه الأناجيل ، وكانت خلاصة ما وصلوا إليه هو : « أن تأخير الكتابة لم يرجع إلى عامل واحد ، لكنه في الواقع يُرد إلى عدة عوامل مجتمعة هي التي جعلت التأخير أمراً لا مفر منه ، وهذه العوامل هي :

١ - نجد في المقام الأول أن المسيحيين الأوائل لم يكونوا - أو حتى الغالبية العظمى منهم - طائفة مثقفة أو متعلمة ، لكن وضعهم نجده في قول بولس : « ليس كثيرون حكماء حسب الجسد ، ليس كثيرون شرفاء ، بل اختار الله جهال العالم ليخزي الحكماء . . » (كورنثوس : ١ - ١٦) ، لقد كانوا الحقرء والسذج والفقراء ، ولاشك أن بعضاً منهم كانوا أميين ، وإن أقدم إنجيل - إنجيل مرقس - يرينا أى لغة إغريقية عامية خشنة كتبت بها هذا الإنجيل .

٢ - يضاف إلى هذا ، أنه بالنسبة للفترة الأولى من عملية التبشير بالإنجيل في فلسطين ، فقد كانت العادة هي نقل التعاليم الدينية شفاهة .

ولقد كان هناك معلمون كثيرون للعقائد الدينية في العالم الإغريقي الرومانى ، وهؤلاء لم تنقل تعاليمهم ألبتة في شكل مكتوب ، بل بالإسلوب الشفاهى ، وبناء على ذلك فإن مابقى منها في آخر الأمر لم يزد عن فكرة باهتة لوجهة النظر العامة التي تقول بها تلك العقائد ، بالإضافة إلى بعض الأقوال المبعثرة التي غالباً ماتكون غير المتن الأصلي ، وبذلك يصعب تفسيرها .

٣ - والعامل الثالث كان ثمن التكاليف والمواد اللازمة للكتابة ، إن ذلك قد لا يكون عائقاً للشخص العادى ، لكنه ولاشك يعتبر عائقاً بالنسبة للمعتمدين الذين كانوا يمثلون الأكثرية الساحقة من المسيحيين الأوائل .

٤ - وثمة عامل آخر كان له أثره الفعال في عملية إنتاج روايات مكتوبة عن حياة المسيح وتعاليمه ، ألا وهي تفضي فكرة المجيء الثاني ، أي عودة المسيح ثانية إلى الأرض في مجده .

٥ - وأخيراً فقد كانت هناك الصعوبة في جمع البيانات والمعلومات اللازمة للكتابة ، إذا يحق لنا أن نسأل : كيف يجد المسيحي العادي في الفترة المبكرة من حياة الكنيسة التي اتسمت بالاضطهاد والاضطراب من الوقت مايمكنه من جمع المعلومات عن حياة المسيح ؟

يبد أنه بمرور الوقت ظهرت الحاجة إلى السجلات المكتوبة ، وذلك بعد موت أولئك الذين كانوا معانين وخداماً للكلمة (كما يقول لوقا) ، وبعد أن انتشرت الكنيسة خارج حدود فلسطين ، بل قد حدث في داخل فلسطين ذاتها أن تشتت الكنيسة أكثر من مرة نتيجة للاضطهاد الذي لاقته .

ولقد كان الاضطهاد اليهودي للمسيحيين شديداً ، ثم مالبث هؤلاء أن تعرضوا للمذابح على أيدي حكام روما ، وسواء كانت اليد الخفية وراء ذلك الاضطهاد الروماني هي يد اليهود - كما هو شائع عما حدث في روما تحت حكم نيرون أم لم تكن ، فالذي يعيننا هو أن تلك السنوات الأولى الهامة والحاسمة في تشكيل العقيدة المسيحية قد اتسمت من قبل السلطات المسئولة - سواء كانت دينية يهودية أو دنيوية رومانية - باضطهاد دموي ومطاردات وتشريد ، وهو الأمر الذي ساعد على صد الطائفة -المسيحية - الجديدة عن الاهتمام بالكتابة وأعاقها عن التسجيل ، فاكتفت بمعتقداتها في المجيء الثاني ، وقعدت تنتظر الخلاص الوشيك .

ولكن عندما أوشك الجيل الأول الذي عاصر المسيحيين على الانقراض وتباعد الأمل في تحقيق المجيء الثاني ، ظهرت الحاجة الماسة إلى تدوين الذكريات ، وكان هذا العمل من نصيب الجيل الثاني في المسيحية ، وهكذا بدأت كتابة الأناجيل بعد عشرات السنين من رحيل صاحب الدعوة ، وقتل وتشريد أغلب تلاميذه ومريديه وسط أجواء تغلفها الكآبة ويسودها الاضطراب .

## كتابة الأناجيل :

إن الباحث في الأديان يجد أن الكتاب المقدس عند جميع الطوائف والكنائس المسيحية يشتمل على أربعة أناجيل وهى إنجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا ، وحقيقة فنحن نصادف أقوالاً إلهامية عديدة منسوبة إلى عيسى عليه السلام فى هذه الأناجيل . ونحن نلاحظ أن عدداً كبيراً من الباحثين النصارى وخاصة من بين الأوربيين قد توسعوا فى الدراسة النقدية لهذه الأناجيل لمعرفة الصحيح من الدخيل المدسوس فيها ، وهم يقررون أن هذه الأناجيل قد ألفت لمعرفة الصحيح من الدخيل المدسوس فيها ، وهم يقررون أن هذه الأناجيل قد ألفت بعدما يقرب من أربعين وثمانين عاماً من رحيل عيسى عليه السلام ، وعلى أساس من بعض الوثائق القديمة والتي هى مفقودة الآن .

ونجد العلماء المختصين بدراسة التوراة يثبتون بعض المصادر القديمة على أنها أساس وأصل لهذه الأناجيل المعترف بها لدى الكنائس بما يلى :

١ - Q وهو مصدر ألماني مفقود الآن ، وقد كتب أصلاً باللغة الآرامية ، ووصل هذا المصدر إلى كتاب الأناجيل بترجمة يونانية .

٢ - Urmarcus وهو مسودة أولية لإنجيل مرقس ، وهو مكتوب على أساس من خطب Peter بطرس عن عيسى عليه السلام .

٣ - L وهو مجموعة من التقارير عن عيسى عليه السلام مستعملة فقط عن طريق لوقا .

ويقرر كثير من الباحثين النصارى من الغربيين أن المقارنة بين هذه الأناجيل الأربعة تظهر لنا أن مؤلفيها قد استخدموا تلك الوثائق بحرية واسعة ، حتى أنهم لم يترددوا لحظة فى تغيير أشياء معينة فى تلك الوثائق لكي تتلائم مع هدفهم الخاص .

ومن كتب العهد الجديد كتب جاوزت السبعين منسوبة إلى عيسى ومريم والحواريين وتابعيهم ، والمسيحيون الآن يدعون أن كلاً من هذه الكتب من الأكاذيب المصنوعة .<sup>(١)</sup>

(١) مثل (إنجيل ميلاد مريم وطفولية المسيح) ، ومنه نسخة مطبوعة سنة ١٨٣٢ م ومحفوظة فى المكتبة الوطنية بباريس ، (وإنجيل توما الإسرائيل) ، وجده العلامة كوتليسيه ، وتوجد منه =

## إنجيل مرقس Mark :

وهو أول إنجيل كُتب ، وقد كتب في روما بعدما زعم بصلب عيسى عليه السلام بأربعين عاماً على الأقل ، وهذا الإنجيل كما هو بين أيدينا الآن إنما هو رواية موسعة للمصدر المعروف Urmarcus والذي قال عنه الكاتب المسيحي القديم بابياس : « في الواقع أن مرقس الذي كان ترجماناً لبطرس ، قد كتب بالقدر الكافي من الدقة التي سمحت بها ذاكرته ما قيل عن أعمال يسوع وأقواله ، ولكن دون مراعاة للنظام ، وقد حدث ذلك ، لأن مرقس لم يكن قد سمع يسوع ولا كان تابعاً شخصياً له ، لكنه في مرحلة متأخرة كما قلت أنا بابياس من قبل ، قد تبع بطرس الذي اعتاد التوفيق بين تعاليم المسيح والمطالب » .

ولقد كتب هذا الإنجيل بعد استشهاد بطرس (سنة ٦٥ للميلاد) في وقت - مع العلم بأن مرقس نفسه لم يكن تلميذاً لعيسى - لم يكن فيه مرقس على اتصال شخصي بأحد تلاميذ عيسى ، الذي عن طريق معرفتهم يمكنه (أي مرقس) أن يحص روايته .  
ولمعرفة حقيقة مرقس ، نجد نينهام يقول : « لم يوجد أحد بهذا الاسم عرف أنه كان على صلة وثيقة وعلاقة خاصة بيسوع ، أو كان له شهرة خاصة في الكنيسة الأولى . .

= نسختان متخالفتان ، واحدة في باريس وواحدة في مكتبة فيينا ، (وإنجيل جاك الأصغر) ، وجده غليوم بوستل وطبعه في بال بسويسرا سنة ١٥٥٢م ، ثم طُبع في سترا سبورج بألمانيا سنة ١٥٧٠م ، ثم جاء العلامة نياندر قطبعه بصورة تخالف ماعدن غليوم ، (وإنجيل نيكوديم) أي نيقوديموس ، وكان مقبولاً ومنتشراً في أرجاء أوروبا إلى القرن الخامس عشر ، وطبع في إنجلترا سبع طبعات في ٢٥ سنة ما بين عامي ١٥٠٧-١٥٣٢م ، وترجم للإيطالية والألمانية مراراً ، (وإنجيل الطفولية) ويعتبر الإنجيل الخامس ، وهو إنجيل منسوب لبطرس الخواري ومكتوب باليونانية ، ووجد هنري سيك في القرن السابع عشر نسخة عربية منه طبعها ونشرها في أوروبا ، (وإنجيل مارسيون) الذي تأخذ به الطائفة المارسانية ، وهو قريب الشبه بإنجيل لوقا ، (وإنجيل برنابا) الذي وجد في القرن الثامن في مكتبة أحد أمراء أوروبا وترجم للإنجليزية والعربية ، وطبع بهما مراراً ، وهو موافق للقرآن الكريم في النص على وحدانية الله وعدم صلب المسيح ، وأنه نبي مبشر بمحمد ﷺ ، (وإنجيل يعقوب) ويظن أنه كتب في القرن الثاني ، (وإنجيل الأبيونيين) ، (وإنجيل المصريين) ، (وإنجيل العبرانيين) ، (وإنجيل الناسيين) ، وغيرها كثير . (قاموس الكتاب المقدس ص ١٢٢ ، ودائرة جدي ١ / ٦٥٥) .

ومن ذلك يتضح أن أحداً لا يعرف بالضبط من هو مرقس كاتب الإنجيل ، وإن كان الرأي الشائع أنه كان من تلاميذ بطرس وتابعيه .

وإذا كان الرأي الشائع كذلك أن مرقس كاتب الإنجيل كان هو مبشر الإسكندرية وأول أسقف لكنيستها ، فإن بعض العلماء يعتبر هذا الرأي من المأثورات العجيبة ، تماماً مثل الاستدلال الخاطيء الذي توصل إليه أوغسطين من أن : مرقس كان واحداً من الذين تبعوا متى ، واختصروا إنجيله .<sup>(١)</sup> كذلك فإن أحداً لا يعرف بالضبط من أين جاء هذا الإنجيل ، فالبعض يقول : أنطاكية أو مصر أو روما - لكن الرأي الشائع أنه جاء من روما .

ويشير هذا الإنجيل كغيره من الأناجيل عدداً من المشاكل ، من أخطرها ولاشك ، مشكلة الاختلافات التي تظهر في النسخ المختلفة للإنجيل الواحد وذلك بالإضافة إلى اختلافه مع غيره من الأناجيل .

يقول نينهام : « سوف يتحقق القراء من أن الإنجيل قد كتب أولاً باليد ، واستمرت هذه الطريقة اليدوية تستخدم لقرون طويلة في إنتاج نسخ منه .

ولقد زحفت تغييرات تعذر اجتنابها وهذه حدثت بقصد أو بدون قصد ، من بين مئات المخطوطات لإنجيل مرقس ، والتي عاشت إلى الآن ، فاننا لانجد أى نسختين تتفقان تماماً .

وثمة مشكلة أخرى هامة ، ألا وهى خاتمة الإنجيل ، وذلك أن هذا الإنجيل كغيره من الأناجيل وخاصة إنجيل متى ، غير متفق عليها فى النسخ المختلفة ، إذ أن الإصحاح السادس عشر - وهو الأخير - من إنجيل مرقس يحتوى على ٢٠ عدداً ، لكن الأعداد من رقم ٩ إلى رقم ٢٠ - وهى آخر الإنجيل تعتبر فى نظر بعض المراجع الهامة مثل النسخة القياسية المراجعة من العهد الجديد كأنها فقرات غير موثوق منها .<sup>(٢)</sup>

(١) الأناجيل أصلها وتطورها -د/ فريدريك كفلتن جرانت - أستاذ الدراسات اللاهوتية فى الكتاب المقدس بمعهد اللاهوت الاتحادى بنيويورك . ص ٧٤ .

(٢) تفسير إنجيل مرقس - دنيس إريك نينهام - أستاذ اللاهوت بجامعة لندن ورئيس تحرير سلسلة «بليكان» لتفسير الإنجيل ص ١١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ .

فمما سبق يتبين بوضوح أن أحداً من الناس لا يدري حقيقة الخاتمة التي انتهى بها إنجيل مرقس ، وأن الغموض الذي يحيط بالخاتمة لا يختلف كثيراً عن الغموض الذي يكتنف شخصية مرقس الذي التصق اسمه بهذا الإنجيل .

### إنجيل متى Mattew :

هو الإنجيل الأول في ترتيب الأناجيل ولكنه الثاني كتابةً ، فقد كتب باللغة اليونانية في مدينة أنطاكية حوالي ٩٠ بعد الميلاد ، ويقرر الباحثون من النصارى الغربيين أن مؤلف هذا الكتاب قد استفاد على الأقل من مصدرين وهما : Q و Urmarcus ، كما أنه يقررون أنه لا يوجد عالم مستقل في تفكيره يعتبر هذا الإنجيل عملاً لمتى تلميذ عيسى عليه السلام ، ويقررون أنه إذا كان متى قد ألف شيئاً ، فإنه ألف فقط ذلك المصدر وهو Q ، فيما يتعلق بالحرية التي أعطاه لنفسه ذلك المؤلف المجهول لهذا المصدر ، في تلاعبه بالمادة الأصلية .

ومتى يهودى ولاشك ، وهو يختلف عن مرقس الذي لا يفهم اليهود ولا يتعاطف معهم إلا قليلاً ، كما أنه يختلف عن لوقا الذي يفهم اليهود جيداً ، ويعرف حسن إيمانهم وقوته .

وأما بالنسبة لتاريخ كتابة هذا الإنجيل فيمكن القول أنه « كتب في حوالي الفترة من ٨٥ إلى ١٠٥ م ، وعن أية حال فيمكن القول بأنه كتب في الربع الأخير من القرن الأول أو في السنوات الأولى من القرن الثاني .<sup>(١)</sup> وفيما يتعلق بمكان تأليف إنجيل متى « فإن شواهد قوية تشير إلى أنطاكية باعتبارها موطنه الأصلي . . ولما كان من الصعب ربط الإنجيل بمدينة محددة مثل أنطاكية فمن المناسب إذن أن نقول بأنه يأتي من مكان في المنطقة المحيطة بها ، أو أى مكان ما يقع في شمال فلسطين » .<sup>(٢)</sup> ويوجد في هذا الإنجيل عدد من المشاكل الخطيرة يمكن تحديدها في ثلاث نقاط رئيسية هي :

(١) تفسير إنجيل متى - چون فتون - عميد كلية اللاهوت بليثفيلد بإنجلترا ص ١١ .

(٢) الأناجيل أصلها وتطورها - د/ فريدرك كلفتن جرانت ص ١٤٠ .

١ - خطأ الاستشهاد بنبؤات العهد القديم .

٢ - توقع نهاية العالم سريعاً : فهو قد توقع أن تأتي نهاية العالم فى أيام المسيح قبل أن يكون رسله قد اكملوا التبشير بالإنجيل فى مدن إسرائيل .

٣ - ثم تأتي خاتمة إنجيل متى التى شك فيها العلماء ويعتبرونها دخيلة عليه ، فهى تنسب للمسيح قوله لتلاميذه : « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » (متى : ٢٨ / ١٩) . ويرجع السبب فى ذلك الشك كما يقول أدولف هرنك إلى الآتى :

١ - لم يرد إلا فى الأطوار المتأخرة من التعاليم المسيحية ما يتكلم عن المسيح وهو يلقى مواعظ ويعطى تعليمات بعد أن أقيم من الأموات وأن بولس لا يعلم شيئاً عن هذا .

٢ - إن صيغة التثليث هذه (التي تتكلم عن الآب والابن والروح القدس ) غريب ذكرها على لسان المسيح ، ولم يكن لها نفوذ فى عصر الرسل ، وهو الشيء الذى كانت تبقى جديرة به - لو أنها صدرت عن المسيح شخصياً .<sup>(١)</sup>  
وبعد - لقد كان من تلاميذ المسيح الاثنى عشر جابى ضرائب يدعى متى ، وإليه نسب هذا الإنجيل الذى اعتبر نسخة مطولة من إنجيل مرقس .  
ويرجع كتابة هذا الإنجيل فى الفترة من ٨٥ إلى ١٠٥ م أى بعد أكثر من ٥٠ عاماً بعد رفع المسيح - ولعله كتب فى أنطاكية أو قريباً منها .

### إنجيل لوقا : luke

يؤكد الباحثون أنه كتب فى مكان ما من بلاد اليونان حوالى عام ٨٠ ميلادية ، تلبية لطلب موظف مرموق هو ثاوفيلس ، ومن المحتمل أنه كان موظفاً كبيراً فى الإمبراطورية الرومانية ، كما يقرر الباحثون أن هذا الإنجيل فى جملته خطاب اعتذارى موجه إلى غير اليهود ، وأن لوقا كان صديقاً ورفيق سفر للقديس بولس

(١) تاريخ العقيدة - د/ أدولف هرنك - أستاذ تاريخ الكنيسة بجامعة برلين ويعتبر واحداً من أكبر العلماء فى التاريخ الكنسى - له أبحاث ومؤلفات عديدة من أهمها هذا الكتاب الذى يقع فى سبعة أجزاء - وقد ظهرت طبعته الثالثة الألمانية عام ١٨٩٣ م ثم نقل عنها إلى الإنجليزية عام ١٩٠٠ م .



الذي أدخل تعاليم كثيرة إلى النصرانية .

وقد كتب الأستاذ كيليت يقول : « إن لوقا كاتب يوناني وهو يكتب كمؤرخ يوناني يوجب الحذر منه ، إذ أنه في بعض الحالات يضع كلاماً من عنده على لسان أبطاله والقصة الجميلة تبدو حقيقية عنده بسبب أنها جميلة . . والقصة كلها عبارة عن أسطورة مشهورة أخذت وكتبت من جديد بجاذبية خلافة عن طريق رجل له مواهب هيروديتية» . (١)

ويبدأ لوقا إنجيله بمقدمه هامة ألقت كثيراً من الضوء على ماكان يحدث في صدر المسيحية وخاصة فيما يتعلق بتأليف الأناجيل ، ويتضح من هذه المقدمة جملة أمور لا بد من التسليم بها وهي :

١ - أن لوقا يكتب رسالة شخصية إلى ثاوفيلس ، وأن هذه الرسالة تكتب على التوالي حسبما تتوفر لها إمكانيات الكتابة من وقت ومعلومات .

٢ - وأن لوقا قام بهذا العمل بدافع شخصي بحث بغية أن تصل المعلومات التي علم بها إلى ثاوفيلس ، ولم يدع الرجل في رسالته أنه كتبها بإلهام أو مسوقاً من الروح القدس ، أو أنه كتبها لأنها الحق المقدس ، بل إنه يقرر صراحة أن معلوماته جاءت نتيجة لاجتهاده الشخصي لأنه قد تتبع كل شيء من الأول بتدقيق .

٣ - كذلك يقرر لوقا أن كثيرين قد أخذوا في تأليف أناجيل .

٤ - وأخيراً يعترف لوقا بأنه لم ير المسيح ولم يكن من تلاميذه ، لكنه كتب رسالته عن المسيح إلى ثاوفيلس بناء على المعلومات التي تسلمها من الذي عاينوا المسيح وكانوا في خدمته .

ولقد حاول العلماء معرفة ثاوفيلس - ذلك الذي وجه إليه لوقا رسائله ، لكن جهودهم في هذا السبيل لم تصل إلى نتيجة محققة ، ولم يتعد الأمر تقديم بعض الفروض والتخمينات حول شخصية ثاوفيلس ، تماماً مثل شخصية لوقا نفسه .

ورغم أن الموضوع لايتعدى مجرد احتمالات غير مؤكدة ، فليس من المتعذر أن يكون مؤلف إنجيل لوقا قد جمع مادته في فلسطين أو سوريا مبكراً في الفترة

(1) E.E. Kellett . Ashort History of Religlons , pelican Books P. 173 .

ما بين ٧٠ - ٨٠ ميلادية إن لم يكن قبل ذلك ، ثم ربطه بالجزء الأكبر من إنجيل مرقس في وقت ما من السبعينات ، ثم أصدر إنجيله حوالى عام ٨٠ أو ٨٥ م ، وبعد ذلك بحوالى خمس سنوات فإنه ذيل كتابه الأصيلى برسالة ثانية نعرفها الآن باسم أعمال الرسل ، لكى ترد على أسئلة المثقفين وربما كبار موظفى الرومان مثل ثاوفيلس ثم نشر مصنفه فى حوالى ٩٥ ميلادية . (١)

ويعانى نص إنجيل لوقا من التغييرات التى تعانى منها الكتب الأخرى للعهد الجديد ، إلا أن النص الغربى للإنجيل وسفر أعمال الرسل يعانى من اختلافات كثيرة ومثيرة - بالحذف أو الإضافة - عما فى النصوص الأخرى لذات الإنجيل مثل النص السكندرى والبيزنطى . (٢)

كذلك لاحظ العلماء أن إنجيل لوقا يحتوى على ١١ فقرة ذكرها لوقا مرتين فى موضعين مختلفين من الإنجيل (ولعشرة منها نظيرها فى مرقس) .

ثم هناك المشكلة الحادة التى نتجت عن تسلسل نسب المسيح كما ذكره لوقا ، إذ أنه يختلف عما ذكرته أسفار العهد القديم عن نسب أجداد المسيح ، كما أنه يختلف عن نظيره فى إنجيل متى .

### إنجيل يوحنا John :

يقرر الباحثون الغربيون أن إنجيل يوحنا قد كتب فى أوقريياً من أفسس ما بين ١١٠ و ١١٥ للميلاد بواسطة كاتب مجهول ، كانت له ميول معادية للسامية ، إذ أنه قدم اليهود على أنهم أعداء للمسيح عليه السلام ، كما يقررون أيضاً أنه لا يوجد عالم مستقل فى تفكيره يعتبر هذا الإنجيل عملاً ليوحنا الزبدي الذى قطعت رقبتة عن طريق أجربيا الأول فى عام ٤٤ م ، أى بزمن طويل قبل أن يكتب الإنجيل الرابع ، ونجد العلماء الإنجيليين لايتساءلون فقط عن القيمة التاريخية لهذا الإنجيل ، بل أنهم بالإضافة إلى ذلك يرفضون صدق الكلمات الموضوعية عن طريقه على لسان عيسى عليه السلام .

(١) الأناجيل أصلها وتطورها ص ١٢١ - ١٢٨ .

(٢) الأناجيل أصلها وتطورها ص ١٨٣ - ١٨٨ .

ويرى العلماء أن إنجيل يوحنا يعتبر تقديماً درامياً لحياة يسوع ورسالته وموته وتمجيده ، وأنه كتب بغرض التعلم والعبادة في الكنائس ، وكذلك للتبشير والدعاية خارج الكنيسة .

وتقول دائرة المعارف الأمريكية : « إن إنجيل يوحنا الذي انتسب صواباً أو خطأ إلى التلميذ الذي كان يسوع يحبه ، يعتبر الإنجيل المحبوب للكثيرين ، بيد أن العلماء يجادلون فيه باعتباره جزءاً من مشكلة يوحنا ، ولهذا الجدل أسباب قوية منها ، ذلك التضارب الصارخ بينه وبين الأناجيل الثلاثة المتشابهة . فهذه الأخيرة تسير حسب رواية مرقس للتسلسل التاريخي للأحداث ، فتجعل منطقة الجليل هي المحل الرئيسي لرسالة يسوع ، بينما يقرر إنجيل يوحنا أن ولاية اليهودية كانت المركز الرئيسي .

إن مشكلة إنجيل يوحنا الذي ينتسب إلى أحد تلاميذ المسيح ، والذي لا يعلم بالضبط موضع كتابته وتوقيتها - تتركز أساساً على اختلافه مع بقية الأناجيل ، ذلك الاختلاف البين في الواقع والتعاليم .

وأخيراً - قد كتبت تلك الأناجيل التي تعكس تماماً التصور للحاجات العملية للمجتمع الذي كتبت من أجله ، وقد استخدمت في هذه الأناجيل المادة التي تعتمد على النقل ، ولكن لم يكن هناك تردد في تغييرها أو إجراء إضافات إليها أو حذف ما لا يتناسب مع غرض الكاتب .

يبقى لنا شيئاً وهو معنى لفظة إنجيل ، فلقد وردت لفظة « الإنجيل » في القرآن اثنتي عشرة مرة ، هي : ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ [آل عمران : ٣] ، ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ [آل عمران : ٤٨] ، ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [آل عمران : ٦٥] ، ﴿ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة : ٤٦] ، ﴿ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾ [المائدة : ٤٧] ، ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ [المائدة : ٦٦] ، ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ [المائدة : ٦٨] ، ﴿ وَإِذْ عَلَّمْنَا الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ [المائدة : ١١٠] ، ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] ، ﴿ وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ﴾ [التوبة : ١١١] ،

﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح : ٢٩] ، ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ [الحديد : ٢٧] .

وأول ماتستظهره من هذه الآيات أن الإنجيل كتاب مُنَزَّل شأنه شأن التوراة والقرآن ، ليس مجرد بشارة أو رسالة ، لانصح فيه معاني « إنجيليون » اليونانية إن حسبتها يونانية ، وإنما المعنى أنها مكتوبة عند ربك في اللوح المحفوظ ، يتنزل بها ملائكة الله على عباده الذين اصطفى .

ثاني ماتستظهره من هذه الآيات أن « الإنجيل » نزل على ذات القوم الذين أنزلت فيهم التوراة من قبل ، قلما يجيء إلا على الإلصاق بالتوراة قبله أو على التجاور مع هذه التوراة التي أنزل الله على موسى مقصوداً بها بنو إسرائيل ، فهو « مُلْحَقٌ » على الأصل ، تكملة لوحى الله على بنى إسرائيل ، وقد قالها المسيح بالنص في هذه الأناجيل : « ماجئت لأهدم الناموس والأنبياء ، وإنما جئت لإكمل » فلا يصح أن يقال أن الإنجيل ناسخ للتوراة ، وإنما هو وهى واحد ، وإنما الإنجيل جلاء وتبيين ، على أن المسيح عليه السلام جاء رحمة لليهود ، يخفف عنهم بعض الذى شدد الله عليهم ، ريثما يجيء الرسول الخاتم ، الرحمة المهتدة للخلق أجمعين ، فهو من هذا الوجه « مَوْطِئٌ » لخاتم النبيين .

وثالث ماتستظهره من هذه الآيات أن الإنجيل الذى فيه هدى ونور ، فيه أيضاً شريعة أحكام ، لقوله تعالى : ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة : ٤٧] ، وفى هذا لفظة بليغة إلى خطر الاعتداد بغير مافى الأناجيل من وحيه عز وجل ، فلا عبرة بقول يقال من بعد رفع المسيح ، كالذى قيل بإسقاط الختان واستحلال الخنزير ، فلا وحي يتنزل على تلاميذ .

أما معنى لفظة إنجيل التى وردت فى القرآن ، فقد قال المفسرون أنها عربية من « النَّجْل » بمعنى الأصل <sup>(١)</sup> ، فالإنجيل على هذا القول أصل لعلوم وأحكام ، وقيل هو من نَجَلْتُ الشئ إذ استخرجته ، فالإنجيل مستخرج به علوم وحكم ،

(١) راجع تفسير القرطبي للآية ٣ من سورة آل عمران .

فقد استخراج الله به دارساً من الحق عافياً ، وقيل من التناجل بمعنى التنازع ، لتنازع الناس فيه ، وليس هذا كله بشيء .

فماذا فسّر القرآن الإنجيل ؟

فسره بأدق مرادف وأبينه : إنه « البيئات » ، أى « الجليات الواضحات » ، وليس أقرب من هذا إلى العبرانية « جليون » الجلى المجلو . جاء بها القرآن بلفظ الجمع لإفادة إنزال الإنجيل على المسيح تبعاً ، شأن القرآن ، لاشأن التوراة المنزلة على موسى دفعة واحدة فى الألواح .

لم يفسر الإنجيل فى القرآن بالترادف على التجاور ، وإنما رفع القرآن لفظة إنجيل من الآية ووضع فى موضعها « البيئات » وكأن البيئات من أسمائه وهذا أبلغ التفسير فى القرآن بالمرادف .

قال عز وجل يُجانس البيئات على إنجيل : ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ {البقرة : ٨٧} ، ومثلها بذات نصها فى نفس السورة برقم ٢٥٣ وأما الحاسمة القاطعة فى أن الإنجيل هو المعنى بلفظ البيئات فقولُه عز وجل : ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ {الزخرف : ٦٣} ، يصف فيها عيسى البيئات التى جاء بها بأنها الحكمة وبيان الذى اختلفوا فيه ، لا يصح فهم البيئات فى هذه الآية بالذات بمعنى المعجزات التى أجزاها الله على يديه بتأييد من روح القدس ، وإنما هى وحى الله على عيسى الذى فى الإنجيل ، إذا لا يصح وصف المعجزات بأنها « الحكمة » أو بأنها « بيان الذى اختلفوا فيه » . وقد أوتى عيسى أمرين : البيئات ، أى الإنجيل ، ثم المعجزات التى أيده فيها الله « بروح القدس » ، لا يصح الخلط بين هذا وذاك ، وقد فسّر القرطبي فى تفسيره الآية ٨٧ من سورة البقرة لفظ البيئات بأنه الحجج والدلائل ، وهذا جيد ، فليس وحى الله على رسله إلا هذا ، ولكنه لم يعلم معنى الإنجيل فى أصله الأعجمى « هَجَلِيون » الجلى المجلو ، ولو علمه لمارتد فى تفسير البيئات بالإنجيل نفسه ، كتاب الله على عيسى .

ومن طريف ما ذكره « إنجيل برنابا » الذى أنكرته الكنيسة ، قول المسيح لتلاميذه

يصف إنجيله وكأنه يفسر التسمية : « وقال التلاميذ بعد ذلك : لقد تكلمت فأوضحت بشكل لم يوضح رجل قبلك ما أوضحت ، فقال عيسى : صدقوني عندما اختارني الله لأكون رسولاً لبني إسرائيل ، أعطاني كتاباً وكأنه المرأة الشفافة ، فنزل إلى قلبي فلا أتكلم إلا بما كتب فيه ، وعندما يفرغ ماسطر به ، سأترك العالم .

فأجاب بطرس : يامعلم ، هل ماتتكلم به الآن سطر في هذا الكتاب ؟ فأجاب عيسى : كل مايتعلق بالله وملكوت الله وخدمة الله ، وكل مايتعلق بالإنسان وخلص الإنسانية هو من هذا الكتاب الذي هو إنجيلي» . (برنابا : ١٦٨ / ١ - ٥) (١)

ليس بعد هذا بيان في تفسير معنى إنجيل عبرياً على لسان صاحب الإنجيل : إنه « الكتاب المرأة » ، « هَجَلْيُون » المرأة الشفافة الجالية المجلوة . ولا يقدر في استشهدنا بإنجيل برنابا أنه إنجيل أنكرته الكنيسة ، فلأمدخل هاهنا لإقرار الكنيسة أو إنكارها ، لأن خصوم إنجيل برنابا أنفسهم يعترفون لكاتب هذا الإنجيل - أياً كان كاتبه - بأنه فقيه من فقهاء العبرية ، ضليع متضلع من عبرية التوراة خاصة ، حتى أنهموه بأنه يهودى أسلم ؛ الإنجيل إذن « هجليون » العبرية من الجلاء والتبين ، آلت على قلم كتبة الأناجيل إلى « إنجيليون » ، وعلى معنى الجلاء والتبيين فسرت لفظة إنجيل في القرآن .

(١) إنجيل برنابا ، ترجمة أحمد طاهر - دار المعارف ص ٣٣١ ، ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر ١٩٥٨ ، ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ ترجمة الدكتور خليل سعادة .

## مريم والمسيح

إن أحداً من الباحثين المسلمين أو المسيحيين لم يهتم ، وللأسف البالغ ، بالبحث عن تلك الصورة التاريخية المفقودة لكل من مريم والمسيح ، وعن صدى ذلك على دعوته ومواقفه من مواطنيه وبنى قومه ومدى ما انعكس من آثار ذلك فى سياق الأناجيل المعتمدة .

لقد أهمل المسيحيون تماماً منذ القرن الرابع للميلاد أى اهتمام حقيقى بالتناول التاريخى لشخصية مريم الناصرية والدة المسيح ، وكرسوا اهتمامهم الأكبر على الجانب الطقسى والعقائدى بشأنها . فمذ استقر أمرهم بعد مجمع نيقية سنة ٣٢٥م على تأليه المسيح اندفعوا فى تمجيدها وتقديسها ، حتى تم ذلك على نطاق العقيدة الرسمية فى مجمع أفسس المنعقد ضد نسطور سنة ٤٣١م حيث تجاوزوا منها وسيط بين الناس وابنها الإله !!

ومن الطبيعى بعد ذلك أن تقل أو تنعدم المصادر المسيحية التى تعين على إدراك تلك الصورة التاريخية التى يتطلبها البحث بشأنهما ، ولا يتيسر أى تناول لإحدى الشخصيتين أو كليهما معاً خارج الإطار الطقسى والعقائدى الذى يتعلق بالغيبيات .

وقد تجاهلت الكنيسة تماماً أى تناول تاريخى يستهدف التعريف بصورة مريم كما عرفها أهل زمانها ، فلم تعبأ بذلك ، وعمدت بإصرار إلى تجاهله ، وصرف الأنظار عنه ، كأنما تستشعر فيه خطراً جسيماً يهدد كيان العقيدة التى تدين بها .

لذلك كان من المتعذر علينا أن نتمكن من أى تناول تاريخى لهما ، لأن التاريخ وقائع وأحداث ترابط وتشكل وتتعاقد فى إطار الزمن والكنيسة للأسف قد حرصت على تدمير هذا الإطار ، وإبادة كل ما يعين على استرجاعه ، ومحاولة منها للتنبيه على الصورة المفقودة قمنا بهذه الدراسة التى لانعلم أن أحداً سبقنا إليها .

## مريم «أمة الرب» :

مريم أم عيسى عليها السلام ، اسم آرامي مَزْجِي مَرْحَم ، أصله : « ماري + أما » ، المقطع الأول يعني بالآرامية « الرَّبُّ » ، والمقطع الثاني « أما » يعني بالآرامية أيضاً نفس ماتعنيه « الأُمَّة » عربياً ، فاسمُها عليها السلام يعني « أُمَّةُ الرَّبِّ » ، قَدِّمَ فِيهِ الْمُضَافُ إِلَيْهِ عَلَى الْمُضَافِ ، تَعْظِيماً لِاسْمِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَكَانَ حَقُّهُ أَنْ يُنْطَقَ : « مَارِيَامَا » كَامَلاً ، وَلَكِنْ الْمَزْجِيَّةُ سَهَّلَتْ الهمزة ، فَأَصْبَحَ : مَارِيْمَا ، ثُمَّ رُحِّمَ بِحَذْفِ أَلْفِ الْمَدِّ الْخَاتِمَةِ ، فَأَصْبَحَ « مَرِيْمَ » طَبَقَ الْأَصْلِ مِنْ نَطْقِهِ الْيُونَانِي MARIAM فِي الْأَنْجِيلِ الْيُونَانِيَّةِ ، وَهُوَ نَفْسُ نَطْقِهِ فِي الْقُرْآنِ .

وهل كانت مريمُ «أمةَ الرب» إلا هذا يوم بشرت بالمسيح فحملت به ؟ رضيت بالتهمة والظنة وهي أظهر عذراء لأن المولى هكذا شاء وقدر . قد علمت أنها أمة الرب ، لا تملك من أمر نفسها شيئاً . قالت لجبريل أنا أمة الرب ، ليكن لى قولك فلما أجماعها المخاض إلى جذع النخلة توجعت كما يتوجع النساء ، بل أكثر مما يتوجع النساء ، وهي تلد ابنها وحيدةً مزويةً عن أهلها تتكتمُ أمرها خشيةً السنة الناس ، عالمةٌ أنها ما أن تنتهي أوجاعُ الولادة وتضع حملها حتى تنفجر التهمة الظالمة فتفتحها أعين الناس وتقرعها السنة السوء ، أو يرموها بناموس التوراة ، وإن كانت هي وابنها آية للناس : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مَتَّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا نَسِيًّا \* فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا \* وَهَزِي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا \* فَكَلِمِي وَأَشْرِبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ [مريم : ٢٣-٢٦] .

هنا قرَّت عينُ مريم : هاهو جدول رقرقُ يجري ماؤه تحت قدميها ولم يكُ ثمةً جدول ، وهذا الجزع الأجوف الذي الجأها المخاضُ إليه ، هاهو يهتز ويربو وقد حيت النخلة ، وما أن تَضُمَّهُ إِلَيْهَا حَتَّى يَتَسَاقِطَ جَنَاهُ . قد علمت مريم من قبل أن الله يأتيها برزقها في كل حين : ﴿ كَلِّمًا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

[آل عمران : ٣٧] .



ولكن هل تُدرِكُ أنت كم هي فرحةُ أم بمولود لها تَضَعُهُ فيكَلِّمُها في قماطه ؟ لايناغيها وتناغيه فيسرِّي عنها ، ولايناغيها فيذهب همَّها ، ولايكي كما يكي الرضيع ، ولكنه ينطق ليطمئنها أنه هو الذي سيحمل عنها عبءَ مواجهة الناس يوم تأتي به قومها تحمله : ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا \* وَجَعَلَنِي مَبْرُكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا \* وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا \* وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿ مريم : ٢٩ - ٣٣ ﴾ ، بدأ بأنه عبدالله ، يعظ بها من سيغالون في تعظيمه ، وقال برأ بوالدتي ، ولم يقل برأ بوالدي كما قيل عن يحيى في نفس السورة قبله ، يُخرسُ بها من سيفترون عليها البهتان . هنا خرست الألسنة أمام المعجزة الكبرى .

هذه الآيات من سورة مريم إعجاز في أبناء القرآن لايعدله إعجاز ، ولكنها فاتت على كتبة الأناجيل فلم يسجلوها ، لأنهم اكتفوا بشهادة المجوس الذين جاءوا لسيجدوا للمسيح في المذود ، ويقدموا له ولامه هدايا ذهباً ولباناً ومراً ، بين جوق من الملائكة يُسَبِّحُ ويهلل ، وترانيم يصدح بها رعاةٌ تصادف وجودهم ، لاتدرى من أين جاءوا ، ولامن أوحى لهم بأن المولود مسيحٌ من الله ، كل هذا لايفسر لك لماذا سكت قومُ مريم على مريم يوم أتتهم برضيعها تحمله ، ولماذا لم ينسوا في مواجهة هذه الفضيحة بينت شقة ؟ نعم ، قد قال لوقا في إنجيله (لوقا : ٢ / ٨ - ١٩) إن ملكاً ظهر للرعاة ، كما قال متى في إنجيله (متى : ٢ / ١ - ٢) إن نجماً ظهر للمجوس ، ولكن من سيصدقُ الرعاة أو يصدقُ المجوس ؟ وقالت الأناجيل أيضاً (متى : ١ / ١٨ - ٢٤) إنه لما بدت أعراضُ الحمل على مريم فكر خطيئها يوسف النجار في تخليتها سراً ، لولا أن تراءى له ملكُ الرب في حلمٍ فبراً مريم ، وصدقَ يوسف بالرؤيا وضمَّ مريم إلى كنفه ، ولكن من سيصدقُ يوسف ؟ الأخرى أن يتهموه . بل هذا هو الذي يقصه عليك لوقا بالنص : « ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما يُظنُّ ابن يوسف بن هالي . . الخ » (لوقا : ٣ / ٢٢) ، يدعّمُ بها نسبَ المسيح من بعد ، وماكانت به إلى هذا النسب من حاجة ، فلا أب للمسيح إلا أمه مريم ابنةُ عمران ، ليس هو من نسل

داود وليس من سبط يهوذا ، بل هو من سبط والدته ، وجده عمران ، سبط لاوى ، وكذبت نبوءة كاتب سفر التكوين على لسان يعقوب فى اختصاص سبط يهوذا بالنبوة والمُلْك ، فكان أول ملوك بنى إسرائيل شاؤول (طالوت) الذى من سبط بنيامين ، وكذبت نبوءته أيضاً فى ترذيل سبط لاوى ، فكرم الله هذا السبط الذى جاء منه موسى وهارون ، وختم خير ختام بالمسيح بن مريم ، صلوات الله وسلامه على جميع رسله وأنبيائه ، تورط إذن متى ولوقا فى استمساكهما بتأصيل نسب المسيح إلى داود استناداً إلى هذا الخيط الواهى عبر يوسف النجار خطيب مريم ، وليس فى عبارة لوقا : « وهو - أى المسيح - فيما يُظن ابن يوسف النجار ابن هالى . . الخ » إلا تفنيدهُ هذا النسب فى واقع الأمر ، فما بالك بتكذيبه على لسان المسيح نفسه فى الأناجيل ؟ هذا التعلق بالنسب إلى داود يشوش على عذرية مولد المسيح صلوات الله عليه - وإن يكن من متى ولوقا بالطبع غير مقصود - ولكنه يُسجل لك ظنَّ السوء بمريم وابنها عليهما السلام منذ مولده وقبل مبعثه صلوات الله عليه ، فلماذا سكتوا على مريم ويوسف ؟ والرأى الراجح لا يصح غيره أن خطبة مريم ليوسف ماكانت لتحدث قبل حملها الإعجازى بالمسيح لقول القرآن فيها : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾ [التحریم : ١٢] وإحصانُ الفرج هنا كناية عن التبتُّل والانقطاع لعبادة الله لزوج ولا ولد ، وماكان لبتول أن تقبل خطبة الرجال ، لا يوسف النجار ولا غيره . وإنما خطبها يوسف - خلافاً لقول الأناجيل - بعد حملها ، وربما بعد ولادتها ، مصداقاً ومؤمناً بالآية والمعجزة ، لتكون مريم وابنها فى كنفه ورعايته لاغير ، فهو أب بالتبني فحسب إن جاز التعبير .

لماذا حُرست ألسنة السوء عن مريم وابنها يوم أتت به قومها تحمله ، فلم يتعرض لهما الكتبة والفريسيون بسوء ، منذ مولد المسيح وحتى مبعثه ، فلما برر لهذا من العقل والمنطق وأخلاق اليهود وناموسهم ، إلا هذه المعجزة الكبرى التى سجلها القرآن العظيم وفاتت على كتبة الأناجيل فلم يعنوا بتسجيلها ، وإنكار ذلك ، وإحالتهم إلى الأناجيل الأبوكريفية ، أعنى كلام المسيح فى المهد ، ينطق وهو الرضيعُ بالبراءة القاطعة لوالدته عليهما السلام ، فتقلب التهمة إلى شرف أى

شرف ، إعجاز الله فيها وفيه ، وينقلب الغمز واللمز والتجريح إلى تسبيح وتهليل ، وتتناقل الألسنة حديث الطفل المعجز من سيكون . ولكن الذى نطقت الملائكة بلسانه وهو فى المهد فصيحاً بليغاً ، ويصمت من بعد حتى تأتى سنه لينطق كما ينطقُ الطفل . وتمضى به الأيام ويُنسى ماكان كما يُنسى كل شيء بعد حين ، إلا منه هو نفسه ومن خاصته وأهل بيته ، وإلا من والدته عليها السلام التى أنبئت يوم حملها به أن الله جاعله آيةً لبنى إسرائيل .

لم يكن مولد المسيح الإعجازى سرّاً بين مريم وابنها ، أو بين مريم ويوسف ، أو بين مريم وخاصة بيتها ، أو بين مريم وبين نبي الله زكريا أبى يحيى كافلها وراعيا ، الشاهد لها بالرزق يأتيها به الملائكة فى المحراب ، وإنما استعلن الله بهذه الآية لبنى قومها جميعاً ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ ﴾ [مريم : ٢١] على لسان هذا المتكلم فى المهد الذى نطق بنسبه الصحيح : « وبراً بوالدتي » ، ليس له والدٌ غيرها .

سمع الناسُ منه هذا وشهدوا وعانوا ، وماكان لهم بعد هذه الآية إلا أن يؤمنوا بما شهدوا وعانوا . لكنهم كفروا بها ، ومن يكفر بآيات الله فقد كفر بالله عز وجل .

### المسيح «المبارك» :

قد فسر القرآن لفظ «المسيح» على معنى «المبارك» على لسان عيسى يوم أنطقه الله فى المهد ليستعلن بنسبه ويتحدث بألاء الله عليه : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا \* وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا \* وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا \* وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم : ٣٠ - ٣٣] .

وتسمية القرآن عيسى بن مريم بالمسيح يوم البُشرى به لمريم ، تُفيد أنه مسيح من الله ، أى مبارك منه جل وعلا ، وإن لم يرسمه كاهن أو نبي ، بل وُلد «مسيحاً» ، تلك التى غلبت عليه ، تعرّفه بها وحدها دون أن يُسمى لك بالاسم «عيسى» أو عيسى بن مريم ، فهو المسيح بإطلاق . وهى فى المسيح عيسى عليه

السلام لالتحجى إلا مُعرفةً بالألف واللام ، دالة على علميتها فيه وحده ، فهى اللقب الذى اختصَّ به .

والذى يدلُّك على اختصاص عيسى بن مريم صلوات الله عليه بلقب «المسيح» ، اجتزاء القرآن فى ثمانية مواضع اجتزاءً مطلقاً عن الاسم «عيسى» بلقبه «المسيح» وهى : ﴿لَنْ يَسْتَكْفِرَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾ [النساء : ١٧٢] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة : ١٧] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة : ٧٢] ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نَبَّيْنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة : ٧٥] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَتُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ \* اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَأِلهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة : ٣٠-٣١] .

والذى يستوقفك هنا أن هذه المواضع الثمانية بالذات هى الآيات التى شدَّدت النكيرَ على من قالوا إن المسيح إله على النبوة لله ، وقد تعمَّد القرآن المعجز الاجتزاءَ فيها عن اسم عيسى بلقبه الملازم له «المسيح» ، لينبئه من لم يتبَّه إلى أن «الممسوح» يقتضى «ماسحاً» يمسه ، وأن «المبارك» يقتضى من «يباركه» وأن الذى هو من جوهر الله على قول من قال لا يحتاج إلى هذه «المسحة» أو هذه البركة من الله بالذات ، ناهيك بأن يحتاج إليها من غيره .

ينصُّ القرآن على أن الله هو الذى سمى المسيح بن مريم ، لا والدته وذووه : ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران : ٤٥] .

كما سمى الله يحيى من قبلُ لأبيه . والذى تلاحظه من هذه الآية أن القرآن

لأَيْسَمِيهِ بالاسم عيسى فحسب ، وإنما يلقبه أيضاً بهذا اللقب الذى غلب عليه من بعد : «المسيح» . وهو لا يسميه ويلقبه فحسب ، وإنما هو أيضاً ينسبُهُ : «ابن مريم»، إن أردت أن تدعوه بأبيه فلا أبَ له غيرها .

أما اللقب «المسيح» (مَسِيحٌ عبرياً) ، فمعناهُ فى مصطلح اليهود المسوحُ ، يريدون الذى مُسِحَ بدهن البركة (زيت الزيتون) ، أى الذى صُبَّ الدهنُ على رأسه ، ملكاً كان أو كاهناً أو نبياً ، فيصير بهذه المسحة «قديساً» ، يعنى صديقاً فى لغة أهل القرآن وإن لغط بعضُ أهله فى هذا العصر بالقديس والقديسين مُتَابِعَةً لأهل الكتاب الذين يقرءون لهم ولاقداسة ثم ، وإنما هى الصديقيةُ لاغير . وقد كانت هذه المسحة طقساً من طقوس اليهود فى كهنوتهم ، يرتسمُ بها الكاهنُ كاهناً مثله ، أو يرسمُ بها نبياً «اعتمد» الكهنوت نبوته ، أو يرسمُ بها الكاهنُ أو النبى ملكاً نَصَّبُوهُ على بنى إسرائيل ، أو يرسمُ النبى نبياً يخلفه فى النبوة ، فهى الرِّسامة ، أى التَّنصِيبُ فى الكهانة أو الملك أو النبوة . وقد آل اللفظ فى مجاز العبرية إلى معنى «الصديق» وإن لم يرسمه كاهن أو نبى ، فهو المبارك . ومُسحَاءُ الرب ، يعنى أولياؤه ومُباركوه . «المسيح» إذن عربية بلفظها فقط ، ولكنها أعجمية بمعناها ، رغم التقارب اللفظى الشديد بين «مسيح» العربية وبين «مَسِيح» العبرية - الآرامية ، لغة المسيح ولغة أهله وعشيرته وحوارييه ، لتخصيص معنى «المسح» بما ليس فيه عند أهل الكتاب ، فَيَنبَهُمُ عليك المعنى المراد من هذا الوصف ، إلا إن كنت متضعلاً من مصطلحات اليهود العبرانيين ، ناهيك بأن تكون لغتك غير سامية ، فلا تدرى ما المراد من Messiah أو Messie والانبهام يودى إلى التوهم والتضخيم فتذهب بك التوهّماتُ كلَّ مذهب فى مدلول لقب «المسيح» دون أن تدرى أن قد خلّت من قبله المسحَاءُ فى بنى إسرائيل بالألوف : إنه فحسب المُبارك أو الصديق .

أما الاسم «عيسى» فقد جاء فى القرآن على الإبدال من «يشوع» العبرية التى نطقها نصارى السريان للعرب على اللفظ «يَسُوع» تَبَرُّكاً بسين «يشوع» التى فى الرسم اليونانى فى أصول الأناجيل ، واحتفظت بها الترجماتُ العربية فقالت هى أيضاً «يَسُوع» .

وأنت أيضاً لاتظنُ بالطبع أن الملائكة يوم بُشِّرَتَ مريمُ بالمسيح كانوا يخاطبونها بهذا اللفظ العربي الذي في القرآن : «اسمه المسيح عيسى بن مريم» وإنما خاطب الملائكةُ مريمَ بلسان مريم ، أى بالعبرية الآرامية ، فيقولون لها بالعبرية مثلاً : «ويقرأ شَمُو هَمَشِيح يَشُوع بنُ - مَرِيم» ، أو يقولون لها بالآرامية مثلاً : «شَمِيه مَشِيحا يَشُوعا بار - مَرِيم» ، لم ينطقوها عيسى بالقطع ، وإنما قالوها «يَشُوع» .

ولم يتَّسَمَّ المسيحُ بالاسم «يَشُوع» على غير سابقة في أعلام العبرانيين وإنما تقدمه أكثر من يَشُوع ، أول وأبرز من تسمى به قبله عَلَّمُ سبق مولد المسيح بنحو ثلاثة عشر قرناً ، هو «يَشُوع بن نون» فتى موسى في سورة الكهف ، الذي خَلَّفَ موسى على رأس بنى إسرائيل . كان اسم يَشُوع بن نون في الأصل «هُوشِيح» (عدد : ١٣ / ٨) ، ولكن موسى عليه السلام لم يرتضه له فأبدله منه الاسم «يَهُوشُوع» (عدد : ١٣ / ١٦) ، ثم تخفَّفَ «يَهُوشُوع» فصار إلى «يَشُوع» اختصاراً،<sup>(١)</sup> وهذه الصورة الأخيرة «يَشُوع» هي المعتمدة في الترجمة العربية للعهد القديم (سفر يَشُوع) لاسم فتى موسى يَشُوع بن نون .

هذه الصور الثلاث : هُوشِيح - يَهُوشُوع - يَشُوع ، منحوته كلها من الجذر العبرى «يَشَع» (المبْدَل من «وسع» العبرى) ، ومعناه من الإيساع والسعة ، مقصوراً في العبرية بالذات على معنى واحد ، وهو الخروج من الضيق إلى السعة ، يعنى الخلاص والتخليص ، وبهذه المادة العبرية (الخلاص والتخليص) يُترجمُ المترجمُ العبرى للعهد القديم كل مشتقات مادة «يَشَع» العبرية في توراة الأنبياء والكتبة .

أما الصورة الأولى «هُوشِيح» (التي لم يرتضها موسى اسماً لفتاه فأبدله منها يَهُوشُوع) فهي - أى «هوشيع» - تسمية بالمصدر من «يَشَع» بعد تعديته عبرياً بالهاء (وهى التعدية بالهمزة في العبرية) فيكون المعنى «إيساع» أى التخليص والإنجاء ، فهو خلاص ونجاء .

وأما الصورة الثانية «يَهُوشُوع» فقد نحتها موسى عليه السلام من مقطعين

(١) راجع مادة «يشع» في المعجم العبرى الآرامى لألفاظ التوراة .

عبريين هما : يهو + شوع ، الأول مختصر يهوا ، اسم الله عز وجل في العبرية منذ موسى عليه السلام ، والمقطع الثانى «شوع» مصدر بمعنى السَّعة ، أى الخلاص والنجاء ، فيكون معنى هذا التركيب المزجى هو « الله خلاصٌ ونجاء » . أراد موسى عليه السلام بهذا التعديل الذى أدخله على اسم فتاه يشوع بن نون التنبية إلى أن الله عز وجل هو «الفاعل» فى هذا الخلاص وهذا النجاء ، أى لست يا «هوشيع» خلاصاً ونجاءً ، وإنما بالله عز وجل الخلاص والنجاء ، فالله هو مُخَلِّصُكَ وَمُنْجِيكَ .

ولأن الصورة الثالثة لاسم فتى موسى (أعنى صورته بالرسم «يشوع» ) هى نفسها الاسم «يهوشوع» مختصراً كما يقول علماء العبرية وعلماء التوراة ، فهى لا تحتاج إلى مزيد بيان : إنها نفسها «يهوشوع» التى نحتها موسى عليه السلام ، «الله خلاص ونجاء» يعنى الله مُخَلِّصُهُ وَمُنْجِيَهُ .

هذا هو معنى «يشوع» عبرياً ، اسم المسيح عيسى عليه السلام : «اللهُ مُخَلِّصُهُ وَمُنْجِيُهُ» . وهى من الله عز وجل تسمية على النبوة ، لأنه هكذا كان : ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِنِّي فَتَىٰ ذِكْرِكُمْ وَإِنِّي مَوْجُودٌ وَإِنِّي مُؤْتَمِنٌ﴾ [آل عمران: ٥٥] ورغم أن علماء المسيحية يعلمون كما تعلم أنت الآن أن «يشوع» المسيح عليه السلام سَمِيَّ لَفْتَىٰ موسى يشوع بن نون ، وأن معنى يهوشوع ، قبل اختصاره إلى يشوع هو « الله خلاص ونجاء» أى أن الله مُخَلِّصُهُ وَمُنْجِيَهُ ، فقد نحوا منحنى آخر فى تفسير اسم يشوع المسيح من دون كل «يشوع» : قالوا إنه ليس من «يهوا + شوع» ولكنه «يهى - يهى + شوع» <sup>(١)</sup> يعنى «هو - يكون - خلاصاً» أى هو المُخَلِّصُ الذى يكون به الخلاص ، وهو تفسير مُفْتَعَل ، لأن هذا بالذات هو الذى نعاه موسى على اسم فتاه «هوشيع» ، ولو أريد للمسيح أن يكون بذات اسمه «يشوع» هو الخلاص والنجاء ، تسمية بالمصدر ، فهو المُخَلِّصُ الْمُنْجِي ، تُسَمَّى «هوشيع» على ماكان عليه اسم فتى موسى «هوشيع بن نون» قبل تعديله إلى «يهوشوع» التى آلت إلى «يشوع» كما يقول علماء العبرية وعلماء التوراة ، دون الحاجة إلى افتعال إضمار «يهى - يهى» (أى «هو يكون» ) قبل المقطع «شوع» .

(١) راجع هذا التخريج فى نفس المرجع السابق ، ص ٣٥٤ مادة «يشوع» .

ثم لماذا ينفرد «يشوع المسيح» بهذا الإضمار المخصوص «يهي - يهي» من دون كل «يشوع» سبقه أو تلاه؟ بل وما الدليل على هذا من التسمية؟ الآن «مَلَكَ الرب» الذى ظهر ليوستف النجار فى الحلم قال له: «فستلد ابناً وتُدعو اسمه يسوع. لأنه يُخَلِّصُ شعبه من خطاياهم» (متى: ١ / ٢١)؟ فلماذا لم يُسمَّه جبريلُ لمريم على أصل هذا المعنى «هوشيع» أى الخلاص، أو يُسمَّه «المُخَلِّص» مباشرة أى «مُوشيع» زنة الفاعل؟ ولكن لم يلتفت أحد لقول الملك ليوستف النجار عَقِيبَ هذا مباشرة: «وهذا كُلُّهُ كان لكى يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل هوذا العذراءُ تُحْبِلُ وتلدُ ابناً ويدعون اسمه عَمَّانُوثِيل الذى تفسيره الله معنا» (متى: ١ / ٢٢ - ٢٣). أفليست «عَمَّانُوثِيل» هذه تعنى «الله معنا» كما قال متى؟ فما معنى الله معنا؟ أليس معناها اللهُ ناصِرُنَا ومُؤَيِّدُنَا؟ ألا يقترب هذا كل الاقتراب من معنى «يشوع» التى أصلها «يهوشوع» أى الله خلاصه ونجائه؟ ولكن اللاهوت المسيحى لا يرى هذا وإنما يرى أن هذا الطفل المُبَشَّرَ به هو نفسه «الله» يُولَدُ من العذراء ويعيشُ معنا زمناً فهو نفسه «الله معنا».

وهذا هو التفسير بالعقيدة لا التفسيرُ بمحض اللغة. على أن النبوة لم تقل إن الله سيعيش معنا، وإنما قالت تحملُ العذراء وتلد مولوداً «يُسَمُّونَهُ» اللهُ معنا فحسب، لا أن الله سيجيء إلينا ليكون معنا. إذا قلت لك: اللهُ معك! فلا يصحُّ أن تفهم عنى أن الله معك بذاته، أو أنك أنت من ذات الله، وإنما الذى تفهمه ببساطة أنى أدعو لك اللهُ أن تصحبك عناية، لا أكثر ولا أقل، ولكن هكذا كان.

أراد علماء المسيحية من المسيح عيسى بن مريم أن يكون بذاته هو الخلاص «هوشيع» الذى يكون به الخلاص، فهو فادى البشر بدمه المسفوح على الصليب.



## الفترة المجهولة

إن اكتشاف وثائق البحر الميت عام ١٩٤٧ بدأ يلقي الضوء على تلك السنوات الصامتة من حياة المسيح ، مما دفع العلماء إلى القول : لقرون عديدة كان دارسو الكتاب المقدس من المسيحيين يتساءلون عن حقيقة المكان الذي عاش فيه المسيح ، وماذا كان يفعل خلال تلك الفترة التي تعرف بالثمانى عشرة سنة الصامتة من حياته ، والتي تمتد منذ أن بلغ الثانية عشر إلى أن صار عمره ثلاثون عاماً .

إن الوثائق التي تشير الدهشة والإشفاق التى تختص بمكتبة طائفة الأسينيين (من اليهود) والتي وجدت فى كهف تلو كهف قرب البحر الميت قد أعطتنا الإجابة أخيراً ، لقد بدأ يتضح للعلماء أن يسوع خلال تلك السنوات المفقودة كان تلميذاً فى المدرسة الأسينية ، كما أنهم بدأوا يقرون تدريجياً بوجود مماثلة مفزعة بين تعاليمه وألفاظه وبين نظيرتها التى قالها الأسينيون وزعيمهم عرف باسم «معلم البر» .

فى مارس ١٩٤٧ م ، بينما كان أحد رعاة الأغنام (محمد الديب التعمري) من قبيلة التعامرة يرعى غنمه عند الشاطئ الغربى للبحر الميت «وادي قمران» ، وعلى مسافة ثمانية أميال جنوب أريحا ، خلعت إحدى غنمه ، فأخذ يبحث عنها بين الكهوف ، وصوّب حجراً إلى أحد الكهوف ، فسمع صوت شىء يتحطم ، فأسرع بالفرار واستدعى اثنين آخرين ، وصعد الجميع إلى الكهف ، فرأوا جراراً تحتوى على رقوق ملفوفة بالكتان ، فأتوا بها إلى إسكافى فى بيت لحم (سريانى المذهب) ، فأخذها وعرضها على مطران القدس السريانى «مار إثناسيوس» ، فاشتري منها أربعة رقوق ، ثم بيعت الثلاثة الأخرى للجامعة العبرية بالقدس ، أما مخطوطات المطران فقد وصلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، ثم اشترتها أخيراً الجامعة العبرية بالقدس «اثنى عشر ملفاً من الجلد والرق» ، ولما عرف

العلماء بتلك المخطوطات النادرة، بدأ البحث لاكتشاف كهوف قمران ، وقد قام بالبحث المنظم دائرة الآثار في المملكة الأردنية الهاشمية تحت إشراف لنكستر هاردن والأب دي فو (Devaux) ، وكذلك اشترك في هذا التنقيب المعهد الأريكيولوجي الفرنسي، والمدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية ، وقد تجمع في الفترة من ١٩٤٧ - ١٩٥٢م أكثر من ستمائة مخطوطة ، توجد بالمتحف الأردني .

ومن المواد التي صنعت منها الجرار والأقمشة التي لُفت بها المخطوطات ، والنقود التي عثر عليها تأكد أن هذه المخطوطات كتبت في القرن الأول قبل الميلاد أو على الأقل بعد الاحتلال الروماني للمنطقة في عام ٦٩ بعد الميلاد .

### والمخطوطات التي عثر عليها هي :

١ - نصوص العهد القديم (كل الكتاب تقريباً عدا سفر إستير) وبعض الشروحات .

٢ - أبوكريفا العهد القديم .

٣ - مخطوطات خاصة بالجماعة مثل كتاب «النظام» «ترانيم الشكر» «الحرب بين أبناء النور وأبناء الظلمة» «التقويم القمري الذي كانوا يتبعونه» .

وقد كتبت هذه المخطوطات باللغتين العبرية والآرامية ، وقد كتب هؤلاء القمرانيون هذه المخطوطات النفيسة وحرصوا على حفظها في الكهوف المجاورة لساكنهم ، في جرار لها أغطية لتحميها من الرطوبة وتصونها من أيدي الأعداء العابثين بمقدساتهم ممن كانوا يخشون بأسهم .

ويقول العالم الأثري الفرنسي «أندريه دويون سومر» Andre Dupont Sommer وهو من أساتذة السوربون : «إن مخطوطات خربة قمران كانت ولاشك من عمل الأسينيين ، وأن سفر حبقوق النبي وضع فيها عام ٧٠ ق م .

معنى كلمة أسينيون :

اختلف العلماء في ذلك وقالوا :

- ١ - أنها كلمة عبرية «حسيديم» بمعنى الأتقياء .
- ٢ - أنها كلمة يونانية : «أجيوس» بمعنى قدوس أو مقدس .
- ٣ - أنها كلمة آرامية : «هاسياس» بمعنى الأتقياء .

### عقائدهم وتعاليمهم :

- ١ - الإيمان بالله الواحد (كطائفة يهودية) .
- ٢ - الإيمان بالناموس والأنبياء .
- ٣ - التطبيق الحرفي للناموس والتشدد فيه .
- ٤ - التمسك بالأحكام الأخلاقية التي في التوراة .
- ٥ - الإيمان بفناء الجسد وقيامه وخلود الروح .
- ٦ - انتظار المسيا .
- ٧ - يؤمنون بأنهم إسرائيل الجديدة أو شعب الموعد (العهد الجديد) .
- ٨ - محاولة الاستقلال عن عبادات الهيكل في أورشليم .
- ٩ - اتباع تقويم خاص بهم .
- ١٠ - معلم البر أو العدل هو مؤسس ورئيس طائفتهم .

### نظامهم وأسلوب معيشتهم :

لقد أوضحت المخطوطات وخاصة كتاب النظام <sup>(١)</sup> وصفاً لسلوكهم وأسلوب معيشتهم .

(١) كتاب النظام أو قوانين الجماعة ، قد عثر عليه في قسمين منفصلين ، ضمًا معاً فكانوا وثيقة طولها ستة أقدام وعرضها تسع بوصات ونصف البوصة ، وتعتبر هذه الوثيقة أهم مصدر معرفتنا لهذه الطائفة الدينية في وادي قمران وهي تبدأ ببيان الأمور التي يجب توافرها فيمن يشتهون الدخول في العهد الجديد ، ثم يلي ذلك ذكر الطقوس اللازمة للإنضمام للجماعة ، ويتناول جزء من النص تعليم جماعة قمران عن الإنسان ، ثم بعد ذلك قوانين الجماعة . . . وتختتم المخطوطة بمزمور تعبدى . (دائرة المعارف الكتابية جـ ٢ ص ٩٣) .

## ١ - الاشتراكية :

لقد حرّموا الملكية الشخصية ، وكان كل شيء فى الجماعة مشتركاً ، فمن ينضم إليهم يأتى بكل ما يملك ليصبح جزء من ممتلكات الجماعة ، وكان يقوم على تدبير شؤونهم وكلاء يُعَيَّنون لهذا الغرض ، وبذلك يؤمن للفرد مأكله ومشربه ومسكنه وكانت توزع عليهم الأعمال ، ويقوم كل فرد بعمله على أكمل وجه ، وهنا نرى أن مبدأ امتلاك الثروة أمر مكروه ، وأن هذا النظام أدى إلى اختفاء مظاهر الفقر والغنى بين الجماعة فلا سيد ولا مسود .

## ٢ - الزواج :

كانوا يمتنعون عن الزواج ، حتى لا يكاد النساء والأولاد عائقاً للجماعة عن الوصول إلى الصلاح والحق والاستعداد للحرب المقدسة ، ومن أقوالهم :

\* من يتزوج يرتكب خطية النجاسة ، وليس له حق التواجد معهم .

\* النساء والأولاد يعملون على تحويل الجماعة عن أهدافها .

\* النساء اللواتى لهن أبناء هن خطر شديد ، حيث أنهم يستخدمون أولادهم وسيلة لتنفيذ أغراضهن بصورة تعكس صفو الوحدة الروحية للجماعة .

أى أنه ليس للمرأة مكان فى حياتهم ، ولكنهم كما قال يوسيفوس لم يمنعوا أتباعهم من الزواج بغرض إنجاب النسل .

## علاقتهم بالآخرين :

\* كانوا يفضلون المعيشة فى القرى عن المدن ، تفادياً للاختلاط حيث أن تأثير المدن فى الإفساد أقوى من القرى .

\* التمسك بالأحكام الأخلاقية للتوراة مثل : الطهارة ، الفضيلة ، ضبط النفس ، التواضع . . . إلخ .

\* مراعاة يوم السبت ، بعدم العمل والذهاب إلى المجمع لدراسة التوراة .

\* كانوا مشهورين بأمانتهم ودقتهم وضميرهم الحى .

\* تحريم الرق والعبودية والدعوة إلى المساواة بين الناس .

\* احترام الآخرين والمحبة والرحمة .

\* يعيشون ويعملون تحت إشراف شيوخهم .

\* تبني الأولاد وتربيتهم على مبادئهم .

### عبادتهم اليومية :

يبدأ يومهم قبل الفجر بالصلاة ، ثم يذهبون لأعمالهم ، وفي منتصف النهار يستحمون بالماء البارد ، ويعرف هذا الاستحمام الجماعي بالاعتسال ، ثم يتناولون الطعام بعد أن يطلب أحدهم البركة عليه ، وليس للعضو المنضم إليهم الحق في تناول طعام خارج عن هذا الطعام المعد والمقدم للجماعة لأنه نجس ، ثم يستأنفون أعمالهم ، وفي المساء يكرروا ما فعلوه في الظهيرة .

وفي يوم السبت ، حيث لا عمل بالمرة ، يجتمعون معاً ، ويقرأ أحدهم جزء من الكتب المقدسة ، ويقوم أحد شيوخهم بتفسير هذا الجزء .

أما من جهة علاقتهم بالهيكل في أورشليم ، فإنهم كانوا يعتبرون شعائرتهم الدينية أفضل وأطهر من شعائر كهنة الهيكل ، وأن كهنوتهم هو الكهنوت الصحيح بعد أن استولى المكابيون على الكهنوت ، وكان من آمالهم أن الرب سوف يأخذ الهيكل من الأيدي النجسة ويعطيه لهم .

ولكن هذا لم يمنعهم من إرسال ذبائحهم إلى الهيكل<sup>(١)</sup> - دون الذهاب هناك - خوفاً من التنجس عن طريق الاختلاط بالآخرين .

(١) المذبح : هو مكان مرتفع عليه الذبائح تعبداً لله ، ورد ذكر المذبح والإشارة إليها في العهد القديم أكثر من أربعمئة مرة ، وكان القدماء يهتمون بالمذبح لأنها من المستلزمات الضرورية للعبادة ، فكانوا يجعلون بناءها مستديراً أو مربعاً ، وقد يخصصونها ببعض الآلهة ويسمونها بأسمائها ، ويزينونها بالأكاليل وينقشون على جوانبها تماثيل الآلهة ، والمسيحيون الآن لا يقدمون الذبائح نهائياً ؛ لأنهم يعتقدون أن المسيح رفع على الصليب ذبيحة كاملة ظاهرة لأجلهم . (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٨٤) .

## طريقة الانضمام إليهم :

## ١ - التبنى :

حيث أن عدم الزواج هو مبدأهم ، كانوا يتبنون أطفالاً (لم يكن شرطاً أن يكونوا يهوداً ، بل من الجائز أن يكونوا من الأمم) ويربونهم على المبادئ الخاصة بهم .

## ٢ - الانضمام :

\* يتقدم طالب الانضمام بطلب يزكيه أحد الأعضاء .

\* يقضى المبتدئ سنة تحت الاختبار ، وعندما يثبت أن كل المؤهلات اللازمة تتوافر فيه ، يقضى سنتين أخريتين تحت الاختبار ، ثم يؤخذ عليه التعهد (قسَم الانضمام للجماعة) ، وعند ذلك يُقبل رسمياً ويكون له الحق في طعام الجماعة .

## العقوبات :

\* كان النظام قاسياً ، فحياتهم تحت إشراف الشيوخ ، ومعلم الصلاح أو البر هو رئيس الجماعة ورأى الأغلبية هو السائد .

\* المحاكمة تتكون من مائة قاضى ، ولذلك يكون حكمها نهائياً .

\* أكثر الجزاءات من نوع الحرمان من الأكل (الحرمان من الطعام المقدس مع الجماعة ، ولايستطيع العضو تناول من أى طعام آخر حيث أنه نجس) ، الحرمان لجزء من الطعام أو لوقت معين من الزمان .

\* الفصل من الجماعة لمدة معينة .

\* أقصى عقوبة هي الطرد النهائى من الجماعة .

## الأسينيون ويوحنا المعمدان والمسيح :

يرى البعض أن يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) قد انضم إلى الأسينيين ، أو على الأقل قد تأثر بتعاليمهم ، وكان بذلك الوسطة لانتقال هذه التعاليم إلى المسيح والمسيحية ، وهاك طائفة من هذه الآراء :

\* يميل غالبية دارسى الكتاب المقدس إلى الاعتقاد بأن يوحنا المعمدان تربى فى وسطهم وعاش بينهم وأخذ من طباعهم ، مع أنه كان يختلف عنهم فى كثير من العقائد .<sup>(١)</sup>

\* أما يوحنا المعمدان فرمما كان أقرب إليهم ، مع أن حياته التى نعرفها لاتتفق كثيراً مع حياة الأسينيين .<sup>(٢)</sup>

\* ولطائفة قمران تأثيرات غير هذه فى عهد الكنيسة الأولى ، عن طريق يوحنا المعمدان الذى يقال أنه كان من جماعة الأسينيين .<sup>(٣)</sup>

\* لقد تأثر المسيح بلاريب بطائفة أخرى من اليهود فى مجتمعه كان لها شأنها ، ويقال أن يوحنا المعمدان كان واحداً منها ، وهى الأسينية .<sup>(٤)</sup>

### الأدلة التى يستندون عليها فى علاقة يوحنا بالأسينيين :

١ - وجود يوحنا المعمدان فى البرية قرب منطقتهم ، حيث أن مخطوطات قمران قد عثر عليها عند الشاطئ الغربى للبحر الميت ، ويوحنا كان يركز فى بركة اليهود : «فى تلك الفترة من الزمان ظهر يوحنا المعمدان فى بركة اليهودية ييشر قائلاً «توبوا فقد اقترب ملكوت السموات . . . » فخرج إليه أهل أورشليم ومنطقة اليهودية كلها وجميع القرى المجاورة للأردن فكانوا يتعمدون على يده فى

(١) د . القس فهميم عزيز - المدخل إلى العهد الجديد ص ٤٧ .

(٢) د . جون لوريمر - تاريخ الكنيسة ج١ ص ٣٧ .

(٣) قيصر صادر «فحوى مخطوطات قمران» مجلة المسرة عدد ٥٩٩ ص ٨٤٦ .

(٤) محمد عطا - عيسى فى الخالدين ص ٣٧ .

نهر الأردن معترفين بخطاياهم » . (متى : ٣ / ١ - ٦ ، مرقس : ١ / ٤ - ٥ ، لوقا : ٣ / ٣) .

فلماذا اختار يوحنا أن يعمد في نهر الأردن وليس في بحيرة طبرية مثلاً - أو غيرها من المياه الحلوة في فلسطين ؟ . . أما الأردن فقد اختاره يوحنا لأنه أقرب إلى سكن إخوته في العقيدة ، ورفقائه في خلال ثمانى عشرة سنة من عمره .

٢ - حياة التقشف : لقد جاء عن يوحنا المعمدان « كان لباسه من وبر الإبل وعلى حقيقه منقطة من جلد وكان طعامه جراداً وعسلأ برياً » (متى : ٣ / ٤ ، مرقس : ١ / ٦) .

وعندما قال المسيح : «ماذا خرجتم إلى البرية لتروا ؟ أقصبة تهزها الرياح ؟ بل ماذا خرجتم لتروا : أنساناً يلبس ثياباً ناعمة ؟ ها إن لابسى الثياب الناعمة هم فى قصور الملوك ! إذن ، ماذا خرجتم لتروا ؟ أنبيأ ؟ نعم ، أقول لكم ، وأعظم من نبي . » (متى : ١١ / ٧ - ٩ ، لوقا : ٧ / ٣٣) .

«لأنه جاء يوحنا المعمدان لا يأكل ولا يشرب خمر فتقولون به شيطان » (متى : ١١ / ١٨ ، لوقا : ٧ / ٣٣) .

ولماذا كان يوحنا متطرفاً فى تقشفه إذ كان «يلبس ثوباً من وبر الإبل» وعلى وسطه زنار من جلد ، وكان قوته من الجراد والعسل البرى ، لأن التقشف فى العيش كان من صلب العقيدة الأسينية .

٣ - الدعوة إلى التوبة والمعمودية : لماذا راح يوحنا المعمدان يدعو - أول ما يدعو - إلى التوبة ؟ لأن الأسينيين كانوا يضعون التوبة فى رأس واجبات التواقين إلى الخلاص ، ولماذا اختار يوحنا أن يعمد الناس ؟ لأن معلميه من الأسينيين اتخذوا من المعمودية رمزاً للتطهير من كل شهوة ، أو فكرة أو نية تفسد على طالب الخلاص خلاصه . (١)

وقد يكون لفكرة المعمودية علاقة تاريخية بطقس الاستحمام عند طائفة

(١) ميخائيل نعيمة - من وحى المسيح الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤ ص ٢٩ - ٣٥ .



قمران، فيوحنا المعمدان كان يقول : إن الاستحمام لايزيل الذنوب ما لم يسبقه تطهير روحي ، وهذا ما ورد في كتاب «النظام» كما يفهم من المخطوطات الأسينية . (١)

والرأى الأرجح أن المسيح ويوحنا كانا كلاهما فى فترة من حياتهما من جماعة الأسينيين ، لقد انضم المسيح ويوحنا إلى الأخوية الأسينية وهما فى الثانية عشرة ، ولم ينفصلا عنها حتى بلوغهما الثلاثين .

(١) قيصر صادر «فحوى مخطوطات قمران» مجلة المسرة عدد ٥٩٩ ص ٨٤٦ .

## يحيى والمسيح

لقد كان إعجاز ميلاد يحيى لذكريا وقد بلغ به الكبرُ عتياً شبيهاً كل الشبه بمولد إسحق لإبراهيم وسارة : كلتا المرأتين عجوز عاقر ، وكلا الرجلين شيخ كبير ، ولكن الفاطر المبدع البارئ الذي لا يُعجزه شيء يقضى ما يشاء ويفعل ما يريد . ولو شاء الله خَلَقَ يحيى على مثال آدم بغير أب أو أم لفعل ، ولكنه أراد النسبة إلى زكريا ، كما أراد من بعد في خلق عيسى النسبة إلى مريم ، وأراد قبل هذا وذاك النسبة إلى آدم أبى البشر جميعاً ، كيلا يضل أحدٌ في دعوة النبوة لله عز وجل ، ولم يغفل عنها لحظة عيسى عليه السلام في نفس هذه الأناجيل التي بين يديك ، لا يسأم من تكرارها على سامعيه حتى باتت علماً عليه : إنه « ابن الإنسان » وهى فى العبرية «بن آدم» يعنى آدمى من بنى آدم . والقرآن لا يجيء بذكر مولد يحيى إلا ويعقبه بذكر مولد عيسى (ولوقا يفعل نفس الشيء فى إنجيله) ، يمهّد لإعجاز بإعجاز ، فكلتا الولايتين آية تنقطع دونها رقاب البشر، إخصاب بويضة الأنثى بغير مُخصب ، أو خلق هذه البويضة مُخصبة ابتداء ، أو إخصابها بكلمة منه عز وجل نفخاً من روح القدس جبريل كالذى تجد فى القرآن وفى الإنجيل ، والأخرى شأنها شأن الاستحياء من عدم ، فى زوج زكريا ، كما تجد فى قوله عز وجل : ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ {الانبيا : ٩٠} يعنى استحيينا فيها وهى العجوز العاقر آلة الحمل والولادة ، وسبحان الخلاق العليم ، فلما عجب زكريا من هذا ، قيل له : ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلِيٍّ هِينٌ وَقَدْ خَلَقْتكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً﴾ {مريم : ٩٠} ، يُذكره بخلقه وبالخلق الأول ، وعن هذا يضلُّ كثيرون ، يُعظمون المفعول ولا يعظمون الفاعل ، ولم يكن هذا موقف لوقا فى إنجيله ، بل هو يعقب على مولد يحيى وعيسى عليهما السلام بتساويح لله العلى القدير .

على أن أخبار زكريا فى القرآن لاتقتصر على أبوته ليحيى ، وإنما هو أيضاً

كافل مريم عليهما السلام على ما تقرأ في القرآن ، وليس في الأناجيل التي بين يديك من هذا شيء ، وهى أيضاً لاتقص عليك شيئاً من أبناء خدمتها في الهيكل ، وقال عز وجل : ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَامُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران : ٤٤] وسبحان علام الغيوب .

وفى الأناجيل أن مريم عليها السلام حملت بعيسى عُقِيب حمل خالتها المعجز بيحى ، فكان يحيى وعيسى ابني خؤوله متعاصرين ، بُعث يحيى أولاً ثم أعقبه عيسى ، فشهد كل منهما للأخر بالنبوة ، يعنى كان يحيى مصدقاً بعيسى على نحو ما تقرأ في القرآن : ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران : ٣٩] .

«فالمُصَدِّقُ» هو يحيى عليه السلام ، المصدق بعيسى الذى هو كلمة من الله .

ولكنك لا تقرأ في الأناجيل التي بين يديك بشارة من المسيح باسم خاتم النبئين صريحاً ، مُحمّداً أو أحمد ، وإنما تقرأ في الأصول اليونانية لتلك الأناجيل أن المسيح بَشَّرَ بإنجيل الله (مرقس : ١ / ١٤) Kerussonto euaggelion toutheou (لا بملكوت الله كما تقول الترجمة العربية فى نفس الموضع) ، لأن euaggleion اليونانية (المُحلّاة فى النص اليونانى بالبادئة -eu- ومعناها الخيرة) تُفيد معنى «الرسول» ، فتفهم كمسلم أن «إنجيل الله» الذى بشر به عيسى فى هذا النص اليونانى euaggeliontou theou هو «رسول الله» الخيرة أى صفوة الرسل وإمامهم محمد بن عبد الله ، الذى ختمت به النبوة والرسالة ، صلوات الله وسلامه على جميع رسله وأنبياؤه ، وعلى كل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

ولكن الذى نتوقف عنده فى هذا السياق هو إعجاز النبوءة التى تضمنتها البشرى بيحى عليه السلام ولم يُولد بعدُ عيسى ولم يُحمل به : إنها بشارة صريحة لذكريا بمولد عيسى عليه السلام ، أسبق من بشرى جبريل لمريم بمولده ،

وأيضاً إنباءً بأن محور رسالة يحيى هو التصديق ببعسى ، كالذى كان وسبحانَ علام الغيوب .

ولا تفوتك تلك الصياغة المعجزة التى فى قوله عز وجل «مصدقاً بكلمة من الله» فهو كلمةٌ منه سبحانه ، لا كلمةُ الله ولا «الكلمة» على التعريف الذى يفيد الحصر ، ما يخطئ فيها كثيرون ، مسلمون وغير مسلمين ، عرب وغير عرب ، والفرق بين المعنيين كما ترى جدٌ كبير .

لقد كان يحيى صِنُوَ عيسى عليهما السلام : كلاهما بُعثَ فى ريعان الشباب وَرِئِيهِ وَحُسَيْنَاهُ ، ولم يلبثا فى قومهما إلا قليلاً حتى قبضهما الله إليه ، لا زوج ولا أبناء ، فقد شغلا بقصر الرسالة عن هذا وذاك ، وربما قلت أن الله شاء برحمته ألا تكون لأيهما ذريةٌ يفتتن بها الناس ، أو كى لا يقال إن اللاهوت فى المسيح على قول من يمنعُ من إثبات النساء ، فيقال له قد كان يحيى أيضاً على هذا المثال ، أى كان يحيى وعيسى كلاهما حصوراً ، لا يحيى وحده ، وهذا مقطوعٌ به عند المسيحيين جميعاً بلا خوف ، ودعك من تخرضُ المُجَانِ بأقاصيص يحيى وسالومي ، وخوضهم فى المسيح والمجدلية ، فهذا من عورات هذه الحضارة ، التى تناولت فاستباححت باسم «حرية القول» الاجترأ على مقام النبوة والنبين .

ولفظه الحصور فى اللغة لها وجهان : الذى يكفُ نفسه عن شهوة النساء مع وجود القدرة ، والثانى هو المكفوفُ عن النساء بأفة تقطعُ فيه هذه الشهوة . ويحيى بالمعنى الأول ، لا بالمعنى الثانى ، لأنه الذى يحيى ، والذى يحيى إنما يحيى حياءً لا عجزاً ، والعين المجبوب لا يجدُ الشهوة أصلاً حتى يحيى ويعفُ .

وما كان لنبى أن تكون به آفة ، فما بالك بأفة يسميه الله بها فضلاً وتشريفاً ، بل تقدمت على صفة «الحضور» فى يحيى صفةُ «السيد» فى قوله عز وجل : ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران : ٣٩] وما كانت الناسُ لتُسودَ عينياً أو مجبواً ، حاشاً لأنبياء الله أن تكون . والذى قلناه بمنطق اللغة فحسب ، أى أن

الذي يحيا وإنما يحيى حياة ، كاف بذاته لقطع دابر إسفاف الرواة ولا عليك من إسفافهم . (١)

ولعلك تجد معنى الحصور الذي أحصره الله في قول المسيح عليه السلام : «فقال لهم ليس الجميع يقبلون هذا الكلام الذي أعطى لهم . لأنه يوجد خصياناً وُلدوا هكذا من بطون أمهاتهم ، ويوجد خصياناً خَصَّاهم الناس ، ويوجد خصياناً خَصَّوْاْ أَنْفُسَهُمْ لِأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ ، من استطاع أن يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ» (متى : ١٩ / ١١ - ١٢) . وقد اعتل تلاميذُ يحيى من بعد على تلاميذ المسيح باعتماد عيسى منه ، ولم يعتمد يحيى من المسيح فيحى إذا أرفع رتبة من عيسى وإلا لما احتاج إليه المسيح . ولكن الأناجيل ترد على هذا بأن عيسى لم يباشر مهام نبوته ولم يستعلن بها للناس إلا بعد مقتل يحيى (٢) : «وبعد ما أسلمَ يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرزُ ببشارة ملكوت الله ويقول قد كمل

(١) قالوا كان «إحليله» كالفظة - والإحليل مجرى البول يكنى به عن الفرج للرجل والمرأة - قاسوه على الناقة الحصور لايقربها الفحل لضيق إحليلها خلقة . فأى خفة وأى إسفاف .

(٢) يحيى : هو النبي الرسول يحيى بن زكريا عليهما السلام ، وهو آخر أنبياء بنى إسرائيل بعد أبيه وقبل المسيح عليه السلام ، وأمه اليصابات خالة مريم ، رزق لوالديه في شيخوختهما ، ويتصل نسبه من جهتهما بهارون بن عمران شقيق موسى عليهما السلام ، وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر ، وقيل بثلاث سنين ، وقيل بخمس ، وهو الذي عمد عيسى في نهر الأردن سنة ٣٠ م ، ولذلك يسميه النصارى (يوحنا المعمدان) ، قتل قبل مقتل أبيه بقليل وقبل رفع المسيح عليهم السلام ، وذلك لأنه نهى الملك هيرودس عن الزواج بييروديا ابنة أخيه ، فأمرتها أمها أن تطلب مهراً رأس يحيى عليه السلام ، فقتله الملك وقدم رأسه لها على طبق . (إنجيل متى : ١٤ / ١ - ١٢ ، مرقس : ٦ / ١٤ - ٢٩) ، وهيروديا هي ابنة أرسبتولس ، تزوجت عمها هيرودس فيلبس ثم أراد أن يتزوجها عمها الآخر هيرودس أنتيباس فوبخه يحيى فقتله ، ورد اسم يحيى في القرآن خمس مرات . (الكامل في التاريخ ١ / ١٧٠ ، البداية والنهاية ٢ / ٥٨ ، قاموس الكتاب المقدس ص ١١٠٦ ، الموسوعة الميسرة ص ١٩٨٩ ، قصص الأنبياء للنجار ص ٣٦٩ ، معجم البلدان الملحق بالمورد ص ٥٠ ، دائرة معارف القرن العشرين ١٠ / ٩٢٦) .

الزمان واقترب ملكوتُ الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل» (مرقس : ١ / ١٤ - ١٥) ، وهذا منطقي تماماً ، فلا يصح لمن يدعوان بنفس الدعوة أن يُشوّش أحدهما على الآخر بنفس المقولة : «وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهود قائلاً توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (متى : ٣ / ١ - ٢) .

ولكن التاريخ لم يحفظ لك ما كتب تلاميذ يحيى في سيرة معلمهم مثلما حفظ لك في تلك الأناجيل ما كتبه تلاميذُ عيسى في سيرة يحيى والمسيح معاً . وقد حرص كاتبو الأناجيل - وكأنهم يردون على تلاميذ يحيى الذين ضاعت كتابتهم - حرصاً شديداً على إثبات ما يُعلى رتبة المسيح على ابن زكريا وبالغوا في هذا إلى حد الإغراق ، من مثل قولهم على لسان يحيى إنه ليس أهلاً لحمل حذاء عيسى (متى : ٣ / ١١) ولا يجمل هذا بالأنبياء حتى في تواضعهم ، بل هو اتضاعٌ مقيت لا يليقُ البتة بمن اعتمد منه المسيحُ وشهد له بالنبوة ووصفه في تلك الأناجيل بأنه لم يَقمُ في المولودين من النساء من هو أعظم من يوحنا (متى : ١١ / ٩ - ١٢) ، ولكنه يستدرك فيقول في نفس الموضع «ولكن الأصغر في ملكوت السموات أعظمُ منه» ، يعنى نفسه في قول شراح المسيحية ولكنه يقصد بـ «الأصغر في ملكوت السموات» أى الأخير بعثته وهو النبي الخاتم ﷺ .

وأيضاً عندما سعى عند يحيى بن زكريا ليُعمده<sup>(١)</sup> من ماء نهر الأردن شيان الساعين إلى هذا العماد ، فلما التقى النبيان امتنع عليه يحيى بتواضع الأنبياء قائلاً له : «أنا محتاجُ أن اعتمد منك وأنت تأتي إليّ؟ فأجاب يسوع قال له

(١) التعميد : الاعتماد أو المعمودية أو اغتسال التوبة أو الاضطباع وهو طقس الغسل بالماء بقصد التوبة ، وكان اليهود يستعملون هذا الطقس ، وقد اختلفت وجهة نظر المسيحيين فيه فجعله بعضهم بالتغطيس الكامل ٣ مرات ، وأغلبهم يكتفى برش الماء على الوجه ، وجعله بعضهم للكبار البالغين ، وأغلبهم يوجب تعميد الأطفال (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٦٧) وقد أحسن نصارى مصر بقولهم الغطاس بدلاً من العماد ، لأن الغطاس أدق في ترجمة Baptizein اليونانية . وقد قيل يحيى المغتسل بدلاً من يحيى المعمدان ، وليس بشيء ، والصحيح يحيى الغطاس .

اسمح الآن ، لأنه هكذا يليقُ بنا أن نُكَمِّلَ كل برٍ . (متى : ٣ / ١٤ - ١٥) .  
 وحتى إن سَلَّمْتَ هذا فلا يصح أن ترتب عليه أن يحيى ليس أهلاً لحمل  
 حذاء عيسى ، لأنه تصاغُرُ يسلبُ يحيى نبوته ، ولأنه لا يصح الاتضاعُ ويكرُمُ  
 إلا لله عز وجل ، فلا يصح اتضاعُ الأنبياء لغيره جل وعلا ، ولا يصح أيضاً  
 تفاخرهم على الناس أنبياء وغير أنبياء ، وقد كان عيسى عليه السلام غاية في  
 التواضع ، يأبى على أتباعه أن يُعَظِّمُوهُ : «وفيما هو خارج إلى الطريق ركض  
 واحد وجثاً له وسأله أيها المُعَلِّمُ الصالح ماذا أعمل لأرث الحياةَ الأبدية ؟ فقال له  
 يسوع لماذا تدعونى صالحاً . ليس أحد صالحاً إلا واحداً وهو الله » (مرقس :  
 ١٠ / ١٧ - ١٨) .

الذي يقول هذا لا تنتظر منه أن يُعَظِّمَ نفسه .

غالت الأناجيلُ إذن في تعظيم المسيح حتى أشرفت على المنزلق الخطر .  
 ومن هذا حذر النبي الخاتم : «لا تفضلوني على يُونُسَ بن متى» فالنبوة من الله  
 عز وجل ، يرفعُ درجات من يشاء ، والموحى واحد ، الفضلُ له والمن ، فلا  
 فاضل ولا مفضول . وقد جرَّتْ هذه المغالاةُ في المسيح كما تعلم إلى شرٍ كبير .

## الرسول والرسالة

بُعث عيسى عليه السلام ابن ثلاثين عاماً<sup>(١)</sup> رسولاً إلى بني إسرائيل حوالي سنة ست وعشرين ميلادية ، وفلسطين يومئذ ولاية رومانية تحكمها روما مباشرة ، وروما يومئذ والعالم القديم كله وثني مشرك ، إلا بني إسرائيل الشعب الذي يعبد الواحد الأحد منذ إبراهيم ، وقد تدهش كيف يبعثُ اللهُ الرسلُ إلى شعبٍ موحَّد ، بل وكيف يخصه بجم غفير من رسله وأنبيائه ، فلا يكاد يخلو منهم جيل إلا وقد كان معه طيبٌ يطيبُهُ ويداويه ، ولكنك تستدرك على نفسك فتقول أن داء العارف الجاحد أعتى من ضلالة حائر يتلمسُ من يهديه .

كانت رسالة المسيح إذن - شأنه شأن من سبقه - قاصرة على هذا الجيل الضال من «بني الأنبياء» الذين حار فيهم طب النبوة ، لاتعدوهم إلى غيرهم من أهل الأرض وثنيين ومشركين . نصُّ المسيح على هذا في الأناجيل بعبارة قاطعة لا تحتمل التأويل : «لم أرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة» (متى : ١٥ / ٢٤) لهذا ، لم تكن رسالة المسيح إلى قومه رسالة إلى التوحيد ، لأن دعوة التوحيد نداء وافر في سمع هذا الشعب من قديم ، لا يحتاجون إلى من يدلهم عليه ، وإنما كانت دعوته عليه السلام في قومه دعوة إلى توحيد من نوع آخر دأبوا على مخالفته والخروج عليه : التوحيد بين الظاهر والباطن ، بين القلب والقول ، بين الفكر والجوارح ، بين الإيمان وبين العمل على مقتضى هذا الإيمان .

(١) وُلِدَ عيسى عليه السلام سنة ٤ ق م . ورُفِعَ سنة ٢٩ م ، ونجد الكثير من المفسرين يشيرون إلى أن المسيح ولد ما بين ٤ سنوات إلى سبع سنوات قبل الميلاد ، والسبب في هذا الخطأ التاريخي أن Di onysius قد أرخ عملية صلب المسيح في عام ٧٥٣ بعد تأسيس روما ، ولكن هيرودس التي أشارت الأناجيل إلى أن المسيح ولد في عهده توفي في عام ٧٤٩ وفق التاريخ الروماني ، أي ٤ سنوات قبل الميلاد ، وأشار إنجيل لوقا في قصة عيد الميلاد أنه ولد في عام ٧٤٧ بالتاريخ الروماني ، أي ٦ سنوات قبيل الميلاد ، و بالتالي يمكن القول بأن المسيح ولد ما بين ٤ سنوات وسبع سنوات قبل الميلاد .



كان عليه السلام في دعوته - كما تنطق بهذا أقواله في الأناجيل - بينى على ما جاء به الذين تقدموه ، موسى وإبراهيم ، وما كان لك أن تنتظر غير هذا ممن قال : « ما جئت لأهدم الناموس والأنبياء ، وإنما جئت لأكمل » ، ناهيك بأن تنتظر منه مقولة غير مسبوقه في توحيد الله عز وجل تضيفُ إليه عيسى وجبريل ، كالتى صيغت من بعده مرحلة بعد مرحلة في المجمع ، مجمعاً بعد مجمع ، تتلم هذا التوحيد الخالص الذى جاء به موسى وإبراهيم ، فتبعض ذات الواحد إلى أب وابن وملك .

لم يكن هذا بالطبع حال المسيح عليه السلام ، حاشاه أن يكون ، الذى أبلغ فأدى . يكفيك من محكم قوله في تأصيل عقيدة التوحيد الخالص « لا إله إلا الله » قوله المحفوظ في الأناجيل حين سُئل عن أعظم الوصايا في توراة موسى فأجاب : « إن أول كل الوصايا هي : اسمع يا إسرائيل ، الربُّ إلهنا ربُّ واحد ، وتُحِبُّ الربُّ إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك . هذه هي الوصية الأولى .

وثانية مثلها هي : « تحب قريبك كنفسك<sup>(١)</sup> . ليس وصية أخرى أعظم من هاتين » .

فقال السائل : « جيداً يا معلم ، بالحق قلت ، لأنه الله واحد وليس آخر سواه » .

علم المسيح أن قد اطمأن قلب السائل فقال له : « لست بعيداً عن ملكوت الله » ، ولم يجسر أحد بعد ذلك القول الفصل أن يسأله (مرقس : ١٢ / ٢٨ - ٣٤) فقد جاء المسيح على دين موسى .

استحسن السائل قول المسيح ، واستحسن المسيح تعقيب السائل فبشره بأنه

(١) «القريب» ترجمة سقيمة للفظة Plesion اليونانية ، صحيحها «الجار» . من ذلك الوصية التى تقول : لانتشته امرأة قريبك ، لا يصح أن يفهم منها سريان الحظر على نساء ذوى قرباك فقط ، بل لانتشته امرأة جارك . وقد أحسنت الترجمة الإنجليزية فقالت Neighbour وحبذا لو تفعل الترجمات العربية .

من الجنة قريب وكأنه يزكيه لقومه ، من كان له مثل إيمان هذا السائل فعمل به ،  
فدخل الجنة : توحيد الله عز وجل والإحسان إلى الجار ، ولو أحسن كل جارٍ  
إلى جاره لكانت الحسنى في الخلق جميعاً .

بالتوحيد المطلق «لا إله إلا الله» قال المسيحُ كما رأيت من نص كلامه في  
هذه الأناجيل ، وبالتثليث قال منتسبون إليه في المجمع ، فأى الفريقين أولى  
بالاتباع ؟

ولكن لا تعدّم من يقول لك أن التثليث أيضاً توحيد ، لأن الأب والابن  
والروح القدس ثلاثة في واحد ، إنهم ثلاثة أوجه للذات الإلهية أو ثلاثة أقانيم ،  
تتميز لنا نحن البشر ، وتجتمع في الله الواحد ، وليس هذا من وحى الله في  
شئ ، وإنما هو من تهافت متفلسفة اللاهوت ، يُرَقَّعون قولاً بقول ، جرّهم إليه  
القول بأب وابن وملك . وما كان بهم إلى هذا من حاجة لولا أنهم حكموا  
المتشابه في المحكم ولم يقيدوه به ، ولولا إساءتهم فهم لفظتى الأب والابن  
العبرانيتين - الأراميتين .

وهل أحكم من قوله عليه السلام يُردّد قول موسى في التوراة : اسمع يا  
إسرائيل ، الرب إلهنا رب واحد ؟ أفيقول هذا لمن سأله عن الوصية الأولى  
والعظمى ، وهو يُضمّر في نفسه أنه وجبريل إلهان إلى جوار الله عز وجل ؟  
أليس قد وعد المسيحُ هذا السائل بالجنة إن مات على توحيد الله عز وجل ؟ فماذا  
لو قيل لهذا السائل من بعد المسيح إن الله ثالثُ ثلاثة ؟ أفيصدقهم هم ويكذب  
المسيح ؟ فمن يضمن لهم الجنة بقولهم ؟ أفالضمانُ عليهم ؟ فكيف يتركُ ضمان  
المسيح إلى ضمانهم هم ؟ بل من يضمن لهؤلاء القائلين الجنة وقد خالفوا الوصية  
الأولى والعظمى التي لقتها المسيح لهذا السائل ؟

بل علام اتكأ القائلون هذه المقولة ؟ أفي الأناجيل الأربعة قول واحد قاله  
المسيحُ ينصُ على أن الله ثالث ثلاثة ، أو ينصُ على أن الثلاثة في واحد ؟ وإذا  
كان الثلاثة واحداً ، فلماذا يقال أصلاً ثلاثة وهو في النهاية واحد ؟

وإذا كان الله اثنين فقط في مقولة أصحاب نيقية عام ٣٢٥ م ، فلماذا تثلت

بإضافة جبريل بعد مجمع نيقية بخمسين سنة ؟ وما شأن من قال باثينية الأب والابن وناضل عنها وجادل بها ومات عليها قبل أن يتأله جبريلُ أيضاً ؟

بل ما شأن موسى والنبين من قبلُ ومن بعد الذين تقدموا المسيح وقد دَعُوا إلى التوحيد الخالص وماتوا عليه ؟ أليسوا مع المسيح في الجنة ؟ فلماذا تكتنم الله التثليث عليهم وعلى من بعثوا فيهم فاستجابوا لهم وماتوا على ما دَعُوا إليه فدخلوا الجنة ؟

أفقد ارتضى الله التوحيد الخالص من الخلق أجمع قبل عيسى ، ثم أغلظ على الخلق من بعد فاشترط عليهم التثليث لدخول الجنة ؟

وإذا كان القول بالتثليث هو وحده المدخلُ إلى الجنة كما يقول علماء المسيحية ، فلماذا تكتنمهُ المسيحُ على الناس ؟ أفقد جاء ليُضلهم عنه أم ليهديهم إليه ؟

أفقد تكتنمها على هذا السائل عن الوصية الأولى والعظمى ، وأسرها في آذان بعض تلاميذه ليستعلنوا بها للناس من بعده ؟ أفهو النبيُّ أم هم الأنبياء ؟ وهَبْ أنه أسرها لتلاميذه وحوارييه ليعلنوها للناس من بعده ، فكيف لم يُسجلوها هم أو الآخذون عنهم في هذه الأناجيل وقد كتبت كلها بعد رحيله ، أو يحذفوا منها جواب المسيح على هذا السائل عن الوصية الأولى والعظمى : «اسمع يا إسرائيل : الربُّ إلهنا ربُّ واحد» وتعقيب السائل وقد اطمأن قلبه بهذا الجواب : «بالحقِّ قُلْتُ ، لأنه اللهُ واحد ، وليس آخر سواه !» ؟ أليست هذه نفسها شهادةُ المسلم : «لا إله إلا الله» ؟ فكيف خفيت على مجمع نيقية وعلى المجامع من بعد نيقية ؟ بل كيف خُفيت على أساقفة نجران في حوارهم ثلاث ليالٍ مع خاتم النبين في يثرب ؟

هذا الذي أنكر أن يقال له : «أيها المعلمُ الصالح» فقال : «ليس صالحاً إلا واحداً وهو الله» ، الذي أبى أن يكون صالحاً مع الله ، كيف يُظنُّ به أنه الله أو إلهٌ مع الله ؟

الذي قال : «أيها الأب ! كل شيء مستطاع لك ، فأجز عني هذه الكأس!»<sup>(١)</sup> ولكن ليكن لاما أريدُ أنا ، بل ما تُريدُ أنت» (مرقس : ١٤ / ٣٦) ، الذي سجلت الأناجيلُ له هذا الكلام ، الذي يتسهلُ إلى «الأب» (وهو الرب) ويسأله ويدعوه ويستغيثه ، ثم يُفوضُ الأمرُ إليه ويدعن للمشيئة ، كيف يقال إنه «ابن الأب» وإنه والأب واحد ، إله في الله ، أو إله مع الله ؟

هب أن المسيح صلب بالفعل وقبر ثم قام من قبره في اليوم الثالث كما يؤمن المسيحيون جميعاً . فلمن معجزة القيامة من بين الأموات ؟ أالمقبور في قبره ، الذي قال على الصليب : « يا أبتاه (يعنى يا رباه) في يدك استودعُ روحي» (لوقا : ٢٣ / ٤٦) . ولا فعل لميت ، أم المعجزة لله الذي لا إله إلا هو الحي الذي لا يموت ؟

ولماذا يؤلِّه المسيح وحده بهذه المعجزة ؟ أليس يقوم الخلق جميعاً ، برهم وفاجرهم يوم القيامة لله الواحد القهار ؟

ولماذا لم يؤلِّه «لعازر» الذي أحياه المسيح بإذن الله فانشق عنه القبر وخرج يدبُّ على قدميه مدرجاً في أكفانه ؟ ولماذا لم يؤلِّه أيضاً عيسى يوم «أحيا» لعازر؟ ولماذا أيضاً لم يؤلِّه نبي الله الإشع (اليسع) والصبي الذي «أحياه» كما تقرأ في العهد القديم (الملوك الثاني : ٤ / ١٧ - ٣٧) ؟

الآن المسيح ارتفع جسداً حياً أمام أعينهم إلى السماء ؟ فلماذا لم يؤلِّه أحد نبي الله إيليا<sup>(٢)</sup> (إلياس) الذي تقرأ في العهد القديم (الملوك الثاني : ٢ / ١١ - ١٢) ، أنه ارتفع إلى السماء جسداً حياً تحت سمع وبصر تلميذه نبي الله الإشع (اليسع) ؟

(١) الكأس هنا كناية عن الموتِ على الصليب .

(٢) قصة صعود إيلياً إلى السماء بينما كان يسير مع خليفته الإشع ، واكتفى بنقل الفقرة ١١ كما يلي : «وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما ، فصعد إيلياء في العاصفة إلى السماء» .

نعم ، ثمة فرق بين رفع إيليا ورفع المسيح : «أخذ» الله إيليا قبل أن يأخذه أعداؤه ، لم يمسه بسوء ، أما المسيح فى رواية الأناجيل فقد مكن الله منه أعداءه الذين رفعوه على الصليب حتى الموت ، ثم دفن ليعثه الله من بعد يُطْمئن تلاميذه ، ثم يأخذه الله إليه ، ولكن أيهما أليق وأكرم ؟ أفى صلب الأنبياء كرامة؟ ناهيك بأن يقال إن المسيح إله أو ابن إله ، فكيف يصلب الإله أو يترك ابنه للصلب على أيدي بشر من خلق ؟

لابد لهذا من علّة ، هكذا قال مؤلّهو المسيح على النبوة لله : شاءت محبة الله الفائقة للبشر الذين عصوه ويعصونه منذ أبيهم آدم ، أن يكفر عنهم بقربان يعدلُ جسامة هذا العصيان ، فلم يجد قرباناً أكرم من المسيح يبذله فداء للبشر ، فَضَحَى بابنه الوحيد فداءً للخلق ، وتستطيع أن ترد على هذا بقولك : فلماذا خلق الله جهنم للعصاة وهو ينتوى افتدائهم بالمسيح ؟ وإذا كان المسيح قرباناً من ذات الله ، فمن المضحى وهو نفسه الأضحية ؟ وهل يكفر الله المعاصي بالقرايين شأن آلهة الأساطير أم يكفرها بالتوبة والطاعة ؟ وهل كان الذين صلبوا المسيح يُقدّمون لله قرباناً ، أم أن الله هو الذابح والذبيح ؟ وإذا كان المسيح لم يضره هذا الصلب ، ولم يفسد له جسد بل انبعث بجسده من قبره لم يمسه سوء فبم كان الفداء ؟ أليس قد شبه الله عليهم ؟ وهل يليق بجلال الله عز وجل الذى وسع كرسية السموات والأرض أن يتحيز فى جسد بشر ، أو تكون له أم تنحو عليه وترضعه وتفطمه وتغذّوه ؟ ربما قيل لك إن الله عز وجل إذا ارتضى أمراً فعله ، لا يحدُّ من قدرته شيء ، وما جاز لمردة سليمان فى قمامتهم أهون على الله عز وجل ، الذى اتخذ مريم العذراء جسداً تلبس به زمناً على الأرض ، لا يعجزه تصريف ملكه من محبسه وتديير ملكوته ، لأنه سبحانه كلى القدرة ، يتعاطم فلا تدركه الأبصار ، ويتضاءل إن شاء فيتلبس بالنملة والهباء . هذا من تلبس إبليس ، يزينه لأوليائه . أما أن قدرته عز وجل لأتحدّ ، ما شاء فعل ، فهذا مُسَلَّمٌ مقطوع به فى جنب الله عز وجل بمقتضى ذات ألوهيته ، ولكنك تحيل على الله المحال ، لأن المحال عدم ، والعدم غير مقدور ، يعنى لاتتعلق به قدرة أو عجز ، والمحال فى حقه جل وعلا أن يكون إلهاً وغير إله ، الخالق والمخلوق ،

أَنْ يَحْدَهُ الزَّمَانُ وَالْمَكَانُ وَهُوَ خَالِقُ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ ، أَنْ يُجَلِّدَ وَيُصَلِّبَ مُرِيداً بَدَاتِهِ الْعَلِيَّةَ الذَّلَّةَ وَالْمَهَانَةَ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ ، أَنْ يَمُوتَ وَلَوْ لِلْحِظَّةِ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، أَوْ يَتَضَعُ لَخَلْقِهِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ . وَلِمَاذَا الْمَحَالُ ؟ لِأَنَّ مَحَبَّتَهُ «الْفَائِقَةَ» لِلبَشَرِ قَدْ غَلَبَتْهُ؟ أَلَا لَوْ ظَنَّ هَذَا الْبَشَرُ فَسُحْقاً لِلبَشَرِ أَجْمَعِ .

ثم من قال أن الله «شاء» افتداء البشر من معاصيهم بقربان من ذاته يقدمه إليهم لا بقربان منهم يقدمونه إليه ثم يقال إن الله ما شاء فعل ؟ من قال إن الله «شاء» هذا ؟ لا يصح الخبرُ بمشيئة الله إلا لنبي ، ولا يجوز التزيدُ على الأنبياء ، فما بالك بخائضين في ذات الله يتركون مُحَكِّمَ الْقَوْلِ إِلَى مُتَشَابِهِهِ ؟ قَدْ قَالَ الْمَسِيحُ فِي هَذِهِ الْأَنْجِيلِ أَنَّهُ يَأْتِي بَعْدَهُ أَنْبِيَاءُ كَذِبَةٌ كَثِيرُونَ تَعْرِفُونَهُمْ مِنْ ثَمَارِهِمْ ، أَيْ بِمَا يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَيْهِ ، بَلْ وَقَالَ بِالنَّصِّ : «لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي يَا رَبُّ يَا رَبُّ يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ ، بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ ، كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَا رَبُّ ، أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنْبَأْنَا ، وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيْطَانِينَ ، وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً ؟ <sup>(١)</sup> فَحَيْثُذُ أَصْرَحُّ لَهُمْ أَنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُ . اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الْإِثْمِ (متى : ٧ / ٢١ - ٢٣) .

ليس من يربب المسيح يدخل ملكوت السموات ، وإنما يدخله «الذي يعمل إرادة أبي الذي في السموات» يعنى الذى يعمل مشيئة الله ، الذى يأتمر بأمره وينفذ وصاياها ، فكيف يُنفذُ وصايا الله الذى يُخالفُ أولى وصاياها : «اسمع يا إسرائيل : الربُّ إِلَهُنَا رَبُّ وَاحِدٌ» ، أَيْ اللَّهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرَ سِوَاهُ ، كَمَا سَأَلَ ذَلِكَ السَّائِلُ الْمَسِيحَ عَنِ الْوَصِيَّةِ الْأُولَى وَالْعِظْمَى وَأَخَذَهَا مِنْ فَمِ الْمَسِيحِ نَفْسَهُ ، لَا يَسْأَلُ عَنْهَا أَحَدًا بَعْدَهُ ، فَمَاتَ عَلَيْهَا ، فَدَخَلَ الْجَنَّةَ .

كان هذا كله بالطبع مثار جدل عنيف بين المسيحيين من بعد المسيح ، مؤلهين وغير مؤلهين ، وليس لديك شاهدٌ على ما قاله غير المؤلهين بلسانهم ، فلم يحفظ لك التاريخ إلا مقولة المؤلهة وحدهم ، الذين استقرت مقولتهم بعد قرون

(١) «القوات» فى مصطلح الأنجيل يعنى الخوارق والمعجزات ، وإخراج الشياطين يعنى إبراء

من رفع المسيح ، وأتهمَ مخالفوهم بالهرطقة (١) ، أن قالوا ليس الابنُ من ذات جوهر الأب ، وطوردَ قائلو هذه الهرطقة وحرقت أناجيلهم فلم يعد لديك دليل مقطوع به من كتابتهم ، كالشأن في تلاميذ يحيى بن زكريا عليهما السلام ، ولكن الدليل على مقالتهم المخالفة لمقولة مجمع نيقية المنعقد سنة ٣٢٥ م للفصل في الخلاف حول طبيعة المسيح بين المسيحيين أنفسهم هو مجمع نيقية نفسه ، ولو لم يكن على طبيعة المسيح خلاف بين أتباعه لما كانت هناك حاجة أصلاً إلى انعقاد هذا المجمع وما تلاه من مجامع .

(١) «الهرطقة»: haireis اليونانية من hairein أى اتخذ أو تخيّر ، صارت فى مصطلح الكنيسة إلى معنى ابتدع أو قال فى الدين كفراً .

## البشارة

قال علماء المسيحية أن لفظة إنجيل هي لفظة يونانية هي «إيفنجليون» euaggelion<sup>(١)</sup> معناها الحرفي هو الخبر السار أو البشارة ، ولكن بشارة بمن أو بماذا ؟ أهي بشارة بشيء حدث أو بشيء سيحدث ؟ إن كانت بشارة بشيء حدث فهو المسيح نفسه الذي «تنبأت الكتب» بمجيئه ، فهو البشري التي تحققت ، ولكن علماء المسيحية لا يقولون بهذا ، وإنما يقولون أن البشري هي بشيء سيحدث ، وإن رسالة المسيح هي البشارة بهذا الذي سيحدث . فما الذي جاء المسيح يشر به ؟ أعني ما هو الخبر السار الذي جاء يعلنه للناس ، فسميت به الأناجيل إنجيلاً ؟

قال علماء المسيحية إن الذي جاء المسيح يشر به في هذه الأناجيل هو قرب «ملكوت السموات» : «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا ! لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (متى : ٤ / ١٧) . هذه العبارة ملكوت السموات ، وتجيء أيضاً بلفظ «ملكوت الله» ، من العبارات الهائلة المبهمة في مصطلحات الأناجيل ، استعصى فهمها حتى على الحواريين أنفسهم فما فتوا يسألون عنها المسيح وما فتىء هو يضرب لهم المثل تلو المثل في شرحها ، حتى فهموا أخيراً أنه يعنى بها الحياة الآخرة ، فريق في الجنة وفريق في السعير ، إنها البشارة بقرب قيام الساعة . ولكن لماذا تسمى الساعة ملكوتاً ، فيقولون في صلواتهم : «لتكن مشيئتك ، كما في السماء فكذلك على الأرض» (متى : ٦ / ٩ - ١٠)؟ الذي يُقربُ لك المعنى إن كنت من أهل القرآن هو قوله عز وجل يوم يرث الأرض ومن عليها ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر : ١٦] .

وربما كنى المسيح بلفظ «المللكوت» عن الجنة ، فقال «أبناء المللكوت» ، يعنى

(١) لاتنطق اليونانية حرف الجيم مشدداً ، وإنما تحيل الأول في النطق نوناً . ومن هنا gg

ينطقون التي في euaggelion لا gg بل ng وينطقون eu «إف» .



الأبرار الداخلين في عفو الله ورحمته ، المنعمين في رضوانه ، أولئك «هم الوارثون» كما تجد في القرآن .

ولكن ، كيف تصح البشارة بقرب قيام الساعة ؟ قد كان يُظنُّ عصر كتابة متى إنجيله أن الساعة على الأبواب ، لقوله في مرقس : «متى رأيتم هذه الأشياء صائفة فاعلموا أنه قريبٌ على الأبواب . الحق أقول لكم لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله» (مرقس : ١٣ / ٢٩ - ٣٠) ، لا يلبث المسيح أن يرفعه الله إليه حتى يعود في مجيئه الثاني فتقوم الساعة . ولكن مضت القرون ولم تأت الساعة . وقد قال لهم المسيح في نفس الموضوع : «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ، ولا الابن ، إلا الأب» (مرقس : ١٣ / ٣٢) ، وكفى بهذا إقراراً من المسيح بأنه لا يعلم إلا ما علمه الله ، أما الساعة فعلمها عند ربى لا يُجَلِّبها لوقتها إلا هو ، كالذى تقرأ في القرآن . فكيف يبشر المسيح بشيء لا يعلم موعده . لم يبشر المسيح باقتراب ملكوت السموات إذن ، فقد مضت إلى اليوم قرون وقرون ولم تقم الساعة . بل لا يصح لمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبشر بقيام الساعة . الأحرى أن يُنذِر بها ولا يبشر ، فليست هي بالخبر السار إلا لمن ضمن الجنة ، ولا يضمن أحد الجنة بعمله إلا أن يتغمده الله برحمته ، وإنما هو يرجو عفو الله ومغفرته ، فكل عمل في جنب الله قليل ، ولم يقل المسيح : تهللوا ! فالساعة قريب . وإنما قال : توبوا ! فقد اقترب ملكوت السموات . إنه هنا نذير لا بشير .

لم يبشر المسيح إذن بملكوت السموات ، إن فهمت ملكوت السموات بمعنى قرب قيام الساعة ، وإنما تستطيع أن تقول أنه أنذر بها . وقد قالها يوحنا قبله بنفس عبارته : «توبوا ! لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (متى : ٣ / ٢) . ومن ثم لا يصح اختصاص المسيح وحده بهذه البشارة ، أعنى النذارة ، حتى يُسمَى بها وحى الله عليه «الإنجيل» ، فلم يغفل عن قولها من قبلُ ومن بعد نبي . قيل أيضاً أن بشارة المسيح هي البشارة بمغفرة الخطايا ، يعنى أنه جاء خلاصاً للبشر من خطاياهم ، وليس بشيء ، لقوله في مرقس : «اذهبوا إلى العالم أجمع

وأكرزوا<sup>(١)</sup> بالإنجيل للخليقة كلها . من آمن واعتمد خلّص ، ومن لم يؤمن يُدَنّ» (مرقس : ١٦ / ١٥ - ١٦) ، فليس هو إذن خلاصاً للبشر أجمع ، وإنما الخلاص لمن آمن . وهذا صحيحُ فيه وفي سائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين . فليست هي إذن بشارة تتخصص به - وقد دعا بها يوحنا قبله : «كان يوحنا يُعمدُ في البرية ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا» (مرقس : ١ / ٤) . فلا مغفرة إلا بالإيمان والتوبة ، أتباع المسيح وأتباع يحيى في هذا سواء . وما العمادُ على يد يحيى أو عيسى إلا عهدٌ على إخلاص التوبة .

ها قد استبان لك بالتحليل النقدي وحده أن محور رسالة المسيح عليه السلام ليس هو البشارة بقيام الساعة - إن فهمت ملكوت السموات بمعنى يوم الحساب - فلا أحد يبشر بقيام الساعة ولا يطلبها في صلواته . وليس هو أيضاً «الندارة» بها، فهذا عام في كل نبي لا يختص به المسيح وحده . بل حتى إن فهمت ملكوت السموات بمعنى الحياة الآخرة «الملك يومئذ لله» ، فريق في الجنة وفريق في السعير ، أو فهمت ملكوت السموات بمعنى الجنة فقط ، فلا يستقيم لك هذا أو ذاك ، لأن التبشير بالجنة والتنفير من النار هو قول الأنبياء جميعاً لم يغفل عن قوله نبي ، ولا يختص به نبي دون نبي ، لا يصح أن تنفرد به رسالة المسيح فيتسمى به إنجيله ولا يصح أيضاً أن تكون رسالة المسيح هي «البشارة» بمغفرة الخطايا ، فهذه بشرى جميع الأنبياء من قديم لكل مؤمن تاب وأتاب فأسلم وجهه لله مخلصاً له الدين .

ولا يصح بالذات ما قاله اللاهوتيون من بعد في تأصيل نظرية البشارة بمغفرة الخطايا : قالوا بل من الخطايا مكتسب وأصلى . فأما المكتسب فهو الذي يجترحه البشر في هذه الدنيا ويصح تكفيره بالاستغفار والتوبة . وأما الخطيئة الأصلية فهي خطيئة يولدون فيها ولا حيلة لهم في دفعها لأنهم ورثوها ولم يجترحوها . إنها

(١) ليست هي «كِرَزَّ» العربية يعنى لجأ واعتصم ، وإنما هي منحولة من الآرامية بمعنى صاح وصوت ، فهو كاروز يعنى نذير أى Kerald الإنجليزية ، وقد اختارتها الترجمات العربية في مقابل Kerussein اليونانية بمعنى أعلن وبشر toproclaim .

خطيئة أبيهم آدم يوم نسى فأكل من الشجرة المنهى عنها . فباء بإثمها البشرُ جميعاً، الذين يولدون فى دنس هذه الخطيئة منذ أن طُردَ أبوهم من الجنة حتى مجىء المسيح ببشارة افتدائه البشر منها بدمه المسفوح على الصليب ، لأن «الآب» لايقبل قرباناً يعدل معصية آدم إلا دماً زكياً لم يولد فى دنس هذه الخطيئة ، وهو المسيح . ابن الله الوحيد الذى ولد لخلاص العالم . ولايصح هذا ، ليس فقط لأن الله تاب على آدم وزوجه قبل إهباطهم إلى الأرض كما قال القرآن : ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ {البقرة : ٣٧} ، ليس هذا فحسب، وإنما أولاً وبالذات لأن الخطيئة لاتورث ، بل كل امرئ مُحاسبٌ فحسب بما قدمت يده ، لا يسأل بما فعل آباؤه ، ولا يؤخذ بفعل ذراريه . وثانياً لأن معنى هذه المقولة هو أن الأبرار قبل المسيح - وفيهم أنبياء الله ورسله وصديقوه - ماتوا كلهم فى خطيئة آدم ، لاحظ لهم فى الآخرة . ولايصح هذا أخيراً وبالذات لأن المسيح لم يَقُلْهُ فى هذا الإنجيل الذى بين يديك ، ولايجوز التزويد على أنبياء الله ورسله ، ولاسيما فى أمر هو عمود الدين عند أصحاب هذا اللاهوت .

وقد جُودلَ أصحابُ هذه المقولة بمعظم هذا الذى قُلناه ، فأحيط بهم ، ولكنهم استدركوا على أنفسهم فقالوا إن الأبرار قبل المسيح - وفيهم أنبياء الله ورسله وصديقوه ومنهم مريم عليها السلام - يُعفيهم الله بسبق الاصطفاء من وزر الخطيئة الأصلية فلا يولدون فى دنس خطيئة آدم ، وإنما تَحْمَلُ بهم أمهاتهم حملاً بريئاً من هذا الدنس ، يُرْقَعُونَ كما ترى قولاً بقول . فما صح لهم هذا ولا ذاك، لأنه متى فسدت المقدمات فقد فسدت النتائج .

إذا كان المسيح لم يبشر بالساعة ، ولم يبشر بمغفرة الخطايا مجاناً ، ولم يبشر بنسخ الولادة من دنس خطيئة آدم ، فماذا بشر المسيح إذن فى إنجيله إذا كانت الإنجيل تعنى يونانياً البشارة أو الخبر السار ؟

يقول أهل القرآن إن بشارة المسيح إنما كانت بختام السنوات على يدي الذى يأتى بعده ، لقول المسيح فى القرآن ينص على هذه البشارة : ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ

مَرِيْمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦٦﴾ (الصف: ٦٦).

لاتقرأ هذا أو قريباً منه في إنجيل متى ومرقس ولوقا ، وإنما انفرد به «يوحنا» الذي جمع بين النقائص : أله المسيح جَهْرَةً في مفتتح إنجيله ، وختمه بالنص على أن المسيح رفع ولم يقل بعد كل الذي يجب أن يقال ، كما يتبين لك من قول يوحنا على لسان المسيح : « إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ، ولكن لاتستطيعون أن تحتملوا الآن . وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لايتكلم من نفسه ، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية » (يوحنا : ١٦ / ١٢ - ١٣) . لم يُرشد المسيح أتباعه إذن إلى «جميع الحق» بل عليهم أن ينتظروا «الآخر» ، متمم النبوات جميعاً ، الذي يرشدهم إلى «جميع الحق» ، فلا يبقى بعده من رسالات السماء شيء يقال .

هذه فى الأناجيل هى شهادة عيسى للقرآن ولمحمد ﷺ قبل ختام النبوات به بعد رفع المسيح بستة قرون ، وهى بشارته بقائل جميع الحق ، وهى كافية فى ثبوت بشارة عيسى بخاتم النبيين ، ولو قد تَلَبَّثَ عندها علماء المسلمين لكفتهم ، ولكنهم أصروا على التماس أسم خاتم النبيين فى الأناجيل صريحاً على لسان المسيح ، وسيأتى .

على أن علماء المسيحية لم يُسَلِّمُوا لعلماء المسلمين بالذى قالوا ، وهذا بديهى ، وإلا لدخلوا ودخل الخلق جميعاً فى دين الله أفواجاً ، وإنما يقول شراح المسيحية وعلماءها ولاهوتيوها أن هذا الآخر الذى يأتى بعد المسيح ليرشد الناس إلى جميع الحق ، أى ليقول لهم ما لم يقله المسيح ، لأنهم لا يستطيعون احتمالاه ، الذى نعتة المسيح بروح الحق ، ليس هو بشراً من أنبياء الله ورسله ، وإنما هو «الروح القدس» ، ثالث الثلاثة فى عقيدة التثليث ، يعنون ملك الله جبريل صلوات الله عليه ، وهذا القول - إن تمنعت - مردود بما فى إنجيل يوحنا نفسه الذى تجد فيه بالنص من كلام المسيح لتلاميذه قبل القبض عليه : «وأما الآن فأنا ماضى إلى الذى أرسلنى وليس أحد منكم يسألنى أين تمضى . لكن لأنى قلت

لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم . ولكنى أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق . لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى وهى (الفارقليط اليونانية) . ولكن إن ذهبت أرسله إليكم» (يوحنا : ١٦ / ٥ - ٧) ، وهذا صريح فى أن المسيح وهذا الآتى من بعده لا يتعاصران على هذه الأرض ، لا بد من رفع المسيح أولاً قبل مجيء هذا الآتى ، بينما تقرأ فى يوحنا أن هذا الروح القدس كان معهم قبل رفع المسيح ، بل إن المسيح نفخ فيهم هذا الروح القدس قبل ارتفاع المسيح : «ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس» (يوحنا : ٢٠ / ٢٢) . وهو مردود أيضاً بأن «الروح القدس» عندهم إله (ولم يكن يوحنا يعلم بالطبع يوم كتب إنجيله أن جبريل سيتأله فى الربع الأخير من القرن الرابع) ، ولا يليق بإله أن يتكلم من نفسه ، بل ينتظر سماع ما يقال له ثم يقوله للناس ، وإنما يصح هذا فى أنبياء الله ورسله ، يلقى إليهم وحيه فيتكلمون به ، شأن محمد ﷺ وهذا القرآن ، بل لا يصح فى جبريل بالذات وإن لم يتأله جبريل ، لقول المسيح فى يوحنا : «ومتى جاء المعزى الذى من عند الأب ينبثق، فهو يشهد لى» (يوحنا : ١٥ / ٣٦) لأن جبريل عليه السلام ملك الله إلى أنبيائه ورسله وقد سبق «انبثاقه» ، لا ينتظر المسيح حتى يرسله من عند «الأب» ، بل سبق «انبثاقه» مولد عيسى نفسه ، لأنه النافع فى مريم ، المؤيد للمسيح فى المعجزات التى أجزاها الله على يديه ، ولو كان عيسى إلهاً بذاته لما احتاج إلى جبريل ، ولو كان جبريل إلهاً بذاته لما احتاج إلى «السماع» من الأب ليتعلم بما يقوله له «أب» من ذات جوهره ، ولو بقى جبريل ملكاً على أصله لما جاز أن يكون هو المبشر به ، لأن الملائكة لا تنزل على تلاميذ وإنما تنزل على أنبياء كالشأن فى جبريل ومحمد صلوات الله وسلامه على ملائكته وأنبيائه .

وأخيراً - وهو الفاصل الحاسم - فإن هذا الذى تنزل على التلاميذ يوم الخمسين (أى بعد خمسين يوماً من رفع المسيح كما تقرأ فى سفر أعمال الرسل) لم يقل لهم شيئاً . لا من نفسه ولا سماعاً من الأب . كما قال المسيح فى الآتى بعده ، وإنما كان دوره هو تأييدهم ونصرتهم وإجراء العجائب على أيديهم كالذى تقرأه فى سفر أعمال الرسل . ليس هذا إذن هو الآتى بعد المسيح ، الذى «شهد له» وإنما الشاهد للمسيح هو هذا القرآن .

أما لفظة «الفارقليط Parakletos» التي سُمي بها المسيح هذا الآتي بعده ، فهي من اليونانية الكنسية التي لم تُسمع قط من اليونان قبل عصر المسيح ، يعني أنها منحوته نحتاً لتسمية هذا الآتي . وقد قال علماء المسيحية أنها يسهل اشتقاقها على المفعولية من الفعل اليوناني بمعنى استغاثه واستنصره واستعان به فهو إذن المُستغاث ، المستنصر ، المستعان : أخذوا Kalein اليونانية بمعنى ناداه واستدعاه ، وأخذوا المقطع اليوناني Para بمعنى إلى ، حوالى ، وكأنك تقول «هلمَّ إلى!» . ولا تزال : Parakalo في اليونانية تفيد معنى الطلب والرجاء (أرجوك!) هذا التفسير المسيحي للفظة الفارقليط Parakletos بمعنى النصير الشفيع ، تفسير متأثر بالدور الذي اضطلع به «روح القدس» من بعد رفع المسيح من نصرة التلاميذ وتأبيدهم بالعجائب التي أجراها على أيديهم على نحو ما تقرأه في سفر «أعمال الرسل» وإن لم يقل لهم شيئاً مما قال المسيح إنه سيرشدهم إليه ، الذي يقول لهم «جميع الحق» ، ومن ثم لا يتفق هذا التفسير مع دور هذا الآتي من بعد المسيح ، لأنه ليس المعنى بها .

ولاشك أن يوحنا الكاتب لهذا الإنجيل حين نص على أن الفارقليط هو نفسه روح القدس جبريل : «وأما الفارقليط<sup>(١)</sup> الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم» (يوحنا : ١٤ / ٢٦) . كان متأثراً بهذا الذي كان ، فخلط قلمه بين «روح الحق» و«روح القدس» التي سُمي بها الفارقليط مرة واحدة فقط في هذا الموضع وهي في كل المواضع الأخرى «روح الحق» وليست روح الحق هي روح القدس كما ظن يوحنا المتأثر بالذي كان . والذي ينبغي التنبيه إليه أن ترجمات الإنجيل بكل اللغات استبقت لفظة فارقليط على أصلها ، تحاشياً من التورط في ترجمة معناها إلى اللغة المترجم بها ، فقالت الترجمة العربية حتى أوائل هذا القرن «فارقليط» وقالت الترجمة العبرانية «برقَليط» وقالت الفرنسية Le paraclet ، إلخ . ولكن من اللغات الأوروبية من تصدت لهذه الترجمة فقالت الألمانية «المُدافع» أو «الشفيع» المتشفع به Fürsprecher وتابعتها الإنجليزية على هذا المعنى فقالت الناصح

المشير Counsellor وكأنها المحامي ، وقالت الإنجليزية أيضاً «المعزى» المواسى Comfrter وأخذتها عنها الترجمة العربية المعاصرة فقالت «المعزى» ، لاتجد اليوم غيرها فى ترجمات الإنجيل العربية . وليس هذا كله بصحيح من حيث اللغة ، لاسيما «المعزى» ، وإنما هو التفسير بالعقيدة ، لا التفسير باللغة ، فليس فى Parakalein اليونانية شىء من معانى العزاء والمواساة ، وليس فيها أيضاً شىء من معانى الشفاعة والمدافعة والمشورة ، وإنما هى - إن اشتقتها من Parakalein كما يقول علماء المسيحية - تعنى فقط المستغاث المستنصر المستعان ، أو الذى تتوجه إليه بالرجاء ، على معناها الباقى فى اليونانية المعاصرة .

أما علماء المسلمين فقد دلهم بعض السريان من قديم على أن فارقليط هذه تعنى فى اليونانية «أحمد» التى فى القرآن اسماً لخاتم النبيين الذى بشر به عيسى قومه فى القرآن فذهب بعض المفسرين إلى أن «الفارقليط من أسمائه عليه السلام» ، وقد جادل بها المسلمون أهل الكتاب إلى هذا العصر . وانتبه علماء المسيحية إلى خطورة هذا حين يقرؤه المسيحيون العرب الذين يعرفون على التحقيق معنى الاسم «أحمد» أو «محمد» فى لغتهم العربية ، ولا علم لهم بتلك اللغة اليونانية التى كتبت بها أصول الأناجيل وصيغت بها لفظة Parakletos هذه التى استُبتت على أصلها «فارقليط» فى الترجمات العربية حتى أوائل القرن العشرين ، فلا يستطيعون لمقولة علماء المسلمين هؤلاء دفعا .

قال علماء المسيحية <sup>(١)</sup> إذن أن Parakletos اليونانية لاتعنى قط «أحمد» وإنما تعنى «المعزى» فحسب ، معقبين بأنها فى الأصل اليونانى Parakletos ، وليست Periklitos ، «فليس فى المتن شىء من معانى الحمد» ، وتوقفت ترجمات الإنجيل العربية عن استخدام لفظة الفارقليط ، ووضعت فى موضعها لفظة المعزى قطعاً للجدل حول شبهة معنى «الحمد» فى الاسم ، على مثال ما فعلت الترجمة الإنجليزية Comfrter .

هذا الدفع «اللغوى» بأن الفارقليط لاتعنى أحمد ، دفع متأخر بطبيعة الحال ،

(١) تجد «الفارقليط» هذه بلفظ «المعزى» فى الترجمات العربية المعاصرة .

لم يُعرف قبل مبعث خاتم النبيين المسمى «محمداً» أو قل إنه لم يعرف قبل اطلاع الغربيين على معنى اسمه ﷺ ، فهبوا لمنع اشتباه اسمه باسم ذلك الآتى بعد المسيح ، الذى إن لم ينطلق هو لا يجىء . لكن هذا الدفع لم يطفى الشبهة ، بل زادها اشتعالاً : ها قد علم المسلمون أن فى اليونانية «فريقليط Periklitos» بمعنى «أحمد» شبيهة كل الشبه بـ«فارقليط Parakletos» المثبتة فى الأصل اليونانى ، فلم لاتكون هذه هى تلك ، تحرّفت على قلم يوحنا الكاتب فى إنجيله ؟ على أن علماء المسيحية أصحاب هذا الدفع اللغوى لم يُوقّفوا ، فليس معنى فارقليط Parakletos اليونانية هو المعزى كما مر بك وكما يعلم دارسو اللغة اليونانية ، ولا معنى للإصرار على أن الفارقليط يعنى المعزى . وليس بصحيح أيضاً أن Parakletos لاتعنى «أحمد» ، وأنها لو كانت أحمد لقيلت بلفظ Periklitos ، بل Parakletos بذاتها ودون افتراض تحريف أو تحوير ، تعنى أحمد أيضاً ، إن اشتقتها لامن Parakalein وإنما من Parakleiein ، المقطع الأول Para بمعنى المبالغة وتجاوز الحد ، والمقطع الثانى Kleiein فعلٌ بمعنى مَجْدَةٌ وحمْدَةٌ فهو المحمود أكثر من غيره ، شأن أحمد التى جاءت فى القرآن ، وفى هذا تعليل لمجيئها على «أحمد» لا «محمد» لأن القرآن ينظر إلى المكتوب فى الأناجيل اليونانية لا ما نطق به المسيح بلغته ، وليس فى اليونانية صيغة «مُفَعَّل» التى فى العربية والعبرية ، وإنما فيها المقطع Para الذى يفيد المبالغة وتجاوز الحد ، والمحقق الذى لا يصح فيه جدل أن المسيح لم يقل فارقليط أو فريقليط ، فهو لا يتكلم اليونانية ولا يُحدِّثُ تلاميذه بها ، وإنما هى ترجمة من يوحنا الكاتب ، لاتدرى عما نقل ، فلا تدرى هل أخطأ أو أصاب .

هذا إن قلت أن «فارقليط» يونانية ، ولكنك لاتستطيع أن تقول أيضاً - وهذا هو الأرجح - أن «فارقليط» ليست يونانية ، وإنما هى عبرية - آرامية «برق+ليط» على ما نطق به المسيح بلغته ونقلها على حالها يوحنا الكاتب حسبما استقام له

(١) راجع الكتاب المقدس طبعة الفاتيكان العربية ، المرجع المذكور ، حواشٍ على مجلد العهد



نُطِّقُهَا بلسانَه اليونانى . الذى يَدُلُّكَ عَلَى هذا أن العبرية المعاصرة تستخدم «برقليط» هذه بمعنى المحامى ، لا اسم عندها للمحامى غيره . وأن لفظة «برقليط» العبرية - الآرامية معناها كاشف الغشاة أو واضح الإصر ، وهو نعتة صَلَّى في القرآن .

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ بِأَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ {الأعراف : ١٥٧} .

والإنجيل المعنى فى هذه الآية هو بلاشك هذا الإنجيل اليونانى الذى بين أيديهم ، فما كان الله ليعمى عليهم إنجيلاً آخر ، وما كان القرآن ليقول إلا حقاً . لأندها هنا يتحدى أهل الكتاب بهذا الحق : إنه عندكم مكتوب فى إنجيلكم فتلمسوه فيه ، باسمه أو بنعتة ، لقوله عز وجل مباشرة بعد ذكر بشرى المسيح قومه بمحمد فى الآية ٦ من سورة الصف : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ \* يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ {الصف : ٧ - ٨} .

هذا قاطع فى بشارة الإنجيل بخاتم النبیین صَلَّى ، سواء قلت إنه «الفارقليط» المتنازع عليها صريحاً فى هذا الإنجيل .

هذه هى «البشارة» إن قلت إن «الإنجيل» يرنانياً معناها البشارة .

## المسيح ابن الله

إننا نتصدى لبعض تلك الشُّبه اللغوية ، والتي جرت إلى ما جرت إليه ولم يتوقف عندها أحد ، وأول هذه الشُّبه ، شُبُهَةٌ «نحوية» ، على أساسٍ من هذه الشبهة النحوية قال أصحاب مجمع نيقية ، الذين أخطأوا من قبل فهم عبارة «بار» بمعنى «ابن» و«أباً» بمعنى «الأب» ، إن المسيح ابن لأب هو الله ، وأسموه من بعد «ابن الله» ، ورتبوا على هذا أن الابن من ذات جوهر الآب ، وأنه والآب واحد ، وهذا مرفوض بمنطق «النحو» وحده : من كان ابنا لله فليس هو الله ، ناهيك بأن تلد الآلهة أو تولد .

كان عُدْرُ الحواريين الذين كتبوا هذه الأناجيل أو كُتبت عنهم باليونانية ، هو ظنهم أن «الأب» تصح بمعنى «الرب» في كل اللغات ، لا في الآرامية والعبرية وحدهما ، ووحدهما فقط ، فكتبوها باليونانية Pater (نظير Father الإنجليزية بمعنى الوالد الذى ولد) ، وعن هذه الأناجيل نقلت كل الترجمات .

على أن الآرامية - شأنها شأن العبرية - تستعمل لفظة «آب» (الأب المعروف) في الإشارة إلى الله عزوجل - تلك التى ضلَّ بها كثيرون ممن لا يفقهون مجاز اللغات السامية - ولكن الآرامية - لغة المسيح عليه السلام مع عشيرته وحواريه - تَحْتَمُ اللفظ بألف المد على التعريف ، فتؤول إلى «أباً» ، أى الأب بمعنى الرب لا بمعنى الوالد الذى ولد ، وتجاوز أيضاً على النداء والمناجاة : ربى ! لا يا أبى .

أما أن «الآب» ، «الأب» معناها «الرب» فى الآرامية والعبرية ، فذلك الدامغ هو ذلك العَلمُ العبرانىُّ «أبِيَاهُو» بن رِحْبَعَام بن سليمان بن داود ، الذى سبق مولدهُ مولدَ المسيح بسبعة قرون على الأقل ، وهو اسم مركب من شقين «أبى + يهوا» (يهوا هو اسمُ الله فى العبرية من بعد موسى) ، لا يصح لك أن تتصور ولو للحظة أن معنى الاسم الذى سماه به رِحْبَعَام بن سليمان بن داود هو «الله أبى» أعنى أبى الذى ولدنى ، إذن لذبحه اليهود فور هذه التسمية على مرأى

من أبيه ، إن لم يذبحوا أباه معه ، وإنما فهم اليهود وأراد رحبعام الأب بمعنى الرب في مصطلحهم ، فالمعنى هو «اللهُ رَبِّي» ، لا «اللهُ والدي» كما يفهمها علماء أهل الكتاب الذين لا يفقهون مجاز الساميات (١) .

هناك دليل آخر وهو قولُ المسيح عليه السلام في الأناجيل : «إني أصعدُ إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم» (يوحنا : ٢٠ / ١٧) يرادفُ الأولى بالثانية ، أى أن أبي وأباكُم هو إلهي وإلهكم ، لا يريد بالطبع إني أصعدُ إلى والدي ووالدكم الذى هو إلهي وإلهكم ، وإنما أراد إني أصعدُ إلى ربي وربكم الذى هو إلهي وإلهكم ، كلانا مربوط لله عز وجل ، والمأبُوتُ آراميا وعبرياً يعنى المربوبُ عربياً ، لاتصح . لاتصح «الأب» عربياً بمعنى «الرب» وإنما اضطرت الآرامية والعبرية إلى هذا المجاز لاستفادهما لفظة «راب» فى معانى أخرى ليس منها الرب «الإله» ، وهو معنى الكبير ، الرئيس ، الإمام ، المُعَلِّمُ المُربِّي . أما العبرية فهى لاتحتاج إلى هذا المجاز المُؤدِّن بالخلط والتخليط ، وإنما تقول ربي ، حين تريد «إلهي» وتقول أبى ، تعنى «والدى الذى ولدنى» وقد فهم القرآن المعجز مراد المسيح من قوله بالآرامية «أبى وأبوهم» فلم يقل على لسان المسيح «أبى وأبوكم» على الترجمة الببغائية ، وإنما قال عز وجل على لسان عبده ورسوله عيسى بن مريم فى خطاب قومه : ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [مريم : ٣٦] ، أى أن مربوبية المسيح والبشر جميعاً لله عز وجل الواحد الأحد هى الصراط المستقيم ، لا صراط غيره .

عليك إذن كلما قرأت فى الأناجيل لفظة «آب» ، «أب» حين تُعرِّفُ بالألف واللام ، أو حين تضاف إلى المسيح : «أبى» - وأنت تعلم مسيحياً كنت أو مسلماً أن المسيح غير ذى أب - أن المراد فيها هو «الرَّبُّ» ، «رَبِّي» ، فتفهم منها ما أراده المسيح على وجه القطع واليقين ، لا ما فهمه الذين ألهو المسيح على البُنوة لله عز وجل فى مجمع نيقية عام ٣٢٥ م فَبَنَوْا صرَحَ مقولتهم فى المسيح على خطأ لغوى بين ، لا يصح من عالم فقيه .

(١) انظر المعجم العبرى الآرامى لآلِفاظ التوراة ص ١ .

ولكن . . . يشاءُ ربك لهذه الكلمة اليونانية الأصل Pater (يعنى الأب) ونظائرها فى كل اللغات أن تكتسب بمحض الاستعمال على لسان المسيحى فى بقاع الأرض - أياً كان لغته - كُلُّ معانى القداسة الواجبة لله عز وجل وحده تقرؤها فى وجه هذا المسيحى وهو يقرأ فى صلاته : «أبانا الذى فى السموات»، فتقطع بأنه لا يريد بها «أبانا الذى ولدنا» ولا «أبا المسيح الذى فى السموات» ، وإنما هو يمثل أمامك فى صلاته رجلاً آرامياً - عبرانياً يريد بها ما كان يريده الرجل الآرامى - العبرانى فى زمن المسيح : الأبُ = الرَّبُّ ، لا إله غيره .

وإذا كانت «الأب» تعنى فى حق الله عز وجل آرامياً وعبرياً - لسان المسيح عليه السلام ولسان قومه - الرب الإله فقط لاغير، لا الأب الوالد ، فكيف جاز فهمها فى المسيح وحده على معنى (أبُوَّة) الله إياه ؟ كيف يجىء المسيح بلفظة الأب فيما ترويه الأناجيل من قوله : «وأما أنت فمتى صُمتَ فادهن رأسك واغسل وجهك ، لكى لاتظهر للناس صائماً بل لأبيك الذى فى الخفاء، فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية» (متى : ٦ / ١٧ - ١٨) فلا يفهم السامع «المأبُوءُ»<sup>(١)</sup> من لفظة «أبيك» فى هذا الكلام إلا معنى «الرب»، أما إن سمعها من المسيح يناجى بها ربه : «أيها الأب ، نجنى من هذه الساعة!» (يوحنا : ١٢ / ٧) فهذا السامع يفهم منها فى حق المسيح وحده لا الرب ، وإنما الأب الوالد ؟ لم يكن هذا بالطبع هو موقف كتبة الأناجيل اليونانية التى بين يديك ترجماتها، وإلا لأوقعت كتبها فى التناقض ، ولكنه كان موقف الذين استعانوا بهذه الأناجيل اليونانية فى تأليه المسيح على «البنوة» لله عز وجل فى مجمع نيقية عام ٣٢٥ م بعد رفع المسيح بنحو ثلاثة قرون .

وكما أله مجمع نيقية المسيح على البنوة لله ، وقع فى نفس الشبهة النحوية المجمع التالى الذى أله جبريل على «الملائكية» لله ، أن كان جبريلُ «ملاك الرب» النافث فى مريم كما قال لوقا فى إنجيله . وقد جَانَبَ هذا المجمع التوفيق جملة

(١) أباهُ أبُوهُ يعنى صار له أباً ، والمفعول منه «مأبُوء» . ومن هذا جاءت «الأب» لغة فى «الأب» : إنه «الأبى» الذى يابو ، رُحمت ياؤه .

فى تأليه جبريل على أساس من الأناجيل التى بين يديك ، فليس فيها قط أيما شبهة فى تأليهه كما وقعت الشبهة فى المسيح بإساءة فهم عبارة «بار - أباً» كما سترى لأنه إن جاز لمجمع نيقية القول بأن المسيح هو «ابن الله الوحيد» ليُخْرِجَ من البنوة لله «آدم» المسمّى ابناً لله فى إنجيل لوقا هو الآخر ، فليس بمستطاع القول بأن جبريل هو «ملاك الرب الوحيد» لأن ملائكة الرب أكثر من أن تُحصَى ، ولا يعلم جنودَ ربك إلا هو ، فلماذا يتخصص من دونهم جبريل بالتأله ؟ ولماذا أختير جبريلُ وحده من دون الملائكة ليكون هو من ذات جوهر الله ؟ ألا أن معنى اسمه هو «جبار الله» أو «رجل الله» ؟ فماذا فى «ميكائيل» الذى يقولون أن معنى اسمه «الذى هو كالله» ؟ أليس ميكائيل بها أولى ؟ ولكن ميكائيل لم يكن هو النافثُ فى مريم . وقد ظنوا - وقد ألهوا «المنفوث» من قبل على البنوة لله - أن المنطق لا يستجيز أن يستعلى المنفوث على النافث ، ولكن هل ألزمك أحد بتأليه المنفوث حتى تضطر إلى تأليه المنفوث ؟

فى مثل هذه الشبهة أيضاً وقع القائلون بتأليه مريم على المضاف والمضاف إليه ، فهى «أمُ الله» - وإن سمعتها منهم «أمُ الإله» - وكأنهم يخفون عليك من وقعها فى أذنيك وكأن الإله غير الله - ولكنك لاتستطيع أن تقول «اللهُ أم» أو «الإلهُ أم» فيمتنع التظنُّ فى أن مريم هى الله أو الإله بمقتضى النحو وحده ، ناهيك بامتناع الأمومة والبنوة فى حق الله .

وقد كان بالفعل أناس ألهوا مريم لمجرد أنها «أم عيسى» وقد ألهو ، فلا يصح أن تكون الوالدةُ أدنى من المولود . وقد أشار القرآن إلى هذا فى نعيه على ما قيل فى المسيح : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أُنْتِ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ {المائدة : ١١٦} ، ولكن «عبادة مريم» لم تستقر طويلاً بعد نزول القرآن ، بل بُذت واستبقت لمريم كرامة الأمومة لله (mere de Dieu) .

ولو أنصفوا لفعّلوا نفس الشيء فى باقى أفراد الثالوث الأقدس ، فاستبقوا لعيسى كرامة النبوة والرسالة ، واستبقوا لجبريل كرامة الملك المقرب ، وأفردوا الواحد الصمد لا إله غيره بالربوبية لهذين وللشعر أجمع .

ولكنك لاتهدى من أحببت . إن قارعتهم بالمنطق قالوا لك وهل يؤخذ الدين من أفواه المناطقة ؟ هذا هو الوحي الذى توارثناه كابراً عن كابر .

لا يؤخذ الدين من أفواه المناطقة . هذا صحيح . ولكن لا يصحُّ فى مقابله أن يُقال ليس فى الدين منطق . لأن الدين هو المنطق . وهل تَعَبَّدَ اللهُ البشر من دون الخلق إلا به ؟

والدينُ وحيُّ الله على رسله ، نعم . فهَلَّا استمسكوا بما قال موسى وعيسى والنبيون من قبلُ ومن بعدُ ، اللهُ واحدٌ ، وليس آخرُ سواه ؟

أما الشبهة الثانية ، فهى شبهة لغوية : ظنوا بلغتهم اليونانية (وقد علمت يونانية هذه الأناجيل) أن «آب» ، «أباً» ، «أبى» لاتعنى فى لغة المسيح إلا أبى الذى ولدنى ، وهى فى لغة المسيح تعنى «الربُّ» حين يقصدُ بها اللهُ عز وجل .

لن أثقلَ عليك بالرجوع إلى معاجم اللغتين العبرية والآرامية لتستوثق مما أقوله لك ، أى لتقرأ فيها أن «الأب» فى هاتين اللغتين تعنى أيضاً الفاطر المبدع البارى ، ولن أحيلك إلى قول المسيح فى هذه الأناجيل اليونانية يكنى فيها عن الرب بالأب ، ولن أستشهد لك بتسمية حفيد سليمان بن داود «أبياهو» أى «الله أبى» على معنى الله ربى التى تسمى بها أيضاً ابنُ لهارون أخى موسى عليهما السلام ، وليس لك أن تتصور قبولَ موسى هذا الاسم لابن أخيه ، على معنى اللهُ أبى ، وهارونُ هو أبوه . وإنما هى «الله ربى» لا يصح غيرها فى اسم لابن أخى موسى .

ولكنى سأدُلُّك على الشاهد اليقين الذى لاتصحُّ فيه محاكاة من قول موسى عليه السلام نفسه فى هذه التوراة التى بين يديك ترجمتها العربية التى أشرف على ترجمتها مسيحيون لاتشكُّ فى مسيحيتهم .

قال موسى فى هذه التوراة التى بين يديك بلغته العبرية : «هأ ليهاو تجملوا - زوت عام نبال ولو حاخام ؟ هألوا - هو أبيخا ، قانيخا ، هو عاسخا ويخو نينخا؟» وترجمته العربية المعتمدة : «ألرب تكافتون بهذا يا شعباً غيباً وغير حكيم؟ أليس هو أباك ومقتنيك ، هو عمَلِكَ وأنشأك؟» (ثنية : ٣٢ / ٦) .

ليس بعد هذا دليل ، وموسى نفسه يجانس الأب على الرب .

هذه هي الشبهة اللغوية الأولى . أما الشبهة الثانية فهي ظنهم أن «بار» العبرية - الآرامية تعنى الابن المولود لأب ، وهي تعنى أيضاً بذات لفظها ورسومها في الخط العبرى - الآرامى كما تقرأ في معاجم هاتين اللغتين : البارُّ المبرور على معنى الصفى المختار . لا يُفهمُ أيهما المقصود «البار أو الابن» إلا من السياق وحده . ومتى قد انتفت الأبُ بمعنى الوالد في حق الله عز وجل ، وإنما هو «الرب» فلا يصح لك أن تفهم من «بار - الرب» أنه ابن الرب وإنما تقول إنه «مختار الرب» حين تسمع بالآرامية «بار - أباً» ، لأن «بار» العبرية - الآرامية ، هي من الجذر العبرى - الآرامى «بَرَرُ» يعنى اصطفى وتَخَيَّرَ ، فهو الصفى المختار .

ومن طريف ما تقرأه في الأناجيل عبارة مرقس : «ولما رأى قائد المئة الواقف مقابله أنه (أى المسيح الذى على الصليب) صرخ هكذا وأسلم الروح قال حقاً كان هذا الإنسان ابن الله» (مرقس : ١٥ / ٣٩) ، التى تجدها هي نفسها فى لوقا : «فلما رأى قائد المئة ما كان ، مَجَّدَ اللهَ قائلاً بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً» (لوقا : ٢٣ / ٤٧) . هذه المقابلة بين النصين فى مرقس ولوقا تدلك بوضوح - والقائل هو القائل فيهما - على أن «بار» فى مرقس فُهِمَت بمعنى الابن ، وفُهِمَت على أصلها فى لوقا بمعنى «البار» .

عليك إذن أن تنحو نحو لوقا فى هذا الفهم كلما قرأت «الابن» أو «ابن الله» فى الأناجيل التى بين يديك حتى لا يستشكل عليك مراد المسيح عليه السلام منهما إن قالها أو حوطب بها أو قيلت فيه من بعده ، فلن يستشكل عليك أن يكون المسيحُ عليه السلام صفى الله أو مختار الله ، وهل أنبياء الله ورسُلُهُ إلا أصفياؤه ومختاروه ؟ فالحمدُ لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

والأطرفُ من هذا فى الدلالة على أن «بار» المعنية ليست هي الابن ، وإنما هي «البار» على معنى الصفى المختار ، هو اسم ذلك الشقى «باراباس» الذى أبى اليهودُ طالبوا دم المسيح افتداءً المسيح به حين عَرَضَ عليهم بيلاطس البُنطى أن يطلق لهم المسيح ويصلب «باراباس» مكانه ، والذى قد لاتعلمه أن أصل هذا الاسم «باراباس» - لاتندهش - هو «ابنُ الله» على قول من قال إن «بار» يعنى

ابن ، «أباً» يعنى الرب : «باراباس» فى أصلها الآرامى هى «بار - أباً» . وأنت بالطبع مسيحياً كنت أو مسلماً لاتستجيز أن يكون معنى اسم هذا الشقى «باراباس» هو «ابن الرب» أو «ابن الآب» أو «ابنُ الله» عليك إذن أن تفهم معنى الاسم «باراباس» على أنه «مختار الرب» أسماه به أبوه يوم ولد تيمناً وتفاؤلاً ، ثم خاب فيه فأله .

المسيح عليه السلام انفرد من دون الخلق جميعاً بمعجزة غير مسبوقه ، هى ولادتهُ لأمٍ بغير أب ، فشبهه لمن شبه له أنها البنوةُ لله ، وجاءت دعوى الألوهية ترتيباً على هذه البنوة المدعاه ، ولم يفظنوا إلى أن الله عز وجل يخلق ما يشاء ويختار ، أى يخلق ما يشاء على الوجه الذى أراد ، إنما أرادها آية للناس ، وهو على أمثالها قادر فى كل حين ، وقد عجبت مريم عليها السلام حين جاءها جبريلُ بالنبا ، فذكرها جبريلُ بإعجاز الله فى حمل خالتها بيحيى من قبل وقال : «لأنه ليس شىء غير ممكن لدى الله» (لوقا : ١ / ٣٧) . فهتمت مريم أن الله هو خالقُ هذا الجنين الذى فى بطنها ، فلم تؤلّه المولود الذى ولدته . إنها معجزة من الله عز وجل يضربها آية للناس الذين يمرون على آيات الله عُمياناً ، فما الخلقُ من الأبِ والأمِ معاً بأهون فى إعجاز الخلق من ولادة عيسى بغير أب ، ولكنه خرق العادة والإلف ، كى يلتفت الناسُ إلى إعجاز العادة والإلف . ولا فضل فى هذه المعجزة لجبريلَ أو المسيح ، حتى تتأصل عليها ألوهيةُ المسيح وجبريل ، أو حتى يتميز أى منهما بميزة ترفعه عن أصل طبيعته وكيونته : جبريلُ ملك من ملائكة الله ، والمسيح بشر من خلق .

والذى لايلتفت إليه كثيرون أن هذه المعجزة قبل أن تكون معجزة فى المسيح ، هى معجزة فى مريمَ نفسها الوالدة العذراء التى لم يمسهها بشر ، اجتمع فيها للمسيح الأب والأم معاً ، فهى صنوُ المسيح فى الآية والمعجزة : «وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾» .

قال المسيح عليه السلام فى القرآن يتشفعُ عند الله عز وجل للذين بدّلوا بعده : «إِن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِن تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾» .



لن تستطيع مهما حاولت أن تقول أبلغ من هذا القول الذى قاله المسيح فى القرآن : لم يقل إنهم «عبيدك» ، فأنت وما شئت فيمن خلقت ، ولكنه قال «عبادك» ، وكأنه يومئ إلى أنهم وإن خاضوا فى جلال ذاتك فإنهم يريدون وجهك . افتتنوا بى حتى سفهوا ، فارتفعوا بى من ذليل مقامى منك إلى عزيز مقامك ، وأنت القاهر فوق عبادك ، إن تغفر لهم فأنت عليها قادر .

فماذا كان جواب العزيز الحكيم ؟ قال يمدح صدق المسيح فى الذى قاله ، ويتكتم على الخلق أجمع بماذا هو مجيبه : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ {المائدة : ١١٩} ، أى هذا لك يا عيسى ولمن صدق بك على الأصل الذى قلت لهم . وذو القضاء لصاحب الملك : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ {المائدة : ١٢٠} .

ألا هل بعد هذا بلاغ ؟

## البت في مسألة الصلب

نحن لانجادل الأناجيل في كيفية الصلب الذى كان ، فالصلب واقعٌ وقَعَ لقول القرآن : ﴿وَلَكِنْ شَبِهَ لَهُمْ﴾ ، أى حدث الصلب وحدث القتل ، ولكنهما كانا فى المصلوب الذى شبه لهم ، لا فى عيسى الذى رفع ، ولانجادل الأناجيل أيضاً فى استشهادهم من المزامير على كيفية الصلب وما قاله المصلوب من مثل «ثقبوا يدي ورجلي» ، «على ثيابي اقترعوا» ، هذا كله فى المصلوب ، لا فى شخصه ، ولا يصح قصر «نبوءات المزامير» على المسيح وحده ، بل منها ما هو فى نجاته ، ومنها فى إيقاع الصلب على المشبه به ، الذى أوقع به عند طالبي دمه فوقع إثمه على نفسه : «كراً جَبّاً ، حَفَرَه فَسَقَطَ فى الهُوَّةِ التى صَنَعَ ، يرجعُ تَعَبَهُ على رأسه وعلى هامته يَهْبِطُ ظُلْمُهُ» (مزمور : ٧ / ١٥ - ١٦) .

فإن الله يفتن الناس فى هذه الدنيا بما شاء وكيفما شاء ، وأن الفتنة من الله عز وجل على أصل معناها فى اللغة ، اختبار وتمحيص ، لِيَهْلِكَ من هلك على بينة ، ويحيى من حَيَّ على بينة ، وهذا يدل على حكمة الله عز وجل فى فتنة الناس بالمسيح ، أغزر على يديه الآيات منذ أنطقه فى المهد مولوداً بغير أب ، وتتابعت على يديه المعجزات حتى إحياء الميت ، ثم شبه لهم قتله على الصليب حتى لم تبق لأحد شبهة فى أنه الذى مات ، ليتراءى لهم من بعد جسداً حياً يكلمهم ويؤاكلهم ثم يرتفع أمام أعينهم إلى السماء جسداً حياً .

ولأن المسيح عليه السلام هو آخر رسل الله إلى بنى إسرائيل ، فقد شاءت حكمته عز وجل أن تكون الفتنة بالمسيح فى شعب التوحيد منذ إبراهيم فتنة فى هذا التوحيد نفسه الذى تعالوا به على جيرانهم من قديم ، ولو كانت بعثة المسيح فى شعب وثنى يُعَدِّدُ آلهته لما كان لفتنتهم بالمسيح من معنى أن أضافوا ابناً جديداً لكبير آلهة الأولب وذراريه . بل أراد الله عز وجل التمحيص الأخير لصدق إيمان الذى استتاب موسى آباءهم من عبادة العجل فى التيه ، الذى قال لهم موسى :

«اسمع يا إسرائيل ، الرب إلهنا رب واحد» (تثنية : ٦ / ٤) فأجاب بها المسيح ذلك السائل عن الوصية الأولى في الناموس .

كان موت المسيح على الصليب فتنة كبرى لمن شبه لهم وقوع الصلب على ذات المسيح ، أعنى جميع الذين شهدوا هذا الصلب : شائئو المسيح ومبغضوه وطالبو دمه ، وأيضاً أنصاره ومحبهه الذين لو خيروا لآفتدوه بأنفسهم وأبناءهم .

فأما شائئو المسيح ومبغضوه وطالبو دمه فقد أخذتهم العزة بالإثم أن قتلوا بأيديهم المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وتباهوا بها مستهزئين : «إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ» [النساء : ١٥٧] . وكم قتل اليهود من أنبياء العهد القديم ، ثم ختموا بيهي عليه السلام فيما تروى الأناجيل ، فما قامت الدنيا وما قعدت ، ولم يقل أحد في نبي قُتل إنه أراد هذا القتل وسعى إليه وكان محور رسالته ، يكفر به عن خطايا البشر أو يفتديهم بدمه كما قيل في المسيح إنما قال أتباع النبي المقتول إنه مات شهيداً ، دمه على قاتليه .

وأما أنصار المسيح ومحبهه فقد كان موته على الصليب محنة لهم أى محنة ، بل كان فاجعة كبرى لاتعدلها مصيبة : أفقد مات الذى قال لهم أن الله أرجأه إلى قرب انقضاء الدهر ؟ ها هم يرونه بأعينهم يساق إلى الصلب مهاناً ، ثم يرفع على الصليب مثقوب اليدين والقدمين ، ويسلمُ الروح مطعون الجنب ليدفنه بأيديهم ، أفقد مات الذى أحيا الميت ؟ فلماذا لم ينقذ هو نفسه من القتل على الصليب ؟ نعم . . . قد قطعوا رأس يحيى قبله ولكن ابن زكريا ما أحيا ميتاً ولا أبرأ أكمه أو أبرص ، ولم يقل لتلاميذه أنه لا يموت إلى قرب انقضاء الدهر كما سمعوا هم المسيح يقول . فلماذا تركه الله يموت ؟ لِمَ لَمْ يَقْبَلِ اللهُ ضِرَاعَتَهُ : «أيها الأب نجنى من هذه الساعة» (يوحنا : ١٢ / ٧) فلم ينجه ؟ لماذا يتركه يموت وهو يناديه : (إلهى إلهى ، لماذا تركتني؟) (متى : ٢٧ / ٤٦) أفقد مات المسيح لا يدري بأى ذنب يقتل ؟ أو يموت يتساءل لماذا تركه الله يموت ؟

كلهم شكَّ فيه ، كما قال لهم ليلة القبض عليه : (كلكم تشكون فى الليلة) (مرقس : ١٤ / ٢٧) . ترى لماذا شك التلاميذ فى المسيح ، وفيم كانت

شكوكهم ؟ أفى نبوته وقد علموا أن الأنبياء تقتل وتموت ، وما رأس يحيى على طبق من الفضة ببعيد ؟ أم شكوا فى «ألوهيته» وقد علموا أن الآلهة خالدة لامتوت ، ففيم الفاجعة إذن فى «شبهه» إله يموت ؟

أما الذى لم يشك فيه أحد ، تلاميذ وغير تلاميذ ، فهو أن الذى مات على الصليب هو نفسه المسيح . لم يرتب أحد ولو للحظة فى أن المرفوع على الصليب ليس هو ، وإنما هو يهوذا الذى أسلمه ، شبه لهم .

كان التشبيه غاية فى الإتقان ، لا يستطيعه إلا خير الماكرين : ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران : ٥٤] .

هذا المائت على الصليب ليس هو المسيح ، يكفيك هذا فى قول القرآن وليس بعده قول لقائل : ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا \* بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء : ١٥٧ - ١٥٨] .

أما إن أردت الدليل من الأناجيل ، فهاك الدليل من قول المائت على الصليب: (إلهى إلهى . . لماذا تركتني؟) (متى : ٢٧ / ٤٦) ، وقد حرص متى على إثبات هذه العبارة فى إنجيله بنصها الأصيلى : (إيلى إيلى . . لما شبتنتى) كأنه يؤكد للقارئ اليونانى أنها هكذا قيلت ، وحرص أيضاً مرقس فى إنجيله على إثبات نفس العبارة (إلهى إلهى . . لماذا تركتني؟) (مرقس : ١٥ / ٣٤) بنصها الأصيلى واليونانى ، وإن تحول مرقس بلفظة «إيلى» أى «إلهى» العبرية الآرامية إلى نظيرتها العبرية القحّ «إلوهى» ولكن قلمه اليونانى لم يستطع الهاء فحذفها ، فصارت «إلوى» التى مازالت تقرؤها فى الترجمات العربية محذوفة الهاء تبركاً بالأصل اليونانى<sup>(١)</sup> .

وحرص الكاتبان كلاهما ألا يشتهب عليك مقصود المائت على الصليب فتظن أنه أراد «إيليا» (إلياس عليه السلام) ولم يرد «إيلى» أو «إلوهى» (أى إلهى) فقال

(١) ليس فى اليونانية حرف مخصوص للهاء ، وإنما هى علامة «نقطة» ترسم فوق حرف علة يبدأ الكلمة ، ومن هنا لا تُسمع الهاء من اليونان إلا هاء بادئة للكلمة كما فى «هرطقة» وأمثالها .

كلاهما أن قوماً من الحاضرين لما سمعوا العبارة ظنوا إنه ينادى إيليا (المرفوع حياً قبله في العهد القديم) كى يأتى ويخلصه ، وكأنهما يقولان لك لا تخطئ الفهم كما أخطأ هؤلاء ، بل كان المصلوب ينادى «إلهه» !! .

فظن لوقا ويوحنا - اللذان كتبا إنجيليهما بعد متى ومرقس - إلى خطورة هذا الذى أثبتته متى ومرقس فى إنجيليهما على دعوى ألوهية المصلوب : كيف يستغيثُ إلهه ؟ أفلا إله إله ، بل كيف يستغيثُ من الصلب وهو يعلمُ أنه لهذا جاء ويُعلمُهُ ؟ أما لوقا فقد حذف هذه العبارة من إنجيله وأثبت فى موضوعها : (يا أبتاه ، فى يدك أستودع روحى) (لوقا : ٢٣ / ٤٦) ، وأما يوحنا فقد أسقط العبارة جملة ولم يُثبت فى موضوعها شيئاً .

أما أنت فتفطن إلى أخطر مما خشيه لوقا ويوحنا . هذا المئات على الصليب ، الذى يستغيث الله ولا مغيث ، ليس بنبى ، ولا عليك أن يقال إله أو ابن إله . على أن المقبوض عليه عشاءً فصح اليهود فحوكم وأدين ليس هو المسيح ، دليلك فى هذا من الأناجيل عبارة نَدَّت عنه وهو يحاكم أثبتها متى فى إنجيله وهو لا يدرى مدى خطورتها فى تحديد هوية الذى حوكم فأدين : (وأقول لكم أيضاً أنكم منذ الآن سوف ترون ابن الإنسان (يعنى المسيح) جالساً عن يمين القدرة ثم آتياً على سحب السماء!) (متى : ٢٦ / ٦٤) فكيف يكون المائل أمامهم هو نفسه فى عين الوقت الجالس عن يمين القدرة الآتى على سحب السماء ؟ أليس قد أفلت الله المسيح قبل أن يحاكم أو يصلب ؟ أهمل تفوتك عبارة «من الآن» ؟ تجد مثل هذا فى لوقا أيضاً أكثر وضوحاً : (إن كنت أنت المسيح فقل لنا : فقال لهم : إن قلت لكم لاتصدقون ، وإن سألتكم لاتبجيونى إلا أن ابن الإنسان من الآن سيكون جالساً عن يمين قدرة الله ! فقالوا كلهم : أننت إذن ابن الله ؟ قال لهم : أنتم قلتتم إنى أنا هو ! ) (لوقا : ٢٢ / ٦٧ - ٧٠) .

مرقس وحده فطن إلى خطورة ما يخطه قلمه فأسقط «من الآن» وزيادة فى الحيلة غير ما قيل فى متى ولوقا فى جواب الذى حوكم حين سئل هل هو المسيح ؟ قال متى : (قال له يسوع أنت قلت) (متى : ٢٦ / ٦٤) وقال لوقا :

(أنتم تقولون) (لوقا : ٢٢ / ٧٠) وقال مرقس : (فعاد رئيس الكهنة يسأله ، فقال : أنت المسيح ابن المبارك فقال يسوع : أنا هو) (مرقس : ١٤ / ٦١ - ٦٢) أما يوحنا فقد أسقط هذا وذاك .

ترى هل رفع المسيح لحظة جاءوا يقبضون عليه وشبه لهم يهوذا الإسخريوطى<sup>(١)</sup> فأخذه مكانه ؟

**هناك رأيين في هذا الموضوع :**

**الرأى الأول :**

كان بنو إسرائيل ينتظرون مسيحاً مخلصاً ، وقد أشارت إليه تنبؤات بعض أنبياءهم فى بعض الأسفار ، ولكن لما كانوا ينتظرون مخلصاً لهم خاصة ، يعودون بزعامته إلى سيرتهم الأولى ، القائمة على الأثرة والاستعلاء ، وفكرة الاختصاص ، فلما رأوه من جهة يعمم رسالته ودعوته ، حتى تشمل جميع الأمم . ويهاجم من جهة أخرى رؤساهم ويندد بهم ، ويتساهل فى بعض التقاليد الموسوية ، تنكروا له وتألّبوا عليه وأخذوا يناوئونه ، لأنه أخرج الكهنة والفريسيين اليهود بتعاليمه وتجرّحه إياهم فى طريقتهم ، وفضح رياءهم وخبثهم ، فأخرجهم ذلك إلى الكيد له ، والتدبير لقتله ، فلما اختمر هذا الأمر فى أنفسهم ، شكوا أمره إلى الوالى طبعاً ، وزينوا شكواهم بما يستدعى اهتمام الوالى . . بأن أدعوا عليه أنه يقول : أنه ملك اليهود ، وأنهم لا يقرون بملك سوى قيصر رومية ، وقالوا أنه يفسد الأمة ، ويمنع الجزية لقيصر ، فأرسل الوالى جنده للقبض على المسيح . (وسوف نتبع سوياً روايات الأناجيل فى هذا الأمر) .

تم القبض على المسيح وأتوا به إلى بيلاطس البنطى<sup>(٢)</sup> من قبَل الملك

(١) الإسخريوطى أصلها العبرى «إيش قريوت» يعنى الرجل الذى من «قريوت» اسم بلدة فى اليهودية أو فى أرض موآب ، فهو المنسوب إلى هذه البلدة ومعنى اسمها عبرياً «قُرى» جمع قرية ، فهو يهوذا القروى وقد تحرفت إيش قريوت على قلم كتبة الأناجيل اليونانية إلى إسخريوط .

(٢) بيلاطس البنطى : من جزيرة فى البحر قرب رومية تسمى «بنطة» وكان صديقاً للملك طيباريوس (تاريخ ابن البطريق : ١ / ٩١) .

طياروريوس قيصر<sup>(١)</sup> وقال اليهود لبيلاطس : أصلبه فإنه أفسد ديننا وحل ناموسنا ويدعى أنه ابن الله ، فجزع بيلاطس من هذا الطلب لأنه لم ير فيه شراً ولا أمراً موجباً للقتل فأخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع وقال إني برىء من دم هذا البار ، أبصروا أنتم . (ابن البطريق : ١ / ٩٢ - ٩٣) .

سيق المسيح إلى (قيافاً)<sup>(٢)</sup> رئيس الكهنة الذى جمع مجعاً من الشيوخ والكتبة ، وهو ما يعرف اليوم باسم (السنهدرين) لمحاكمته مبيتين النية على الحكم عليه بالموت ، وأخذ المجمع يبحث عن من يشهد عليه بشهادة تساعد على قتله ، وأنه تقدم شهود قالوا : إنه قال : إني أقدر أن أنقض هيكل الله وأبنيه فى ثلاثة أيام ، فسأله رئيس الكهنة عما يقوله فى الشهادة فلم يجب . . فأقسم عليه أن يقول : هل هو المسيح ابن الله ؟ فقال له : أنت قلت ، ثم قال : إنكم من الآن ترون ابن البشر جالساً على يمين القدرة وآتياً على سحاب السماء ، فلم يكذب الرئيس يسمع هذا الكلام حتى شق ثيابه وقال : لقد جددت ، فما حاجتنا إلى شهود . . وسأل المجمع رأيه . . فقالوا : إنه استوجب القتل .

ثم أخذ عسكر الوالى يسوع إلى عسكر الولاية وجمعوا عليه كل الكتبة وعروه وألبسوه ثياباً قرمزياً ووضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه وقصبة

(١) طياروريوس : الإمبراطور الرومانى الثانى ، وخلف أوغسطس سنة ٤٢ ق م .  
 (٢) قيافا : رئيس كهنة اليهود وحبرهم الأعظم ما بين عامى ٢٧ - ٣٦ م ، وكانت هذه الوظيفة فى ابتداء أمرها تدوم مدة حياة متقلدها ، إلا أن الدولة الرومانية آنذاك كانت تتدخل فى تنصيب رئيس الكهنة أو عزله ، ولما قبض على عيسى عليه السلام (على زعمهم) فى المرة الأولى للمحاكمة أحضره أمام قيافا رئيس مجمع المحاكمة ، فحكموا عليه بصوت واحد بالموت ، غير أنهم لم يكن لهم قوة لتنفيذ هذا الحكم فأخذوه إلى بيلاطس البنطى حاكم اورشليم واليهودية ليأمر بصلبه ، ثم حاكم قيافا بعد ذلك بطرس ويوحنا الخواريين (قاموس الكتاب المقدس ص ٧٥٠ ، والموسوعة الميسرة ص ١٤١٠) ، وكان هناك آنذاك رئيساً للكهنة سابق فى اورشليم ما بين عامى ٦ - ١٥ م وكان حما قيافا ، وعندما قبض على المسيح لم يكن حنان رئيس الكهنة ، ولكنه كان أكثرهم نفوذاً ، وإليه أخذ المسيح أولاً وهو الذى أرسله مقيداً إلى قيافا (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٢٣) .

فى يمينه وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين : السلام يا ملك اليهود وبصقوا عليه ، وأخذوا القصبه وضربوه على رأسه ، ولطمه بعضهم قائلين : تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك !! وبعدها استهزءوا به ، نزعوا عنه الرداء ، وألبسوه ثيابه ، ومضوا به إلى الصليب (١) .

وكان ذلك فى الساعة السادسة من يوم الجمعة خامس عشر نيسان ، وتاسع عشر شهر برمهاث ، وخامس عشر شهر آزار ، وسابع عشر شهر ذى الحجة ، وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ، وصلبوا المسيح وصلبوا معه لصين وسمروهم بمسامير الحديد ، وفى هذه الأثناء غشيت الأرض ظلمة دامت ثلاث ساعات حتى صار النهار شبه الليل ورئيت النجوم وكان مع ذلك هزة وزلزلة (متى : ٢٧ / ٥١) ، (لوقا : ٢٣ / ٤٤) .

وهنا لنا وقفة مع هذا النص الإنجيلى ، يذكر لوقا أنه نحو الساعة السادسة (الثانية عشرة ظهراً) حل الظلام على الأرض كلها حتى الساعة التاسعة (الثالثة بعد الظهر) وأظلمت الشمس وأنشطر ستار الهيكل من الوسط (لوقا : ٢٣ / ٤٤ - ٤٥) ما يدريك أن هذا بالضبط هو الذى حدث بنفس الترتيب وأن حلول الظلام كان قبل رفع المسيح على الصليب وليس بعده ، فقد أظلمت الشمس حتى صار النهار مثل الليل ونزلت الملائكة وقاموا برفع المسيح ووضعوا يهوذا بدلاً منه لينال جزاء خيانتة ، تماماً كما حدث لإبرهة الأشرم حينما هم بهدم الكعبة فأرسل الله عليه الطير الأبايل ، وتماًماً كما حدث لرسول الله محمد ﷺ ليلة الهجرة مع مشركى قريش وجعل من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشاهم فهم لا يبصرون ، كيف خفيت عليهم هذه الفقرة السابعة من مزمو داود العشرين : «الله مخلصُ مسيحه» ، فلماذا لم يفتنوا إليها ، بل قل لماذا أسقطوها ؟ الله أعلم .

(١) (إنجيل متى : ٢٦ / ٥٧ - ٦٨) - (ابن البطريق : ١ / ٩٣ - ٩٤) .



## الرأى الثانى وهو الأرجح :

وهو ما يقوله لك إنجيل برنابا الذى ينكره المسيحيون ، ولكنك تجد مثله فى إنجيل مرقس ولم يحصه أحد : (وفى الحال فيما هو يتكلم وصل يهوذا أحد الاثنى عشر ومعه جمع عظيم يحملون السيوف والعصى ، وقد أرسلهم رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ وكان مُسَلَّمُهُ قد أعطاهم علامة قائلاً : الذى أُقبِلُهُ فهو هو، فاقبضوا عليه وَسَوْقُوهُ بحذر ، فما إن وصل يهوذا حتى تقدم إليه وقال : سيدى ! وقَبَلُهُ بحرارة فألقوا القبض عليه . ولكن واحداً من الواقفين هناك استل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه . وكلمهم يسوع قائلاً : أكما على لص خرجتم بالسيوف والعصى لتقبضوا علىّ ؟ كنت كل يوم بينكم أُعلِّم فى الهيكل ولم تقبضوا علىّ . ولكن هذا يجرى إتماماً للكتاب . عندئذ تركه الجميع وهربوا وتبعه شاب لا يلبس غير إزار على عريه فأمسكوه فترك الإزار وهرب منهم عرياناً (مرقس : ١٤ / ٤٣ - ٥٢) .

والذى يتعين التنبيه إليه فى خصوص هذا النص الإنجيلى المعتمد عند المسيحيين كافة ، هو أن التلاميذ هربوا جميعاً لحظة القبض عليه ، فلا تصح لهم شهادة على ما قاله المقبوض عليه للجدد لحظة القبض عليه ولاعلى ما قيل له منذ لحظة القبض عليه ، وما جرى له وما جرى منه أثناء المحاكمة التى جرت بين جدران مغلقة ولم تجر علناً ، وكذلك ما قاله وقيل له عند هيرودس ملك اليهودية من قبل الرومان أو عند والى روما بيبلاطس البنطى كالذى تقرأ فى الأناجيل الأربعة المعتمدة - وهو ما يفسر لك اختلاف الكتبة الأربعة لهذه الأناجيل اختلافاً كبيراً فيما بينهم حول ما قيل أو حدث .

لاتقبل شهادتهم لا لأنك تُجَرِّحُهُمْ ، وإنما لأنهم كانوا عن هذا غائبين ، والغائب لا يُعْتَدُ بشهادته ، ربما قلت أنهم أو بعضهم على الأقل شهد الجلد والصلب اللذين وقعا علناً ، فتكتفى منهم بما سمعوا أو عاينوا منذ الجلد إلى الموت على الصليب ولكنهم لم يسمعوا كل الذى قيل ، دليلك فى هذا تضاربهم فيما رووه ، فتقطع بأنهم أكملوا ما لم يسمعوا ، وكانت لكل منهم مصادره ،

وتفاوت قول الرواة ، فتفاوتت أقوالهم ، بل هناك ما تقطعُ بأنه لم يحدث وإنما هو من قول الرواة ، من هذا ومثله الحوار الهامس بين المائت على الصليب وبين زميليه ، الذى انفرد به لوقا المختوم بقول المائت على الصليب للص التائب : (الحق أقول لك إنك اليوم تكون معى فى الفردوس!) (لوقا : ٢٣ / ٣٩ - ٤٢).

أكان الثلاثة يتصارخون بهذا الحوار ليسمعه جمهور الحاضرين فى الساحة مثلما صرخ المائت على الصليب لحظة أسلم الروح : (يا أبتاه فى يدك أستودع روحى) التى وقعت فى سمع متى ومرقس بلفظ : (إلهى إلهى لماذا تركتني؟) ، تصور أنت المسافة بين المرفوعين على الصليب وبين الجند ، ثم بين الجند وبين الجمهور ، واحكم بنفسك .

ولكن الذى نتوقف عنده هو هذا الشاب الذى رآه مرقس يتبع المقبوض عليه عرياناً إلا من إزار ائتر به ، فأرادوا إمساكه ولكنه ترك إزاره فى أيديهم ليفر عرياناً ، ترى من كان هذا الشاب الواقف مباشرة خلف المقبوض عليه ؟ أكان من التلاميذ ؟ كيف وقد هربوا جميعاً كما يروى لك مرقس ؟ <sup>(١)</sup> أفكان من الجند ؟ فكيف أرادوا إمساكه ؟ أكان هو يهوذا ؟ فكيف يهرب منهم وهو الذى جاء بهم ؟ أكان عابر سبيل دفعة الفضول إلى السير فى موكب الجند والمقبوض عليه مثلما يسير الناس فى موكب الشرطة والجناة ، فما خشيته من الجند وما خشية الجند منه ؟ أفقد أمسكوا بالمتجمهرين جميعاً ؟ فلماذا يحاولون الإمساك به وحده ؟ أليس لأنه استفز شكوكهم التصاقه بالمقبوض عليه وهبيته بزى اللباس إزاراً على عُرْبِهِ ؟ أفقد لمسوا إزاره فسقط عنه أم جذبوه به فتفلت منه ؟ وكيف يخرج من إزاره فيستفزه عُرْبِهِ ولا يلحقون به ؟ كيف أنسل من أيديهم ولم يلاحقوه ؟

أليس هو المسيح نفسه الذى حاجزت عنه الملائكة بعد أن ألقى شبهه على يهوذا المقبوض عليه لحظة (القُبلة) لاتدرى من قَبَلٍ من ؟ ألم يأخذ الملائكة لباس عيسى فوضعوه على يهوذا ولم يبقوا له إلا إزاراً يأتزر به ثم يتركه فى أيديهم ليتلبس رداء من نور لا يبصره إلا ملائكة من نور محجوبون عن أعين الناس ؟ هكذا غاب الشاب عن أعين طالبيه الذين قبضوا على يهوذا مكانه .

(١) مرقس صاحب هذا الإنجيل هو تلميذ لبطرس الحوارى فهو ينقل عنه .

ربما قيل لك إن من مآثور المسيحيين الغير مسطور في الأناجيل أن هذا الشاب اللابس إزاراً على عُرْبِهِ كان «يوحنا» التلميذ الذي كان المسيح يحبه ، وليس بشيء لأن المكتوب في الأناجيل هو أن التلاميذ كلهم هربوا ، لم يتبعه أحد منهم أو فكر في اتباعه ، لم يتبعه أحد بعد هروبهم ومُضِيَ الجند إلا بطرس الذي تبعهم من بعيد كما يقول لك متى ومرقس ولوقا ، ولكن يوحنا يقول في إنجيله (وهو ليس يوحنا التلميذ المعنى) : (وتبع يسوع سمعان بطرس وتلميذ آخر كان رئيس الكهنة يعرفه ، فدخل ذلك التلميذ مع يسوع إلى دار رئيس الكهنة) (يوحنا : ١٨ / ١٥) ، ولا يصح أن يكون هذا والذي فر عرياناً هو نفس الشخص ، إذ كيف يدخل عرياناً على رئيس الكهنة ؟ وكيف يستعيد ثيابه ويلحق بالموكب ؟ هذه المعجزة الكبرى ، معجزة تشبیه عيسى لطالبي دمه وقضاته ومحاوريه وللجمهور الذي شهد الصلب ، لم يشاهدها من دون المسيح والملائكة أحد قط إلا واحد ، هو يهوذا المشبه به ، وكيف تُعَمَّى عليه والجند الذين جاء هو بهم وسار معهم وكلمهم وكلموه ، يقبضون عليه لايشكون لحظة أنه هو نفسه يهوذا الذي دلهم عليه : خرج من صفوفهم ليقبل المسيح فتركوا المسيح وقبضوا عليه هو ؟ أليس قد أحس يهوذا أنه لم يزل هو يهوذا ولكن الجند يرونه هو المراد القبض عليه ؟ الذي أصبح صوته كصوته وهيته كهيته ويتكلم بمثل كلامه ، فظن الجميع أنه هو هو ، حتى التلاميذ الذين هربوا ظناً منهم أن قد أخذ معلمهم ؟ ولكنه لايزال هو يهوذا لاشبهة عنده في ذلك ، فما بال الناس قد سَحَرُوا ؟

هنا يدرك يهوذا المقبوض عليه عمق الفاجعة : أغواه الشيطان فشك في نبوة معلمه ، وزين له الشيطان أن يمتحن صدق المسيح دعواه النبوة فدل عليه خصومه وطالبي دمه ، قال في نفسه إن كان نبياً فلن يمكنهم الله منه ويخلصه ، وإن كان دعياً محتالاً فبئس جزاء المحتال الدعوى ، وقد احتاط هو - يهوذا - لنفسه وحظي عند الكهنة .

ويفجع يهوذا بالذي كان : أهكذا يخلص الله مسيحه ؟ أيخلصه ويوقعه هو في نفس المصير الذي أراد بمعلمه ؟ أفقد أوقعه بالحفرة التي نصبها له ؟ فمن ليهوذا إذن بالذي يخلصه هو الآن وهو صفر اليدين مما أوتى عيسى صاحب

العجائب والمعجزات ؟ أفيقول لهم أنه ليس هو ؟ فمن ذا يصدقه وهو هو عند كل من يراه أو يسمعه ؟ ليس أمامه إلا أن يستسلم للمصير الذي أرادته لمعلمه عساه يكفر بها عن عبث الشيطان به ، ويرد سهمه في نحره ، عساه بافتدائه المسيح بنفسه أن تكتب له بها حسنة قد يمحو بها الله عنه إثم ما قد فعل .

كانت لسان حاله عبارة حفظها لوقا في إنجيله حين سُئِلَ : (إن كنت أنت المسيح فقل لنا : قال إن قلت لكم لاتصدقون وإن سألت لاتبجيونني ولا تطلقوني) ويمضون به ويمضى معهم وفي أذنيه فقرة من مزمو داود : (عَتَا يَدْعُتِي كِي هُو شِيْع يَهُوًّا مَشِيْحُو !). (الآن عرفت أن الله مخلص مسيحه !) (مزمو : ٧ / ٢٠) .

كيف خفيت هذه الفقرة السابعة من مزمو داود العشرين : (الله مخلص مسيحه) على كتبة أناجيل جعلوا من مزامير داود نبوءات تحدث بسيرة المسيح ومصيره ؟ أليس في هذه العبارة التي ترنم بها داود في المزمور (الله مخلص مسيحه) التي هي بالعبرية (هُوشِيْع يَهُوًّا مَشِيْحُو) تحديد لاسم هذا المسيح الذي يخلصه الله ؟ أليست هوشيع يهوا هي مقلوب «يهوشوع» اسم المسيح «يشوع»؟ فلماذا لم يفتنوا إليها ، بل لماذا أسقطوها ؟ أليس لأنها على الضد مما يريدون الاستشهاد به على خذلان الله مسيحه ؟ بل قل كيف خفى عليهم معنى الفقرات من مزمو داود الحادى والتسعين التي أثبتها لوقا في إنجيله على لسان إبليس يُغْوِي بها المسيح : (ثم اقتاده إبليس إلى أورشليم وأوقفه على حافة سطح الهيكل وقال له إن كنت ابن الله فاطرح نفسك من هنا إلى الأسفل فإنه قد كتب : (يوصى ملائكته بك لكي يحفظوك فعلى أيديهم يحملونك لئلا تصدم رجلك بحجر) (لوقا : ٤ / ٩ - ١١) .

أليس إبليس يستشهد هنا للمسيح بفقرات من هذا المزمور ؟ أليس في هذا دليل على أن لوقا يعتبر هذا المزمور في المسيح ، فلماذا لم يلتفت لوقا إلى بقية ما قيل : (لأنك قلت أنت يارب ملجئ جعلت العلى مسكنك . لا يلاقيك شر ولا تدنو ضربة من خيمتك . لأنه يوصى ملائكته بك لكي يحفظوك فى كل طرقك . على الأيدى يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك . على الأسد والصل تظا .

الشبل والثعبان تدوس . لأنه تعلق بي أنجيه . أرفعه لأنه عرف اسمي . يدعوني فأستجيب له . معه أنا في الضيق . أنقذه وأمجده . من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصى) (مزمور : ٩١ / ٩ - ١٦) ؟ أليس قد رفع الله المسيح قبل أن يصلب؟ أليس هكذا كان خلاص الله مسيحه ؟ أكانت هذه فى المائت على الصليب أم فى الذى رفع ؟

يهودا وحده هو الذى علم وعاین . ولكن يهوذا لم يقل لأحد ممن شبه لهم . كان يرجو بصمته أن يكتفى الله من عقابه بالإهانة والجلد ، فمضى يحمل على كتفه صليبه وهو يردد : (اغفر لهم أبناة فإنهم لا يعلمون) (لوقا : ٢٣ / ٣٤) .

نعم لا يعلمون علم الذى يعلم ، ولو علموه لشابت رؤوسهم ، أو لخزيوا وذلوا أو لانفضوا من حوله وذهبوا يلتمسون المسيح الذى أفلت من أيديهم بآية من آيات الله ، فليصبر عليها ، لا يئن وهم يثقبون بالمسامير يديه وقدميه ولا يشكو وقد رفعوه على الصليب ، ودماؤه تنزف ونزع الموت يقترب ، كانت ماتزال به نضاضة من أمل فى عفو الله وقد احتمل ما احتمل ، ولكن الأمل ينطفىء بمجىء ملك الموت يتراءى ليهودا على الصليب فيصرخ بأساً هو أفضع الأمل : «إلهى إلهى! لماذا تركتني!» .

أفقد غفر الله ليهودا فعلته ؟ أفقد شاء برحمته أن يحتسبها له شهادة ؟ الله عز وجل بغيه أعلم .

أما جثمان يهوذا الذى قُبر ، ففي إنجيل متى ما يفسر لك مصيره :  
«وبينما كانت المرأتان ذاهبتين ، إذا بعض الحراس قد ذهبوا إلى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما جرى » (متى : ٢٨ / ١١) ، يعنى أن المائت على الصليب قد قام من قبره الذى وجدوه خالياً من جثمانه .

«فاجتمع رؤساء الكهنة والشيوخ وتشاوروا فى الأمر . ثم رشوا الجنود بمال كثير وقالوا لهم : قولوا إن تلاميذه جاءوا ليلاً وسرقوه ونحن نائمون ! فإذا بلغ الخبر الحاكم فإننا ندافع عنكم فتكونون فى مأمن من أى سوء » (متى : ٢٨ / ١٢ - ١٥) .

أى إذا افترض كذبكم أو حاسبكم على غفلتكم عنه فنحن نستعطفه ونجعلكم مطمئنين ، فأخذوا الفضة وفعلوا كما علموهم ، فشاع هذا القول عند اليهود إلى هذا اليوم .

### الخلاصة :

ما يدريك أن هذا بالضبط هو الذى حدث ؟ ما دمت قد سلمت بأن المقبور هو يهوذا وليس المسيح ؟ ولكن «السارقين» من اليهود يكتشفون المهزلة فقد بطل التشبيه وعاد الجسد يهوذا الذى كان ، فماذا يفعلون به ، أفيعتلون بفضيحتهم للناس أم يُغيبون الجثمان بعيداً عن القبر ؟

ألقوا به من عليّ ليظن أنه ندم فخنق نفسه كما قال متى ، أو دفع نفسه من حائق كما قال بطرس «وقع على وجهه فانشق من وسطه واندلقت أمعاؤه كلها» (أعمال الرسل : ١ / ١٨) .

## البت فى مسألة الوفاة والرفع

لم يهلك المسيح على الصليب كما يؤمن الذين شبه لهم ، فما قتلوه وما صلبوه ، بل توفاه الله رافعاً إياه إليه ، أى توفاه بأن رفعه إليه سليماً معافى لم تهلك منه شعرة ، ولم يُخدش منه ظفر ، جسداً حياً ولم يزل ، لا يموت إلا والساعة قريب ، فهو من أعلام الساعة وأشراطها ، ينزل فى الناس بالحق الذى جاء به القرآن فيه ويصحح مقولة الذين شبه لهم ، ثم يموت على دين خاتم النبیین كما مات الرسل من قبله لِيُبْعَثَ معهم يوم يقوم الأشهاد : ﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء : ١٥٩] .

وليس أصل معنى «التوفى» فى اللغة هو الإماتة كما يخطئ مفسرون ، وإنما «التوفى» فى أصل معناه ، بل وفى معناه القرآنى بالذات هو «الاستيفاء» ، أى «الاستخلاص» كاملاً غير منقوص ، تقول منه : وَفَيْتَهُ حَقَّهُ ، وتوفىَّ هو حَقَّهُ ، يعنى أخذه كاملاً ، ومن هذه قوله عز وجل : ﴿وَأِنَّمَا تُوَفُّونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران : ١٨٥] ، ومنه أيضاً : ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر : ٤٢] .

وإنما جاز التوفى بمعنى الإماتة لأن الموت مترتب عليه ، أعنى الذى مات وإنما مات لأن الله «توفى» نفسه أى قبضها إليه ، أى استخلصها من هذا الجسد ، والذى فى المسيح ليس من هذا ، وإنما هو فى المسيح على أصل معناه : التوفىَّ بمعنى الاستخلاص كاملاً غير منقوص ، دليلك فى هذا قوله عز وجل : ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قُمْ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران : ٥٥] ، ولو فهمتها بمعنى «إنى ميمتك ورافعك إلىَّ» لما كان لكلامك معنى ، فالله لا يرفع إليه جسداً ميتاً ، وهو أيضاً لا يرفع إليه نفساً أميت جسدها بالتوفى ، أى بتوفى النفس ، وإنما هو يقبض الأنفس ولا يرفعها . وحتى وإن سوغت لك نفسك هذا الفهم السقيم فقلت أن «الرفع» ها هنا بمعنى «القبض» ، فقد أمات الله إذن المسيح على هذه الأرض

وقبض نفسه كما يقبضُ الله الأنفس ، فماذا يبقى لديك من معنى الآية ، وقد تقدمها مباشرة قول الله عز وجل : ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قُمْ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران : ٥٤] .

أى أرادوا صلبه وأراد الله بالمسيح شيئاً آخر ؟ أفيصحُّ أن يكون هذا الشيء الآخر هو أن يُميتَ الله عيسى كيلا ينالوه حياً ، وكأن المعنى لم يقتلوه ولم يصلبوه وإنما أمتناه نحن بأيدينا لا بأيديهم ؟ فما الإعجاز في هذا ؟ أفى هذا إنجاء وتخليص ؟ وما قيمة هذا في جنب مكر الله عز وجل وتدبيره وهو «خير الماكرين» هذا هراءٌ بالطبع لا يصحُّ أن تقع فيه إن وقعتَ على مثله . وخلاصة قول المفسرين فى هذا أن المسيح عليه السلام رفع بجسده ونفسه معاً ، أى رفع جسداً حياً ، وإنه لم يزل كذلك ، إلى أن يُهبطه الله إلى الأرض ليموت عليها كما مات الأنبياءُ وكما يموت البشر وكل ذى نفس ، الآن كل نفس ذائقة الموت كما أخبر القرآن ، أما قولهم فى التوفى ففريق أجمع على أنه بمعنى القبض ، أى إنى قابضُك إلى ورافعك إلىَّ وكان الرفع هو التوفى ، وهذا من الحشو الذى لا يضيف شيئاً جديداً ، فأنا وأنت نُنزّه القرآن عنه . أما الفريق الآخر الذى يُصرُّ على أن التوفى بمعنى الإماتة ، فهو يقول إن فى الآية تقدماً وتأخيراً ، أى إنى رافعك إلىَّ ومطهرك من الذين كفروا ، ومتوفيك بعد ذلك ، أى حين يُعيدهُ إلى الأرض مرة أخرى ليشهد على الذين خاضوا فى عبده ورسوله ، وليس هذا أيضاً - أى التقديم والتأخير - بمقبول لأنه يعكس ترتيب الأحداث منذ الرفع إلى التوفى وبينهما فجوة اتسعت حتى يومنا هذا لحوالى عشرين قرناً من الزمان والله أعلم متى تلتئمُ الفجوة ، ولا يصح فى هذا تقديم وتأخير ، وإنما هو خلط وتخليطٌ نُنزهُ أنا وأنت القرآن عنهما : لا حيلة لمن أراد التوفى فى الآية بمعنى الإماتة إلا أن يسلم بخطئه ، إن وقع التوفى بمعنى الموت أولاً على الترتيب الذى جاء به القرآن ، فقد امتنع الرفع والتطهير ، وإن افترض فيه تقدماً يراد به التأخير ، أى أراد معكوس الترتيب الذى فى القرآن ، فلا يصح له هذا إلا بافتعال لا يليق بجلال القرآن .



على أن هناك من قال كما نقول نحن أن التوفى فى الآفة هو بمعنى الاستفاء على أصل معناه ، ولكنه لم يوفق فى استجلاء مراد القرآن من هذا الاستفاء : قال إن الله عز وجل وقد رفع عيسى إليه حياً لم يميت ، إنما استوفى عمره فى الدنيا ، أى استكمله له ، أى استوفى حياته على الأرض بين الناس . ولا يصح هذا من وجهين ، الأول أن المسيح المرفوع لم يستكمل حياته على الأرض ، بل سيعود إليها ليستوفى ما بقى له من عمره . والوجه الثانى أن هذا القول لا يصح فى اللغة ، لأن المفعول فى «متوفيك» هو المسيح نفسه ، لا عمر المسيح ولا حياته ، فالمستوفى (بفتح الفاء) الذى استوفاه الله هو المسيح لا عمر المسيح ، واستفاء المسيح يعنى استخلافه مما أرادوه به ، أى القتل والصلب ، فهو الإنجاء والتخليص ، الذى فسره القرآن المعجز بقوله عقيب هذا مباشرة : ﴿ومطهرك من الذين كفروا﴾ أى أسلك منهم كما يسأل الحق من الباطل ، وكما يُنفضُ الوسخُ عن الثوب . وقد يظن المفسرون - ولم يوفقوا - أن التطهير فى الآفة يعنى إبراءه من ذنب ما قالوه فيه ، إله أو ابن إله ، ولا يصح هذا أيضاً لأن قالة هذه المقالة ما كانوا قد ولدوا بعد ، بل حتى إن سلمت كما يؤمن النصارى بأنهم قالوها وهو بين ظهرانيهم فما كانوا هم الذين طلبوا قتله على الصليب .

ونحن لا نجد الأناجيل فى أن المسيح تراءى لتلاميذه بعد الصلب ، أعنى بعد نجاته من الصلب ، بل هذا هو الأقرب إلى الصواب ، الأشبه بما فى القرآن : ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران : ٥٥] . وقد مر بك أن التوفى فى الآفة من «الاستفاء» بمعنى الاستخلاص كاملاً غير منقوص ، وقع الاستخلاص أولاً ممن جاءوا للقبض عليه والمحاكمة بينه وبينهم على نحو ما قص عليك مرقس فى إنجيله من حديث الشاب المؤثرر بإزار على عريه ، الذى اختفى عن أعين طالبى الإمساك به فأنسل من رذائه ولم يروه بعد ، وما كان الله عز وجل ليرفع المسيح إليه إلا على أعين الحواريين ، ليكونوا على رفعه شهوداً ، كما سبق أن استشهد الله الحواريين على إنزال المائدة إليهم ليحاسبهم إن كفروا من بعد ، حاشا الحواريين أن يكفروا بما استشهدهم الله عليه .

وفى إنجيل متى أنه واعد الحواريين قبل محاولة القبض عليه فى أورشليم ،  
 أى قبل القبض والصلب ، أن يلتقى بهم فى الجليل ، وأن الأحد عشر (أى خلا  
 يهوذا بالطبع) ذهبوا إليه فى الجليل ، ذهبوا وبعضهم شك حتى بعد أن رأوه ، مما  
 يدلُّ على أن معجزة التشبيه شَبَّهَتْ عليهم أيضاً (متى : ٢٨ / ١٦ - ١٧) أى  
 كانوا ممن قال القرآن فيهم : ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا  
 اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ {النساء : ١٥٧} ، وكان لأبد للمسيح أن يرتفع إلى السماء  
 أمامهم بعد أن كَلَّمَهُمْ (مرقس : ١٦ / ١٩) ليكونوا شُهَدَاءَ على إعجاز الله فى  
 تخليص مسيحه .

أما ما قاله المسيح لهم قبل أن يرفعه الله إليه ، فهو فى الأناجيل التى بين  
 يديك مقولة الذين شَبَّه لهم شَخْصُ المصلوب ، وهو أيضاً يتفاوت بتفاوت ما أراد  
 الكاتب إثباته على لسان المسيح احتجاجاً لرأى الذى كتب ، إن صَدَقَتْ بإنجيل  
 فقد كذبت بإنجيل ، على ما ترى من قولهم على لسان المسيح فى آية «يونان  
 النبى» (يعنى يونس عليه السلام) حين طلب منه الكتبة والفريسيون أن يروا منه آية  
 فقال لهم جيل شرير وفاسق يَطْلُبُ آيَةً ولا تعطى له إلا آية يونان النبى ، ثم  
 يمضى متى فيقول : «لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ  
 هكذا يكون ابن الإنسان (يعنى المسيح) فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ»  
 (متى : ١٢ / ٤٠) . لا مفر لك إلا أن تقول إن متى أراد هنا الاحتجاج لصلب  
 المسيح ودفنه فى الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ يبعث بعدها حياً . ولا يصح هذا  
 لأن الذى صُلِبَ بإجماع الأناجيل الأربعة حتى متى نفسه ، إنما مكث فى قبره  
 ليلتين فقط (الجمعة والسبت) وخرج منه فجر الأحد ، ولا يصح أن يقال هذا أيضاً  
 على التشبيه بما كان عليه يونس فى بطن الحوت ، لأن يونس لم يمِت فى بطن  
 الحوت ولم يَلْتَقِمْهُ الحوت جسداً ميتاً كحال المصلوب ، ولو تمهل متى  
 والمستشهدون بقوله فى «آية يونان» لما قالوها ولما نَسَبُوهَا إلى نبى يوحى إليه  
 لا يقول إلا حقاً ، هذا ومثله كثير لانتصدى له .

هذا هو الرأى الأرجح فى مسألة التوفى والرفع ولكن للأمانة العلمية سوف

نسوق إليك بعض آراء بعض العلماء في هذه المسألة : هل رفع المسيح حياً بجسمه وروحه ؟ (١)

هل استوفى أجله على الأرض وهو مختفٍ ثم مات ودفن جسمه ورفعت روحه إلى بارئها ؟

كان هناك اتجاه شاع بين الناس بأن عيسى عليه السلام عندما نجا من المؤامرة رفع بجسمه وروحه إلى السماء ، وكان هذا الرأي يصور اختفائه الذي تحدثنا عنه ، ولكن هذا الاتجاه واجه دراسة واسعة قام بها المفكرون في العصر الحديث ، واعتمدوا في كلامهم على نصوص قديمة ودراسات موثقة ، وأوشك هذا الاتجاه الجديد أن يقضى على المزاعم القديمة التي كانت تقول برفع السيد المسيح بجسمه وروحه .

وعلى كل حال فينبغي أن نورد دعائم الرأي القديم ، وأن نناقش هذه الدعائم لنسهم في تأصيل الرأي الجديد الذي نرتضيه .

بني الرأي القديم على فهم غير دقيق للآيات والأحاديث التالية : -

قوله تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا \* بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ {النساء : ١٥٧ - ١٥٨} وقوله : ﴿ إِنِّي مُتَوَقِّعٌ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ {آل عمران : ٥٥} .

ما ورد في البخارى ومسلم من أن رسول الله ﷺ قال : « والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً مقسطاً ، يكسر الصليب ويقتل الخنزير . . . . » (٢) .

ما ورد في مسلم من أن عيسى سينزل في آخر الزمان فيقتل المسيح الدجال . ويناقش جمهور المفكرين المسلمين هذه الأدلة فيقولون إن عيسى بعد أن نجا من اليهود عاش زمناً حتى استوفى أجله ، ثم مات ميتة عادية ورفعت روحه إلى

(١) د . أحمد شلبى - المسيحية - مكتبة النهضة المصرية ص ٥٦ .

(٢) أخرجه البخارى (٢٢٢٢) ، ومسلم (١٥٥ / ٢٤٢) ، وأحمد (٥٣٧ / ٢) .

السماء مع أرواح النبيين والصدّيقين والشهداء ، وقد ورد النص برفع عيسى - مع أن روحه سترفع بطبيعة الحال لأنه نبي - تكريماً لمكانته بعد التحدى الذى واجهه من اليهود ، فذكر الله نجاته ، ثم مكانته التى استلزمت رفع روحه .

ويقولون عن الآية الأولى ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ إنها تحقيق الوعد الذى تضمنته الآية الثانية ﴿إِنِّي مُتَوَكِّفٌ وَّرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فإذا كان قوله تعالى : ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ خلا من ذكر الوفاة والتطهير واقتصر على ذكر الرفع ، فإنه يجب أن يلاحظ فيها ما ذكر فى قوله تعالى : ﴿إِنِّي مُتَوَكِّفٌ﴾ جمعاً بين الآيتين .

ويرى هؤلاء العلماء أن الرفع معناه رفع المكانة ، وقد جاء الرفع فى القرآن بهذا المعنى كثيراً ، قال تعالى :

﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ﴾ [النور : ٣٦] .

﴿تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ﴾ [الأنعام : ٨٣] .

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح : ٤] .

﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم : ٥٧] .

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة : ١١] .

إذن فالتعبير بقوله : ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ وقوله ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ كالتعبير فى قولهم: لحق فلان بالرفيق الأعلى ، وفى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة : ٤٠] وفى ﴿عند ملك مقتدر﴾ [القمر : ٥٥] ، وكلها لايفهم منها سوى معنى الرعاية والحفظ والدخول فى الكنف المقدس<sup>(١)</sup> .

وهناك آية كريمة أقوى دلالة من آيات الرفع ، ولكنها مع هذا لاتعنى سوى خلود الروح لا الجسم ، وهى قوله تعالى : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

فمع أن الآية قررت أنهم أحياء فليس معنى هذا حياة الجسم ، فجسم الشهيد

(١) الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت : الفتاوى ص ٥٦ .

قد وُورى التراب ، ومع أنها قررت أنهم عند ربهم وأنهم يرزقون ، فليس المقصود تكريم الروح بقربها من الله قرب مكانة والاستمتاع باللذائذ استمتاعاً روحياً لاجسمانياً .

### وعن الحديثين يجيب الباحثون بإجابتين :

**أولاً :** هما من أحاديث الآحاد وهي لا توجب الاعتقاد ، والمسألة هنا اعتقادية .

**ثانياً :** الحديثان ليس فيهما كلمة واحدة عن رفع عيسى بجسمه ، وقد فهم الرفع من نزول عيسى ، فاعتقد بعض الناس أن نزول عيسى معناه أنه رفع وسينزل ، وهكذا قرر هؤلاء أن عيسى رُفِعَ لمجرد أن فى الحديثين كلمة ينزل ، مع أن اللغة العربية لا تجعل الرفع ضرورة للنزول ، فإذا قلت : نزلت ضيفاً على فلان ، فليس معنى هذا أنك كنت مرتفعاً ونزلت ، وإذا رجعنا إلى مدلول هذه الكلمة (نزل - وأنزل) فى القرآن الكريم ، وجدنا أنه لا يتحتم أن يكون معناها النزول من ارتفاع ، بل قد يكون معناها : جعل أو قدر أو وقع أو منح .

وهكذا يتبين لنا أن كلمة ينزل فى الحديثين - لو صحَّ هذان الحديثان - ليست إلا بمعنى يجيء ، ومن الممكن أن يُحَى الله عيسى ويرسله على شريعة محمد قبل قيام القيامة ، وليس بعد بمستبعد قط على الله ، والاستنتاج الذى قال به هؤلاء خروج بالكلمات عن مدلولها ، فالرفع ليس من كلمات الحديث الشريف بل من تفكير بعض قارئى الحديث وليس من حقهم أن يضيفوا إلى الحديث ما ليس منه وما لاتستدعيه ألفاظه .

وهناك آيتان اختلف المفسرون فى تفسيرهما ، وجاء فى بعض ما قيل عنهما أنهما تدلان على نزول عيسى فى آخر الزمان ، وهاتان الآيتان هما :

﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾  
 {النساء : ١٥٩} . ﴿وَأِنَّهُ لَعَلَّمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ {الزخرف : ٦١} .

فعن الآية الأولى يرى بعض المفسرين أن الضمير فى (به) وفى (مَوْتِهِ) عائد على عيسى ويكون المعنى على ذلك عندهم أنه ما من أحد من أهل الكتاب إلا

ليؤمنن بعيسى قبل أن يموت عيسى ، أى سيؤمنون به عند عودته آخر الزمان ، ولكن هذا مردود بما ذكره مفسرون آخرون من أن الضمير فى (به) لعيسى وفى (موتّه) لأهل الكتاب ، والمعنى أنه ما من أحد من أهل الكتاب يدركه الموت حتى تنكشف له الحقيقة عند حشجة الروح فيرى أن عيسى رسول ورسالته حق ، فيؤمن بذلك ، ولكن حيث لا ينفعه إيمان (١) .

وأما عن الآية الثانية ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمُ لِلسَّاعَةِ . . . . .﴾ فيرى بعض المفسرين أن الضمير فى (إنه) راجع إلى محمد ﷺ أو إلى القرآن ، على أنه من الممكن أن يكون راجعاً - كما يقول مفسرون آخرون - إلى عيسى لأن الحديث فى الآية السابقة كان عنه ، فالمعنى وإن عيسى لعلم للساعة ، ولكن ليس معنى هذا أن عيسى سيعود للنزول ، بل المعنى أن وجود عيسى فى آخر الزمان (نسياً) دليل على قرب الساعة وشرط من أشراطها ، أو أنه بخلقه بدون أب ، أو بإحيائه الموتى دليل على صحة البعث .

وعلى كل حال فنزول عيسى فى آخر الزمان على فرض حدوثه ليس معناه رفعه حياً بجسمه كما سبق القول ، ثم إن الدليل إذا تطرق له الاحتمال سقط به الاستدلال كما يقول علماء الأصول ، وفى هذه الأدلة أكثر من الاحتمال ، بل فيها اليقين عند الأكثرين .

ونجىء الآن لإيراد بعض التفاصيل والأدلة التى ترى أن عيسى عليه السلام مات كما مات كل الأنبياء والصالحين وغيرهم ، وأن جسمه قد دفن كما دفنت أجسام الأنبياء وغيرهم ، وأن الذى رفع هو روحه :

أقامت مجلة (لواء الإسلام) ندوة كبيرة فى أبريل سنة ١٩٦٣ م عن هذا الموضوع ، وقد اشترك فيها مجموعة من العلماء الأفذاذ ، واتفق الجميع على مبدئين مهمين هما :

١ - ليس فى القرآن الكريم نص يلزم باعتقاد أن المسيح عليه السلام قد رفع بجسمه إلى السماء .

(١) الشهيد سيد قطب : فى ظلال القرآن ج ٦ ص ١٤ .



وتعظيم منزلته ، ويقول فى معنى قوله تعالى : ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ المراد بالفوقية ، الفوقية بالحجة والبرهان ثم يقول : واعلم أن هذه الآية تدل على أن رفعه فى قوله تعالى : ﴿وَرَافِعُكَ﴾ هو رفع الدرجة والمنقبة لا المكان والجهة ، كما أن الفوقية فى هذه الآية ليست بالمكان بل بالدرجة والمكانة .

ويقول الألوسى أن قوله تعالى : ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ معناها على الأوفق أنى مستوف أجلك وميتك موتاً طبيعياً ، لا أسلط عليك من يقتلك ، والرفع الذى كان بعد الوفاة هو رفع المكانة لا رفع الجسد ، خصوصاً وقد جاء بجانبه قوله تعالى : ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مما يدل على أن الأمر تشریف وتكريم (١) .

ويرى ابن حزم وهو من فقهاء الظاهر أن الوفاة فى الآيات تعنى الموت الحقيقى ، وأن هدف الظاهر عن حقيقته لا معنى له ، وأن عيسى بناء على هذا قد مات . (٢)

وقد تعرض الأستاذ محمد عبده إلى آيات الرفع وأحاديث النزول فقرر الآية على ظاهرها ، وأن التوفى هو الإمامة العادية ، وأن الرفع يكون بعد ذلك وهو رفع الروح .

ويقول الأستاذ الشيخ محمود شلتوت أن كلمة (توفى) قد وردت فى القرآن كثيراً بمعنى الموت حتى صار هذا المعنى هو الغالب عليها والمتبادر منها ، ولم تستعمل فى غير هذا المعنى إلا بجانبها ما يصرفها عن هذا المعنى المتبادر ، ثم يسوق عدداً كبيراً من الآيات استعملت فيه هذه الكلمة بمعنى الموت الحقيقى ، ويرى أن المفسرين الذين يلجأون إلى القول بأن الوفاة هى النوم أو أن فى قوله تعالى : ﴿مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾ تقدماً وتأخيراً ، يرى أن هؤلاء المفسرين يحملون السياق ما لا يحتمل ، تأثيراً بالآية : ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ وبالأحاديث التى تفيد نزول عيسى ، ويردّ على ذلك بأنه لا داعى لهذا التفكير ، فالرفع رفع مكانة ، والأحاديث لا تقر الرفع على الإطلاق (٣) .

(١) روح المعانى للألوسى .

(٢) الفصل فى الأهواء والملل والنحل (عند الكلام عن المسيحية) .

(٣) الفتاوى ص ٢ وما بعدها .



أما السيد محمد رشيد رضا ، فقد أضاف إلى هذه الدراسة نقطة جديدة هي أن مسألة الرفع بالجسم والروح هي في الحقيقة عقيدة النصارى ، وقد استطاعوا بحيلة أو بأخرى دفعها تجاه الفكر الإسلامى ، كما استطاعوا إدخال كثير من الإسرائيليات والخرافات ، وفيما يلي نص كلام الباحث الكبير : ليس فى القرآن نص صريح على أن عيسى رفع بروحه وجسده إلى السماء ، وليس فيه نص صريح بأنه ينزل من السماء ، وإنما هي عقيدة أكثر النصارى ، وقد حاولوا فى كل زمان منذ ظهور الإسلام بثها فى المسلمين (١) .

ويضيف هذا الباحث قوله : وإذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يصلح العالم فمن السهل أن يصلحه على يد مصلح ولا ضرورة إطلاقاً لنزول عيسى أو أى واحد من الأنبياء .

ويتفق الأستاذ أمين عز العرب مع اتجاهات الإمام محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا فيقول : أستطيع أن أحكم أن كتاب الله من أوله إلى آخره ليس فيه ما يفيد نزول عيسى (٢) .

ويشير الأستاذ محمد أبو زهرة نقطة دقيقة حول الأحاديث السابقة فيقرر أنها - بالإضافة إلى أنها أحاديث آحاد وليست متواترة - لم تشتهر قط إلا بعد القرون الثلاثة الأولى ، ويمكن ربط هذا بما ذكره السيد محمد رشيد رضا عن محاولات النصارى ، فإنهم فى خلال هذه القرون كانوا يحاولون إدخال بعض عقائدهم فى الفكر الإسلامى بطريق أو بآخر بدليل أن هذه الأحاديث لم تشتهر فى القرون الثلاثة الأولى مع ما وصلت له العقيدة الإسلامية من دقة وعمق فى هذه القرون ، ويختم الأستاذ محمد أبو زهرة كلامه بقوله إن نصوص القرآن لاتلزمنا بالاعتقاد بأن المسيح رفع إلى السماء بجسده ، وإذا اعتقد أحد أن النصوص تفيد هذا وترجحها فله أن يعتقد فى ذات نفسه ولكن له أن يلتزم ولا يُلزم (٣) .

(١) تفسير المنار ج ١٠ من المجلد الثانى والعشرين .

(٢) لواء الإسلام : العدد السابق ص ٢٧٠ .

(٣) المرجع السابق : ص ٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٦٣ .

ويقول الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي : ليس في القرآن نص قاطع على أن عيسى عليه السلام رفع بجسمه وروحه وعلى أنه حي الآن بجسمه وروحه ، والظاهر أن الرفع أنه رفع درجات عند الله ، كما قال تعالى في إدريس : ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ {مريم : ٥٧} فحياة عيسى حياة روحية كحياة الشهداء وحياة غيره من الأنبياء (١) .

ويقول الأستاذ عبد الوهاب النجار (٢) إنه لاجحة لمن يقول بأن عيسى رفع إلى السماء لأنه لا يوجد ذكر للسماء بإزاء قوله تعالى : ﴿وَرَأَيْتُكَ إِلَيَّ﴾ وكل ما تدل عليه هذه العبارة أن الله مبعده عنهم إلى مكان لاسلطة لهم فيه ، وإنما السلطان فيه ظاهراً وباطناً لله تعالى ، فقوله (إِلَيَّ) هو كقول الله عن لوط : ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ {العنكبوت : ٢٦} .

فليس معناه أني مهاجر إلى السماء بل هو على حد قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ {النساء : ١٠٠} .

ويقول الأستاذ الشهيد سيد قطب (٣) عند تفسير الآية الأولى من الآيات الثلاث السابقة :

لقد أرادوا قتل عيسى وصلبه ، وأراد الله أن يتوفاه وفاة عادية ففعل ، ورفع روحه كما رفع أرواح الصالحين من عباده ، وطهره من مخالطة الذين كفروا ، ومن البقاء بينهم وهم رجس وذنس .

ونجى الآن إلى الباحث الأستاذ محمد الغزالي وله في هذا الموضوع دراسة مستفيضة نقتبس منها بعض الفقرات بنصوصها :

أميل إلى أن عيسى مات ، وأنه كسائر الأنبياء مات ورفع بروحه فقط ، وأن جسمه في مصيره كأجساد الأنبياء كلها ، وتنطبق عليه الآية ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ

(١) نقلاً عن كتاب الفتاوى للشيخ محمود شلتوت ص ٧٤ .

(٢) قصص الأنبياء ص ٥١١ .

(٣) في ظلال القرآن ج ٣ ص ٨٧ .

مَيِّتُونَ ﴿ الزمر : ٣٠ ﴾ ، والآية : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] وبهذا يتحقق أن عيسى مات .

وبعد . . . لقد أثرت هذه المسألة منذ سنين في فتوى أجاب عنها الأستاذ المراضى والأستاذ شلتوت كما رأينا ، وقد قامت ضجة على إثر إذاعة هذه الفتوى ، شأن كل جديد يخرج للناس ، ومرّ الزمن ورجعت هذه الفكرة وأصبحت شيئاً عادياً يدين بها البعض من المثقفين ، وطالما وقف كاتب هذه السطور يرفع صوته بها في قاعات المحاضرات بأعرق جامعة إسلامية في العالم وهي جامعة الأزهر وبغيرها من الجامعات وقاعات المحاضرات ، وكان الناس يتقبلون هذه الآراء قبولاً حسناً .

والذي أرجوه أن يرفق المعارضون في تلقي الآراء الجديدة ، وأن يفحصوها بروح هادئة ، والله يهدينا سواء السبيل .





الفصل الثاني



## المجامع وأثرها في تحديد شخصية المسيح

### تعريف المجمع :

المجمع هو عند المسيحيين مؤتمر الأساقفة تحت رئاسة الحبر الأعظم للبت في شئون الكنيسة ، ويكون المجمع مسكونياً إذا حضره أساقفة العالم (المسكونة) ، والمسكونى بمعنى العام أو العالمى ، والمجامع إما مسكونية عامة ، وإما خاصة بطائفة دون غيرها ويقال لها مليّة ، وإما خاصة بإقليم معين ، ويقال لها إقليمية ، ويعترف المسيحيون على مختلف طوائفهم ونزعاتهم بالمجامع المسكونية السبعة الأولى من العشرة مجامع التالية :

- ١ - مجمع نيقية الأول سنة ٣٢٥م ضد آريوس .
- ٢ - المجمع القسطنطينى الأول سنة ٣٨١م ضد مقدونيوس .
- ٣ - مجمع أفسس الأول ٤٣١م ضد نسطورس .
- ٤ - المجمع الخلقدونى سنة ٤٥١م ضد المنوفيزية .
- ٥ - المجمع القسطنطينى الثانى سنة ٥٥٣م .
- ٦ - المجمع القسطنطينى الثالث سنة ٦٨٠م ضد المنوثلوية .
- ٧ - المجمع النيقدونى الثانى سنة ٧٨٧م فى شأن الأيقونات .
- ٨ - المجمع القسطنطينى الرابع سنة ١٨٧٠م .
- ٩ - مجمع الفاتيكان الأول سنة ١٨٧٠م .
- ١٠ - مجمع الفاتيكان الثانى سنة ١٩٦٢ - ١٩٦٦م .

ولعصر المجامع فى تاريخ الكنيسة المسيحية من الميزات الكثيرة ما يجعل له أهمية كبيرة ، فهو أول تطور واضح فصل بين عهدين ، بل هو أول سلسلة مترابطة الحلقات صاغت للكنيسة قانون إيمانها ووضعت لها من النظم والقرارات مايكفل لها السير طويلاً .

ونحن إذ نعرض لدراسة وافية عن «المجامع» نرى أنفسنا فى احتياج إلى

تدوين عجالة تمهيدية عامة ، عليها تجلوا لنا بعض مانشر به من غموض فى هذه الحقبة التاريخية الهامة .

على أنه من الثابت تاريخياً أن النظام المجمعى واجه اهتماماً كبيراً منذ أقدم العصور التى وجدت فيها روح الشورى أو تبادل الرأى .

فى الوثنية مثلاً : كان ملوك المصريين يختارون من بين أمناء الدين والكهنة فى محفل من المبعوثين من كل إقليم نواباً وعليهم فى المداورات الاعتماد ، فكانوا يجتمعون فى البرية التى بين ميت رهينة والفيوم فتشكل منهم جمعية عمومية تنعقد فى الحوادث المهمة كالصلح والحرب ، وتحديد التراتيب وتغيير الدولة ، وعند خلو المنصب الملكى وغير ذلك من الأمور الخطيرة . (١)

وفى اليهودية نرى هذا النظام فى مجامعهم التى كثيراً ماكانت تجتمع للتشاور فيما يجد من أمور ، ولقد ذكر الكتاب المقدس شيئاً عن اجتماعهم للتشاور على صلب السيد المسيح (متى : ٢٦ / ٣ ، ومرقس : ١٥ / ١) .

وفى الإصحاح الخامس من سفر أعمال الرسل نرى صورة واضحة للمجامع اليهودية التى انعقدت لتحاكم تلاميذ السيد المسيح لمناداتهم باسم يسوع الناصرى ، ولما أوشكت أن تحكم عليهم بالقتل ، وقف وسط المجمع أحد أعضائه المسمى غملائيل معلم الناموس وحذرهم من فعلتهم هذه التى انتووها وطلب أن يتركوا هؤلاء التلاميذ ، فإن كان عملهم من الناس فسوف ينقض ، وإن كان من الله فلا يقدر أن ينقضوه فثلا يوجدوا محاربين لله أيضاً ! . فأخذ المجمع برأيه ورجع عن عزمه واكتفى بجلدهم وتوصيتهم كى لا يتكلموا باسم يسوع ، ثم أطلقوهم ! .

وجاءت المسيحية فأيدت هذا النظام وعقدت مجمعها الأول فى أورشليم لبحث شروط قبول الداخلين من الأمم إلى المسيحية ، وقد أخذت الكنيسة عن الرسل هذا المبدأ ، فكانت تعقد المجمع كلما حدث خلاف فى البيعة أوجد من الأمور ما يستدعى ذلك .

(١) ميخائيل بك شاوربيم - الكافىء فى تاريخ مصر القديم والحديث - الجزء الأول ص: ١٦٤ .



## المجامع المسكونية :

ولقد اجتمعت في بداية المملكة المسيحية ، بعض مجامع عامة استثنائية ، دعيت بـ«المجامع المسكونية» ، إذ حضرها أساقفة كافة الكراسى المسيحية المنتشرة في أنحاء العالم .

ولم تنعقد هذه المجامع إلا لضرورة حتمية ، كظهور تعليم غريب يخشى من انتشاره أن يحدث انقساماً في البيعة .

ولهذا نرى أنه ينبغي أن تتوفر في «المجامع العامة المسكونة» بضع شروط نوجزها فيما يلي :

١ - أن تنعقد بسبب بدعة أو انشقاق .

٢ - أن تنعقد بدعوة من الإمبراطور المسيحي .

٣ - أن يحضرها غالبية أساقفة الكنيسة - شرقاً وغرباً - لتمثل فيها المسكونة .

٤ - أن تقرر شيئاً جديداً لم يكن مقرراً من قبل .

وعلى ضوء هذه الشروط نستطيع أن نقول أن جميع المجامع التي سبقت «المملكة المسيحية» أي التي انعقدت في الثلاثة قرون الميلادية الأولى ، لاتسمى مجامع مسكونية بل تعتبر مجامع مكانية .

ولسنا نجد في تاريخ الكنيسة ، من المجامع التي تنطبق عليها الشروط السابقة سوى ثلاثة فقط ، تطلق عليها اسم «المجامع المسكونية» هي :

### ١ - مجمع نيقية :

كانت هناك دواع كثيرة ، تتطلب عقد مجمع عام لإيجاد حل لها بعد أن استراحت الكنيسة قليلاً من عصور الاضطهاد المتعاقبة ، فما أن جاء عصر السلام حتى فكرت الكنيسة فيما خلفته العصور الماضية من مشاكل هامة ، تنحصر فيما يلي :

### أولاً : تحديد يوم عيد القيامة :

بدأ الخلاف بخصوص تحديد يوم عيد الميلاد بين آسيا الصغرى وبين روما عندما أعلن «بوليكربوس» أسقف أزمير ، ضرورة الاحتفال بذكرى الصلب في يوم

١٤ نيسان العبرى والقيامة فى يوم ١٦ منه (وهما التاريخان اللذان تمت فيهما الصلب والقيامة) .

أما الكنيسة القبطية ، فكانت تعتبر الأهمية فى المحافظة على الأيام عينها من الأسبوع التى تمت فيها هذه الحوادث الجليلة ، لا فى موعدها فى الشهر العبرى ، بمعنى أنها كانت تحافظ على أن يكون ذكرى الصلب يوم الجمعة والقيامة يوم الأحد (وكثيراً ماجاء ١٤ و ١٦ نيسان العبرى فى غير هذين اليومين!) وكان أساقفة روما وأورشليم وأنطاكية يسرون بسحب هذه القاعدة عينها .

### ثانياً : شقاق ملاتىوس أسقف أسبوط :

وثمة مشكلة ثانية تحتاج إلى الكثير من البحث والعناية ، تلك هى أمر الشقاق الذى أحدثه ملاتىوس أسقف أسبوط ، لقد كان هذا الأسقف معاصراً للإمبراطور «دقلديانوس» مضطهد المسيحيين الذى قبض عليه وأودعه السجن ، فبدلاً من أن يعترف بإيمانه جهاراً لينال إكليل الشهادة ويكون فى ذلك قدوة لرعيته ، ورغم أن البعض من أخوته الأساقفة قد ذهبوا إليه فى سجنه يحضونه على الثبات على الإيمان ، إلا أننا نراه يضعف أمام الاضطهاد ويخاف على حياته ، فيخر للأوثان منكرأً ديانتة !! . على أنه عاد فندم ورجع إلى الديانة المسيحية ، ولكنه بدأ يرسم أساقفة بدون إذن من رئيسه البابا بطرس خاتم الشهداء ، مغتصباً بذلك حقاً من حقوقه ! .

ويبدو أنه قد تمادى فى عصيانه فرسم حولى ٣٠ أسقفاً ، فاضطر البابا بطرس خاتم الشهداء إلى عقد مجمع مكائى قرر حرمة وأساقفته معه ، ولكن «ملاتىوس» لم يخضع لحكم المجمع واستمر فى طغيانه ، فحدث تبعاً لذلك شقاق بينه وبين بطاركة الكرازة المرقسية الذين عاصروه .

### ثالثاً : إعادة معمودية الهرطقة :

ومسألة ثالثة هامة ظهرت فى الكنيسة فى القرن الثالث ، تلك هى مشكلة إعادة معمودية الهرطقة وقبول العائدين منهم إلى الكنيسة .

حدث هذا الخلاف بين «كيريانوس» أسقف قرطاجنة و«أستفانوس» أسقف

روما ، إذ قرر الأول في رسالته التاسعة عشرة : (إن المعمدين من يد الهرطقة هم وحدهم الذين يجب إعادة معموديتهم ، أما الذين قبلوا العماد من الكنيسة الأرثوذكسية<sup>(١)</sup> فعمادهم صحيح لا يعاد) .

ولكن ( أستفانوس) أسقف روما (٢٥٣-٢٥٧م) لم يرقه هذا ، إذ كان ينادى بعدم جواز إعادة المعمودية إطلاقاً .

وبدأت المسألة تتحرج عندما عقد كلاً من الفريقين بعض المجمع المكانية لتدعيم رأيه ، وإذا كانت الغالبية تقف في جانب «كبريانوس» الذي هدده «أستفانوس» أسقف روما بالحرم إن لم يمتنع عن تعميم الهرطقة عند اعتناقهم المسيحية ! فعقد «كبريانوس» مجمعاً في قرطاجنه عام ٢٥٥م حكم بضرورة إعادة عماد الهرطقة ومن تعمد على يدهم من يرجعون إلى الكنيسة ، أما الذين كانوا معتمدين في الكنيسة وسقطوا في كفر أو هرطقة ، فحكموا بعدم إعادة معموديتهم (رسالة ٧٢ لكبريانوس) .

ولما ازدادت شقة الخلاف تدخل القديس «ديوناسيوس» البطريرك الإسكندري بما أوقف النزاع .

وهكذا استمر هذا الخلاف وتدخل القديس «ديوناسيوس» البطريرك الإسكندري ربما أوقف النزاع .

وهكذا استمر هذا الخلاف بين أساقفة روما والكنائس الشرقية إلى أن أصدر المجمع النقياوى قراره فيه .

كل هذه المشاكل كانت تحتاج إلى كثير من الدراسة والعناية حتى يمكن إزالتها، فتتفرغ الكنيسة بعدئذ لرسالتها في سبيل إكمال نشر دعوتها .

على أن أمراً خطيراً حدث بعدئذ فكان هو السبب المباشر لعقد المجمع المسكونى الأول ، ذلك هو : (بدعة آريوس) .

(١) أرثوذكس : راشد قويم الرأى ، مستقيم المعتقد وبخاصة في الدين (المورد ص ٦٣٩) .  
بروتستانت : أى أهل الدنيا الجديدة وهى مشتقة من كلمة Protst بروتست ، ومعناها الاحتجاج ، أى يحاج ويدفع بالحجة .  
كاثوليك : معناها جامعة أو المذهب العمومى ؛ لأن الكنيسة الكاثوليكية لاتضم إلى أحضانها أمة معينة ، بل تدعو جميع الأمم للانضمام تحت لوائها .

## بدعة آريوس :

اشد الاختلاف بين الطوائف المسيحية الأولى ، وتباعدت مسافات الخلف تباعداً شديداً ، لا يمكن أن يكون معه وفاق ، وكان الاختلاف يدور حول شخص المسيح ، أهو رسول من عند الله فقط ، من غير أن تكون له منزلة أكثر ممن له شرف السفارة بين الله وخلقه ، أم له بالله صلة خاصة أكبر من رسول ، فهو من الله بمنزلة الابن ، لأنه خلق من غير أب ، ولكن ذلك لا يمنع أنه مخلوق لله ، لأنه هو « كلمة من الله » ، ومن قائل أنه ابن الله ، له صفة القدم ، كما لله تلك الصفة ، وهكذا تباينت نحلهم ، واختلفت ، وكل يزعم أن نحلته هي المسيحية الصحيحة التي جاء بها المسيح عليه السلام ، ودعا إليها تلاميذه من بعده ، ويظهر أن ذلك الاختلاف ، وتلك النحل المتباينة المتضاربة المتنازعة قد ظهرت بعد أن دخلت طوائف مختلفة من الوثنيين من الرومان واليونان والمصريين ، فتكون في المسيحية مزيج غير متجانس ، غير تام التكوين ، غير تام الاتحاد والامتزاج ، وكل قد بقي عنده عن عقائده الأولى ما أثر في تفكيره في دينه الجديد ، وجعله يسير على مقتضى ما اعتنق من القديم من غير أن يشعر أو يريد .

ومن دخل في ذلك الدين فلاسفة لهم آراء فلسفية أرادوا أن يفهموا ما اعتنقوه جديداً على ضوءها ، وعلى مقتضى منطقها وتفكيرها .

ولقد كانت تلك الاختلافات كامنة لاتظهر مدة الاضطهاد الرومانية ، لأنهم شغلوا بدفع الأذى ، ورد البلاء واستقبال المحن والكوارث ، وكانوا يستسرون بدينهم ولا يظهرونه ، ويخفون عقائدهم ، ولا يعلنونها ، حتى إذا رزقوا الأمان ، ونزلت عليهم سحائب الاطمئنان ظهرت الخلافات الكامنة ، وإذا هم لم يكونوا متفقين إلا في التعلق باسم المسيح ، والاستمسك بالانتساب إليه ، من غير أن يتفقوا على شيء في حقيقته ، ولذا لما منحهم قسطنطين عطفه ، واعتزم الدخول في النصرانية ، ووجد هذا الاختلاف الشديد ، أمر بعقد مجمع نيقية .

هذا هو السبب في عقد مجمع نيقية بشكل عام ، ولكن له سبباً خاصاً يتعلق بنوع من هذه الخلافات ، وهو مايسمونه في تاريخهم «بدعة آريوس» .

وهو تعليم غريب عن الإيمان ، نادى به آريوس وبدأ يئشه في كل مكان بما عرف عنه من قوة في الدعاية وسحر في الحديث وجاذبية في البحث والشرح ، وسرعان ما كون لنفسه حزباً من معتنقى تعاليمه الفاسدة قوامه كثير من الرجال ذوى المكانة السامية دينياً ومدنياً ، ليس من بلده فقط ، بل من كافة أنحاء الإمبراطورية الرومانية ! .

### من هو آريوس؟

رجل مصفر الوجه ، طويل القامة ، حاد المزاج ، متوقد الزهن ، ضعيف البصر ، طموح ، محب للارتقاء ، ولد في ليبيا عام ٢٧٠م ، درس الكثير من العلوم والمعارف ، ثم نرح إلى الإسكندرية حيث التحق بمدرستها اللاهوتية ، فأظهر في دراسته بها نبوغاً كبيراً ، وعندئذ بدأ يتكبر ، كما بدأ يسعى لنوال درجات الكهنوت ، ظاناً أن في نبوغه وفصاحته مايرر ذلك ! .

حاول الانضمام إلى «ملاطيوس» أسقف ليكربوليس «أسيوط» محرضاً إياه على الإمعان في العصيان وشق عصا الطاعة على رئيسه القديس بطرس خاتم الشهداء ، ولكنه بعدئذ أدرك أن مثل هذا العمل لن يوصله إلى شهوته وبغية نفسه في الارتقاء إلى الدرجات الدينية الرفيعة ، وهنا ترك «ملاطيوس» وتصالح مع البابا بطرس مظهراً خضوعه فسامه شماساً سنة ٣٠٦م ثم قسيساً. (١)

بدأ آريوس تعاليمه في عهد البابا «بطرس» خاتم الشهداء ، وتنحصر تعاليمه في إنكار لاهوت السيد المسيح وأنه مخلوق وغير مساو للآب في الجوهر، وكأنه

(١) القسيس : رئيس النصارى في العلم ، والمفتى في الدين والمقيم للصلوات ، وهو الآن في مرتبة بين الأسقف والشماس ، والقسيس : كالمس ، والجمع قسوس وقسيسون وقساوسة وقساوسة وقسان وأقسنة ، والمصدر : القسوسة والقسيسية ، وقد ورد ذكر القسيسين مرة واحدة في القرآن الكريم (لسان العرب ٦ / ١٧٤ ، والقاموس المحيط ٢ / ٢٤٩ ، والمعجم الوسيط ص ٧٣٤ ، ومقدمة ابن خلدون ص ٤١٣ ، ودائرة وجدى ٧ / ٧٨٦) .

أراد أن يتجنب بدعة «سابليوس» أسقف بتولمايس (بالخمس المدن الغربية) فسقط في بدعته هذه التي جاءت كما يعتقدون أشنع وأفظع<sup>(١)</sup>.

ولقد نقل عن «بطرس الشهيد» بطرك الإسكندرية أنه قال عن آريوس: إن إيمانه فاسد. وكتب بذلك إلى جميع البطاركة، فمضى آريوس إلى الملك «قسطنطين»<sup>(٢)</sup>. ومعه أسقفان، فاستغاثوا به وشكوا «الإسكندروس» فأمر بإحضاره إلى الإسكندرية، فحضر هو وآريوس وجمع له الأعيان من النصراري ليناظروه<sup>(٣)</sup>.

فقال آريوس: (كان الأب، إذ لم يكن الابن، ثم أحدث الابن، فصار كلمة له، فهو مُحدثٌ مخلوق، فوُضَّ إليه الأب كل شيء، فخلق الابنُ المسمى بالكلمة كل شيء من السموات والأرض وما فيهما، فكان هو الخالقُ بما أعطاه الأب، ثم إن تلك الكلمة تجسدت من مريم وروح القدس، فصار ذلك مسيحاً، فإذا المسيحُ معنيان: كلمة وجسد وهما جميعاً مخلوقان).

(١) تنحصر بدعة «سابليوس» في أن الله أقنوم واحد، أعطى الناموس لبني إسرائيل بصفة أب، وصار إنساناً في العهد الجديد بصفة ابن، وحل على الرسل في عليية صهيون بصفة الروح القدس، وقد عرف أصحاب هذه البدعة «بمؤلى الأب»، وذهب هذا المبتدع على حد قولهم إلى روما فساعده على نشر بدعته أسقفها «زفيرينوس» (٢٠٢ - ٢١٨م) وكذا خلفه «كالكستوس» (٢١٨ - ٢٢٣م)، على أنه عندما عاد إلى مصر، حاول البابا «ديونسيوس» الإسكندري إرجاعه عن ضلاله، فلما لم يقبل عقد ضده مجتمعاً بالإسكندرية عام ٢٦١م وحرمه وبدعته.

(٢) قسطنطين: له ثلاثة أولاد. سمي الكبير فيهم قسطنطين والثاني سماه باسم أبيه قسطنس والثالث سماه قسطنتيوس، فولى قسطنطين مدينة القسطنطينية، وولى قسطنس أنطاكية والشام ومصر، وولى قسطنتيوس مدينة رومية.

(٣) المناظرة: هي المباحثة والمجادلة والبراءة في الإدلاء بالحجج، والمناظر المجادل المحتج، وهو نظير خصمه: لأنه صار مثله في المخاطبة، وعلم آداب المناظرة: علم يبحث فيه عن كيفية إيراد الكلام بين المناظرين، أو كيفية إيراد الحجج ودفع الشبه.

والمناظر: إما مجيب يحفظ وضعاً أو سائل يهدم وضعاً، وقد تكون المناظرة سرية أو علنية على ملأ من الناس وقد تكون تحريرية كتابية أو تقريرية لسانية بالمشافهة. (لسان العرب ٥ / ٢١٩، والمعجم الوسيط ٢ / ٩٣٢، وكشف الظنون ١ / ٣٨ و ٥٧٩ و ٧٢١).

فقال الإسكندروس : أيما أوجب : عبادة من خلقنا ، أو عبادة من لم يخلقنا؟ فقال آريوس : بل عبادة من خلقنا أوجب . فقال الإسكندروس : فإن كان الابن خلقنا كما وصفت وهو مخلوق فعبادته أوجب من عبادة الأب الذى ليس بمخلوق ، بل تكون عبادة الخالق كفراً ، وعبادة المخلوق إيماناً !! وهذا أقبح القبح .

فاستحسن الملك قسطنطين كلام الإسكندروس وأمره أن يحرم آريوس . وعندما وقف البابا بطرس الشهيد<sup>(١)</sup> على بدعة آريوس هذه ، حاول أن يثنيه عنها فلم يقبل ، وعندئذ لم يكن بد من حرمة ، ولكن عندما ألقى القبض على البابا وأودع السجن ، بدأ بعض أعوان آريوس فى التوصل إليه ليقبله ويحله من حرمة ، فرفض ثم استدعى تلميذه أرشلاوس والإسكندروس وقال لهما : (إن الله إله السموات يعيننى على إكمال شهادتى فلن تعودا ترياننى بعد هذا اليوم فى الجسد ، وأنت يا أرشلاوس القس تكون بطريركا بعدى وأخوك الإسكندروس بعدك ، ولاتقولوا إنى عديم الرحمة ، من أجل آريوس فإن فيه مكرراً مخفياً ، ولست أنا الذى حرمته بل السيد المسيح ، لأننى فى هذه الليلة لما أكملت صلاتى ونمت رأيت شاباً قد دخل على ووجهه يضىء كضوء الشمس ، وعليه ثوب متشح به إلى رجليه وهو مشقوق وقد أمسك بيده القطعة الممزقة ، فصرخت وقلت ياسيدى من الذى شق ثوبك ؟ فأجابنى : آريوس هو الذى مزق ثوبى فلا تقبله !

(١) بطرس الشهيد : أقام فى البطريركية بعد «ثوباً» إحدى عشر سنة ، وقتل فى الإسكندرية بالسيف ، وقتل معه امرأته وابنتاه ؛ لامتناعهم من السجود للأصنام ، وكان ذلك فى عصر «دقلطيانوس» (٢٤٥ - ٣١٣م) وهو أحد ملوك الروم المعروفين بالقياصرة الذى اضطهد المسيحيين وسموا عصره «عصر الشهداء» لأنه أثار على النصارى بلاءً عظيماً وحزناً طويلاً ، فاستباح دمائهم وغلق كنائسهم وحمل الناس على عبادة الأصنام ، وبالغ فى الإسراف فى قتل النصارى واستباحة أموالهم ، فقتل من النصارى ما لا يحصى عددهم إلا الله ، واستشهد فى أيامه ألوف الألوف من الشهداء . وعذبوا مارجرجس بأصناف العذاب وقتلوه فى فلسطين ، وهلك بعد علل صعبة دود منها بدنه ، وسقطت أسنانه ، وهو آخر من عبد الأصنام من ملوك الروم ، فهلذا اتخذوا ابتداء ملك «دقلطيانوس» تاريخاً وأسماء شهور القبط : توت . بابيه . هاتور . كيهك . طوبة . أمشير . برمها . برمودة . بشنس . بئونة . أييب . مسرى ، فهذه اثنا عشر شهراً كل شهر منها ثلاثون يوماً . (خطط المقرئى ١ / ٢٦٢ ، وتاريخ ابن البطريق ١ / ١١٦) .

واليوم يأتيك قوماً طالين ارجاعه فلاتطعمهم ، وأوصى أرشلاوس والإسكندروس بأن يمنعاه من شركتهما !! . على أنه عندما تبوأ البابا أرشلاوس الكرسي الإسكندري عام ٢٩٥م<sup>(١)</sup> . ظهر أمامه آريوس المبتدع بمظهر التقوى نادماً على ما فرط منه ، وفي الوقت نفسه تقدم بعض أنصاره يلتمسون من البابا قبوله ، فقبله مخالفاً بذلك وصية سلفه ! .

ولكن سرعان ما تنصب الباب الإسكندروس عام ٢٩٥م<sup>(٢)</sup> إذا لم يبق أرشلاوس على كرسي البطيركية سوى ستة أشهر فقط - فحرم آريوس وناهض بدعته ، فلم يكن من الأخير إلا أن أرسل للبابا بعض أعوانه لتقريب وجهة النظر بينهما ، فنظر إليهم البابا الإسكندروس وقال : «قولوا لآريوس : أوصاني أبي ألا أقبلك ، فلا تدخل إليّ ولا اجتمع بك ، وذلك حسب أمر السيد المسيح ، فاعترف للمخلص بخطيئتك ، فإذا قبلك فهو يأمرني بقبولك !» منذ ذلك الحين بدأ آريوس في نشر ضلالته جهاراً ، كما بدأ في مقاومة البابا الإسكندروس ، فبينما كان الأخير يعظ يوماً عن سلطان السيد المسيح في إقامة الموتى مبيناً أن الكلمة ابن الله مساوٍ للآب وأن له طبيعة وذاتاً واحدة مع الآب ، وإذ بآريوس في مكان آخر يعظ على الآية القائلة : (أبي أعظم مني) «يوحنا ١٤ : ٢٨» ، مندداً برأى الإسكندروس ومنادياً بأن السيد المسيح غير مساوٍ للآب في الجوهر بل هو مخلوق بإرادة الآب !! . ولكي يروج آريوس لبدعته ، نظم تعاليمه في مقطوعات شعرية ولقنها لأتباعه فأذاعوها بين العامة لما للتلحين من أثر كبير في نفوس السامعين .

ولم تضى فترة حتى ترك آريوس الإسكندرية إلى فلسطين وآسيا الصغرى حيث بعض أصدقائه من الأساقفة الذين انخدعوا بآرائه وسمحوا له بنشرها ، ثم

(١) أرشلاوس : أقام ٦ شهور فقط ، راجع (بطاركة الكنيسة المصرية العدد (١٨) ١ / ٦٣ ، مختصر تاريخ البطاركة (١٠٦) ، ويقول ابن البطريق (١ / ١٢٨) إن الإسكندروس البطرك الذى يأتي بعد هذا كان زميلاً له في التلمذة على يد بطرس ، وأن الإسكندروس أسقطه من رتبة البطيركية من أجل أنه قبل آريوس وخالف ما أمر به معلمه (بطرس) .

(٢) الإسكندروس : وهو من العدد التاسع عشر . . أقام ٢٢ سنة و١٠ أشهر (بطاركة الكنيسة المصرية ٦٣ ، مختصر تاريخ البطاركة (١٠٦) .



اتصلوا بالبابا الإسكندروس راجين قبول آريوس ، ولكن الأخير رفض ذاكراً أنه لا يمكن قبوله مادام باقياً على ضلاله .

اقتنع بعض الأساقفة بينما عقد البعض الآخر مجمعين متتالين في عامي ٣٢٢ - ٣٢٣م قرروا فيهما إلغاء حكم البابا الإسكندروس ، وعاد آريوس للإسكندرية دفعة ثانية ينفث سموم تعاليمه ممعناً في عناده وضلاله ، فطرده البابا مرة ثانية فعاد إلى حيث كان .

وهنا اتصل أوسايبوس أسقف نيقوميديا <sup>(١)</sup> بالإمبراطور قسطنطين راجياً وساطته لحل هذا الخلاف بين البابا الإسكندروس وآريوس المبتدع - فانتدب الإمبراطور القديس أوسيبوس أسقف قرطبة الذى أتى إلى الإسكندرية ورغم ما بذله من جهود ، إلا أنه لم يفلح في مهمته ، فعاد إلى الإمبراطور حيث شرح له سبب الخلاف طالباً منه عقد مجمع مسكونى عام لعلاج هذه المشكلة الخطيرة التى تسببت من بدعة آريوس وأصبحت تهدد كيان ووحدة الكنيسة بأسرها .

### جلسات المجتمع وقراراته :

انعقد المجتمع المسكونى الأول فى مدينة نيقية فى شهر مايو سنة ٣٢٥م وخصص للاجتماع الساحة الوسطى فى القصر الملكى بالمدينة لاتساعها ، حيث أعدت فيها المقاعد الكثيرة ، كما وضع فى الوسط كرسيّاً من الذهب ليجلس عليه الإمبراطور قسطنطين ، الذى رغب فى حضور المجمع بنفسه .

ونيقية هى العاصمة الثانية لولاية بثنينة ، تقع فى الشمال الغربى من آسيا الصغرى بالقرب من سلسلة جبال الألب ، وقد تهدمت منذ زمن بعيد ، ولم يبق منها سوى أطلال بالية ، وفى موضعها الآن نجد قرية «أسنيك» التركية .

ولكن ترى لماذا اختيرت نيقية لتكون مقراً للمجمع المسكونى الأول ؟! . لقد صرح الإمبراطور قسطنطين نفسه بسبب من أسباب اختيارها وهو موقعها الصحى ، ولعلنا ندرك قيمة وضرورة الملائمة الصحية لمكان انعقاد المجمع عندما نرى أن بعض الأساقفة الذين حضروا مجمع أفسس المسكونى ، قد أدركتهم الوفاة !! .

(١) نيقوميديا : مدينة قديمة شمال غرب آسيا الصغرى على موقعها الآن مدينة «أزميت» التركية . احتلت القسطنطينية مكانها .

ويبدو أن نيقية هذه كانت على شىء من العظمة والجمال ، أضف إلى ذلك أن ثمة أسباب أخرى دعت إلى اختيار نيقية دون سواها ! :

١ - أنه لم يكن ممكناً اختيار نيقوميديا - العاصمة الأولى لمقاطعة بثنية - لانعقاد المجمع ، ذلك لأن أوسايبوس أسقفها كان معروفاً بميوله الأريوسية ، والمجمع يحتاج إلى مدينة محايدة .

٢ - ولعل من دوافع اختيار نيقية أن اسمها كان مرادفاً للكلمة المحببة لدى الإمبراطور قسطنطين . فكلمة نيقية معناها النصر أو الفتح ، وهى الكلمة التى كانت تتمثل دوماً فى مخيلة قسطنطين بعدما انتصر على أعدائه ، ذلك لأنه رآها مكتوبة فى كبد السماء تحت علامة الصليب «بهذا تنتصر» .

### أول من حمل الصليب :

«الإمبراطور قسطنطين الكبير» هو الذى دعا لعقد المجمع المسكونى الأول ، كان لايزال وثنياً عندما نودى باسمه ملكاً سنة ٣٠٦م بعد وفاة والده قسطنطينوس خلورس ، وإذ أراد قسطنطين أن يخضع إمبراطورية الغرب للملكه ، زحف على فرنسا بجيشه ، وبعدها طابت له الأمور هناك سار إلى إيطاليا وكان أهلها قد نادوا بمكسيموس بن مكسيميانوس<sup>(١)</sup> ملكاً عليهم ، فتقابل الملكان فى عدة مواقع انتهت بهزيمة قسطنطين ، وعندئذ جهز جيشه واستعد لمنازلة مكسيموس فى موقعة حاسمة ! .

وهنا يروى لنا أوسايبوس المؤرخ الشهير ماحدث بعد ذلك كما سمعه من الملك قسطنطين ذاته فيقول : أراد الملك أن يستمد عون «إله ما» وكانت آلهة الرومانيين كثيرة ، فتحير فيمن يطلب النجدة منها ، ولم يكن يعرف إله النصرارى بعد !! ماعدا إنه يحترمهم ويوقرهم ويحترم دينهم كما كان يفعل أبوه ، وقد جال بفكره أن يوجه التفاته إلى إلههم وحده ، فرأى فى منامه كواكب فى السماء على هيئة الصليب ، ورأى صليب من نور مرقوماً عليه هذه الكتابة «بهذا تنتصر»

(١) مكسيميانوس : المسمى غلاريوس : إمبراطور رومانى محب للنساء ، وكان النصرارى معه هو وأصحابه فى شدة شديدة . (تاريخ ابن البطريق ١ / ١٨) .

وظهر السيد المسيح له ومعه صليب وأمره أن يصنع مثاله ويجعله شعاره ، فلما انتبه من النوم استدعى رجالاً رسم لهم صليباً ، وأمرهم أن يرسموا راية على تلك الهيئة ففعلوا كذلك ، وكانت هذه الراية حربة مصفحة من ذهب وفي وسطها عارضتين بشكل صليب معلق فيه منديل حريري عليه صورة الملك وصورة أولاده ، وفي أعلاه إكليل فيه الحرفان الأولان من اسم المسيح ، وقد انتخب لحملة خمسين بطلاً من حرسه الخاص (١) .

ثم التحم الجيشان في موقعة «قنطرة ملفين» في ٢٨ أكتوبر سنة ٣١٢ م ، وكانت موقعة شديدة انتهت بفوز قسطنطين وهرب جيش مكسيموس الذي مرّ على نهر التير فسقط الجسر به فغرق بأكمله ! وبعد عدة حروب انتصر فيها ، دان له ملك الشرق والغرب .

ويقول دين ستانلي : في السنة التي تلت تغييره لمذهبه ودخوله في دين المسيح ، أصدر مرسوم التسامح الديني ، ثم أتى بعد ذلك في توالٍ سريع مرسوم حفظ يوم الأحد في جميع بلاد الإمبراطورية ، ثم ادخال الصلاة في الجيش ، ثم إلغاء العقوبة بالصلب ، وتشجيع تحرير العبيد لإبطال الرق ، والحض على عدم قتل الأطفال وتحريم الغرامة وتحريم ألعاب المصارعة ، وقد كانت كل خطوة من هذه الخطوات جناة طيبة وكسب للإمبراطورية الرومانية وللإنسانية .

وقد وصفه أحد المؤرخين كما ظهر في مجمع نيقية فقال : كان جميل الطلعة طويل القامة ، ممتلىء الجسم ، عريض الكتفين ، يمثل في خشونته طراز كبار الجيش في الإمبراطورية المتدهورة .

### وفود الأساقفة :

قبيل الموعد المحدد لانعقاد المجمع - بدأت وفود الأساقفة تصل إلى نيقية من كل مكان ، وكان في مقدمة الحاضرين وفد كنيسة الإسكندرية المؤلف من الإسكندروس بابا الإسكندرية بصحبة رئيس شمامسته وسكرتيره الخاص إثناسيوس الرسولي ، مع رهط من الأساقفة ، من بينهم الأنبا بوتامون أسقف هرقلية بأعلى

(١) مختصر تاريخ الأمة القبطية - سليم سليمان ص ٤٩ .

النيل ، والأبنا بفنوتيتوس أسقف طيبة الذين قلعت عيناهما بالسيف ، وكويت حواجبها بالحديد المحمى بالنار فى أيام الاضطهاد السابق .

وأظهر دين ستالى مكانة وفد كنيسة الإسكندرية فى المجمع بقوله : لم يكن الإسكندروس هذا أسقف أول كراسى العالم المسيحى من حيث سمو المنزلة والأهمية فحسب ، بل وأعلى هذه الكراسى كعباً من الوجهة العلمية ، وكان هو المفرد بلقب «بابا» لايعرف به رسمياً فى المجمع سواه ، لأن كلمة «بابا رومية» كانت وقتئذ مما لم يتمخض به التاريخ ! أما بابا الإسكندرية فكان هو الذى يخاطب به بصفة خاصة .

وكنت ترى بجوار الإسكندروس شاباً ضئيلاً لم يتجاوز الخامسة والعشرين ، لكنه كان فصيح اللسان ، قوى الجنان ، ذكى الفؤاد طليق المحيا ، عليه سمات النشاط فى هدوء وصفاء .

ذلك الشاب الضئيل والرجل النحيل ، هو رئيس الشمامسة إثناسيوس العظيم ، على أنه وإن لم يكن إلا رئيس شمامسة بسيط ، وتابعاً صغيراً للإسكندروس البطريك ، فقد قرع أسماع المجتمعين بحماس براهينه حتى أشربت إليه الأعناق وشخصت إليه الأبصار .

وحضر أيضاً أنسطاسيوس أسقف أنطاكية ؛ ويوساب أسقف قيصرية ، ومكاريوس أسقف أورشليم ، وبولس أسقف قيصرية الجديدة ، ويعقوب أسقف نصيبين ، وأسبريدون أسقف قبرص وغيرهم .

وحضر من أساقفة الغرب ، أوسيوس أسقف قرطبة ، وبعض أساقفة إيطاليا والغال وأسبانيا وبريطانيا ، وإذ لم يتمكن سلفستروس أسقف روما من الحضور لكبر سنة ، فأناج عنه القسين : ويتن وويكندس .

وحضر أيضاً آريوس القس المبتدع (وكان وقت انعقاد المجمع يناهز الستين من عمره ) وبعض أنصاره منهم أوسابيوس أسقف نيقوميديا .

## المباحث التمهيدية :

ويروى جماعة المؤرخين ، أن ثمة اجتماعات تمهيدية كانت تعقد في الشوارع والمنازل حيث كانت تدور مباحثات ومناقشات حول القضية الرئيسية التي سينعقد المجمع من أجلها ألا وهي « بدعة آريوس » .

ولقد حضر إلى نيقية في الأيام القليلة السابقة لعقد المجمع - الكثير من الفلاسفة الوثنيين والمسيحيين ، ليتمتعوا بمشاهدة المجمع وما سيدور فيه من نقاش ، ويقال أن بعضهم اشترك في بعض المباحثات التمهيدية التي نحن بصدها .

وكثيراً ما كان يحتدم النقاش بين الفريقين المتباحثين إلى درجة ترتفع فيها الأصوات فتحدث جلبة وضوضاء .

فلقد ذكر سقراط المؤرخ أن وطيس الجدل قد اشتد يوماً في أحد هذه الاجتماعات التمهيدية ، واتسعت دائرة البحث وتشعبت أطرافه ، فكان ذلك مدعاة لجذب الكثيرين حولهم للاستماع إليهم ، وبينما هم كذلك وإذ برجل بسيط ، تدل عينه الفاقدة للبصر ورجله العرجاء أنه قد احتمل كثيراً من أجل التمسك بالإيمان في أيام الاضطهاد السابقة ، خطا هذا الرجل في وسط المتناقشين المتحمسين ، وفجأة خاطبهم قائلاً : إن المسيح والرسول لم يخلفوا لنا مجموعة مسائل كلامية نعالجها بعلم المنطق ، ولاخدعاً ومخاتلات باطلة ، وإنما خلفوا لنا حقيقة عارية جلية لنحفظها ونحرسها بالإيمان والأعمال الحسنة . وكم كان تأثير هذه الكلمات في نفوس المتجادلين عظيماً !! لقد ابتدأوا - حالما استمعوا لهذا القول - يحدون من حدة نقاشهم ويخفضون من علو صوتهم .

## الجلسة الأولى :

اتخذ كل من الأساقفة مكانه في المجمع ، وعندئذ حضر الإمبراطور قسطنطين الكبير مع بعض أفراد حاشيته وأراد أن يجلس في آخر القاعة ، غير أن الأساقفة أشاروا عليه بالجلوس على المقعد المخصص له في صدر القاعة ، فقبل بعد أن أوضح لهم أن حضوره في وسطهم كمستضيف فقط لأن الحكم في قضايا الإيمان لا يختص بسلطة الملك ، إنما خصه السيد المسيح بالأساقفة فقط .

جلس الإمبراطور ، ثم جلس عن يمينه البابا الإسكندروس وإثناسيوس رئيس شمامسته ويوساب القيصرى<sup>(١)</sup> ، وعن يساره جلس أوسايوس أسقف قرطبة الذى أسندت إليه رئاسة المجمع لكبر سنه - وآريوس وبقيّة أعوانه ، وشغل الأساقفة بقية المقاعد ، واصطف الجمهور على جانبي القاعة .

وقد اختلف المؤرخون فى اليوم الذى افتتح فيه المجمع جلساته ، ولكن غالبية المدققين منهم يؤكدون أن الجلسة الأولى للمجمع كانت فى اليوم العشرين من شهر مايو ، والجلسة الختامية فى الخامس والعشرين من شهر أغسطس سنة ٣٢٥ م .

وعندما أعلن افتتاح الجلسة الأولى رسمياً ، وقف أوسايوس المؤرخ أسقف قيصرية الذى تولى سكرتيرية المجمع وألقى خطاب الافتتاح فقال : « أيها الملك العزيز ، إننا نقدم الشكر لله العلى ، الملك السماوى ، الذى أعطاك الملك الأرضى وأنارك بنور الديانة المسيحية الشريفة لعبادة الإله الحقيقى ، فنضرع إلى الله أن يبارك ملكك وسلطانك ويعظم عزك وشأنك ويعطيك أيامك الصالحة ، لأنه هو الذى ألهمك عقد هذا المجمع . . . . . » .

حتى أنهى أوسايوس الخطبة ، فرد عليه الإمبراطور قسطنطين باللغة اللاتينية وترجمها أوسايوس إلى الحاضرين باليونانية .

(١) قيصر : اسم أسرة قديمة من أشرف روما ، ثم صار اسم قيصر بعد يوليوس قيصر الشهير ، لقباً رسمياً لجميع الأباطرة الرومان ، وفى سنة ٤٤٤ ق م تبنى يوليوس قيصر ابن اخته المسمى أوكتافيوس (أوكتافيانوس) المولود سنة ٦٣ ق م وجعله وريثه ، فعلا شأنه ، ولما تولى الحكم سنة ٢٧ ق م ضم مصر للإمبراطورية الرومانية ، وأخضع المناوئين ، فمنحه مجلس الشيوخ (السناتو) عدة ألقاب منها : أوغسطس فقبل له : أوغسطس قيصر وكان هذا أول أباطرة الرومان ، وهو الذى نصب هيرودس الكبير حاكماً لفلسطين وأمره بإحصاء السكان ، فجاءت مريم وخطبها يوسف النجار إلى بيت لحم للإحصاء وهى حامل بعيسى فولدت فى بيت لحم حسباً فى إنجيل لوقا (٢ / ١١ - ٧) ، وكانت ولادته فى عهد أوغسطس قيصر وهيرودس الكبير ، وبقي أوغسطس فى الحكم حتى وفاته سنة ١٤ م ، فخلفه طيباروس قيصر ، وفى عهد الإمبراطور هادريانوس (حكم ما بين عامى ١١٧ - ١٣٨ م) وضع سنة جديدة ، وهى الاحتفاظ للإمبراطور بلقب أوغسطس وهى كلمة لاتينية معناها المبجل ، وتلقب ولى العهد بقيصر . (الموسوعة الميسرة ص ١٧٥ وص ١٤١١ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ١٣٧ وص ٧٥٤ ، ودائرة وجدى ١ / ٤٠٠ ، ومعجم الأعلام الملحق بالمورد لمنير البعلبكي ص ٩) .

ثم بدأ المجمع يزاوّل أعماله بالنظر في بدعة آريوس ، فحدث كثير من الجدل والنقاش .

فمنهم من يقول : أن الابن من الأب بمنزلة شعلة نار تعلقت من شعلةٍ أخرى ، فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية عنها .  
وهذه مقالة «سابليوس» الصعيدي ومن تبعه .

ومنهم من قال : إن مريم لم تحمل بالمسيح تسعة أشهر ، بل مرّ بأحشائها كمرور الماء بالميزاب <sup>(١)</sup> . وهذا قول إيلان ومن تبعه .

ومنهم من قال : المسيح بشر مخلوق . وإن إبتداء الابن من مريم ، ثم إنه اصطفّى ، فصحبته النعمة الإلهية بالمحبة والمشية ؛ ولذلك سمّى : ابن الله .  
تعالى عن ذلك ، فالله واحد قيوم .

ومنهم من قال : الآلهة ثلاثة : صالح وطالح وعدل بينهما .  
وهذا قول «مريقيون» وأتباعه .

ومنهم من قال : المسيح وأمه إلهان من دون الله .  
وهذا قول «المرايمة» من فرق النصرارى .

ومنهم من قال : بل الله خلق الابن ، وهو الكلمة فى الأزل ، كما خلق الملائكة روحاً طاهرة ، مقدسة ، بسيطة ، مجردة عن المادة ، ثم خلق المسيح فى آخر الزمان من أحشاء مريم البتول الطاهرة ، فاتحد الابنُ المخلوقُ فى الأزل بإنسان المسيح ، فصارا واحداً .

ومنهم من قال : الابن مولود من الأب قبل كل الدهور ، غير مخلوقٍ وهو جوهر من جوهره ، ونور من نوره ، وأن الابن اتحد بالإنسان المأخوذ من مريم ، فصارا واحداً ، وهو المسيح .

وهذا قول الثلاثمائة وثمانية عشر . <sup>(٢)</sup>

(١) الميزاب : قناة أو أمبوية ، يصرف منها الماء من موضع عال ، ويجمع على مآزيب .

(٢) كان عدد الأساقفة ألفان وثلاثمائة وأربعون أسقفاً مختلفون فى المسيح ولم يأخذ الملك إلا برأى هذا العدد القليل !!

ثم بدأ المجمع يزاوّل أعماله بالنظر في بدعة آريوس ، فحدث كثير من الجدل والنقاش ، ورفعت الجلسة الأولى دون الوصول إلى نتيجة ما .

وفي اليوم التالي عاد المجمع إلى الانعقاد ، وقدم آريوس المبتدع صورة اعتقاده التي قال فيها : « إن الابن ليس مساوياً للأب في الأزلية ، وليس من جوهره ، وأن الأب كان في الأصل وحيداً ، فأخرج الابن من العدم بإرادته ، وأن الابن إله لحصوله على لاهوت مكتسب » .

وما أن سمع الأساقفة هذه الأقوال حتى تهيجوا لما حوته من بدع وأضاليل ، وإذ أخذ آريوس يدافع عن معتقده ، انبرى رئيس الشماسية القديس إثناسيوس وأفحمه بردوده القوية وحججه الدامغة حتى أظهر ضلاله وأبان فساد رأيه . (١)

دهش الأساقفة من موقف إثناسيوس هذا ، الذي لم يكن قد بلغ الثلاثين من عمره بعد ، وفرحوا كثيراً لفصاحته ونبوغه ومقدرته على إثبات المعتقد القويم ، كما نظر إليه الإمبراطور قسطنطين الكبير الذي أخذ ببلاغته وعلمه وقال له : « أنت بطل كنيسة الله » .

وعندما تحير قسطنطين في اختلافهم وكثر تعجبه من ذلك ، وأمر بهم فأنزّلوا في أماكن ، وأجرى لهم الأرزاق ، وأمرهم أن يتناظروا حتى يتبين له صوابهم من خطئهم ، فثبت الثلاثمائة وثمانية عشر على قولهم المذكور ، واختلف باقيهم (٢) ، فمال قسطنطين إلى هذا القول ، وأعرض عما سواه ، وأقبل على الثلاثمائة وثمانية عشر ، وأمر لهم بكراسي ، وأجلسهم عليها ، ودفع إليهم سيفه وخاتمه ، وبسط أيديهم في جميع مملكته ، فباركوا عليه ، ووضعوا له « كتاب قوانين الملوك وقوانين الكنيسة » وفيه ما يتعلق بالمحاكمات والمعاملات والمناكحات ، وكتبوا بذلك إلى سائر الممالك .

ويقول ابن البطريق ( ١ / ١٢٧ ) : أنهم وضعوا له أربعين كتاباً فيها السنن

(١) راجع الخريدة النفيسة ( ١ / ٢٨٩ - ٢٩٢ ) تجد صورة نقاش دار بين إثناسيوس وآريوس حول العقيدة .

(٢) بلغ عدد الآباء المتفقين ٣١٨ أسقفاً ، منهم ٣١٠ من الشرق ، ٨ فقط من الغرب ! ، ولعل ذلك راجع إلى قلة الأساقفة لضعف المسيحية في الغرب في ذلك الوقت .



والشرائع . منها ما يصلح للملك أن يعملها ويعمل بها ، ومنها ما يصلح للأساقفة أن يعملوا بما فيها .

وعندما بدأ الآباء في تحديد العقيدة السليمة ، كان الأريوسيين يوافقون على ظاهر أقوالهم ، ثم يؤولونها بما يكون لصالح عقيدتهم الفاسدة ، وأخيراً تدخل إثناسيوس واقترح أن تضاف إلى العقيدة عبارة ( Homo - Ousion ) أى «مساو فى الجوهر» للتعبير عن حقيقة صلة الأب بالابن ، غير أن الأريوسيون رفضوها وأرادوا استبدالها بعبارة مشابهة ( Homi - Ousion ) ومعناها «مشابه فى الجوهر» ورغم أن العبارة الأخيرة لا تختلف عن الأولى إلا بحرف واحد ، إلا أنها تختلف عنها معنوياً اختلافاً كبيراً .

وبعد نقاش كبير أخذ رأى المجمع ، فوافق على عبارة القديس إثناسيوس .

### الحكم :

وتوالت جلسات المجمع إلى أن تم وضع قانون الإيمان كالاتى :

«نؤمن بإله واحد ، الله الأب ضابط الكل ، خالق السماء والأرض ، مايرى وما لايرى ، نؤمن برب واحد يسوع المسيح ، ابن الله الوحيد ، المولود من الأب قبل كل الدهور ، نور من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق، مساو للأب فى الجوهر ، الذى به كان كل شىء ، هذا الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا ، نزل من السماء ، وتجسد من الروح القدس ، ومن مريم العذراء ، تأنس وصلب على عهد بيلاطس البنطى ، تألم وقبر ، وقام من الأموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب ، وصعد إلى السموات ، وجلس عن يمين أبيه ، وأيضاً يأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات ، الذى ليس لملكه انقضاء ، نؤمن بالروح القدس » .

ولقد وقع على قانون الإيمان هذا أكثر من ٣٠٠ أسقف ، ولما امتنع آريوس وأنصاره عن التوقيع حرّمهم المجمع كما قرر نفى آريوس وحرق كتبه .

## الفصل فى القضايا الباقية :

بعد الانتهاء من الحكم فى قضية آريوس المبتدع ، فصل المجمع فى بقية القضايا المعروضة عليه ، والمدونة فى جدول أعماله :

**أولاً :** مسألة تحديد عيد القيامة : قرر أن يكون العيد فى موعد واحد هو يوم الأحد الذى يلى عيد فصح اليهود ، وذلك لأنه لايجوز أن يسبق المرموز إليه (عيد القيامة) الرمز (عيد الفصح اليهودى) فضلاً عن أن يسوع نفسه أكل الفصح من تلاميذه قبل صلبه . كما قرر المجمع أن يقوم بابا الإسكندرية بإعلان جميع الأساقفة سنوياً عن موعد عيد القيامة ، ولعل هذا راجع إلى أن الإسكندرية كانت يومئذ مركز العلوم الفلكية .

**ثانياً :** عن الشقاق الذى أحدثه ملاتىوس أسقف أسبوت : قرر المجمع حفظ حقوق بابا الإسكندرية الواجبة على رؤوسيه ، كما حفظ حقوق أساقفة رومية وأورشليم وأنطاكية أيضاً .

**ثالثاً :** أما فى مشكلة معمودية الهراطقة : فقد أيد المجمع رأى الكنائس الشرقية فقرر عدم صحة معمودية الهراطقة لأنهم لايعترفون فيها باسم الثالوث الأقدس ، أما من كان معمدأ فى الكنيسة عماداً صحيحاً ثم هرطق فلاتعاد معموديته عند رجوعه .

وأخيراً ، وقبل ارفضاض المجمع ، سن الآباء ٢٠ قانوناً لسياسة الكنيسة .

## انتهاء المجمع :

بعد أن انتهى المجمع من حكمه وقراراته وقوانينه ، أعلن انتهاء جلساته ، فدعى الإمبراطور قسطنطين سائر أعضائه إلى مأدبة فاخرة أولها لهم فى قصره الملكى .

ولقد غالى الإمبراطور فى احترام وتكريم الأساقفة حتى كتب أوسابيوس المؤرخ يصف هذا الاجتماع بقوله « إن اجتماع آباء الكنيسة فى سلام وصفاء بهذه المأدبة الفخمة كان يشبه صورة ملكوت المسيح ، وقد تجلى هذا المنظر أمامى كحكم أكثر مما هو حقيقى . . . » .

ثم ألقى قسطنطين الملك عليهم خطاب الوداع ، حاثاً إياهم على إلتزام خطة المحبة والسلام ، ثم وزع عليهم هدايا كثيرة ، وأعطاهم أوامر ملكية إلى ولاية البلاد التى هم فيها ، كى يوزعوا على الكنائس فى كل عام مقداراً من الخطة يكفى لمؤونة اكليروسها وفقراءها وأراملها .

وبعد أن طلب الإمبراطور الدعاء والبركة من الأساقفة جميعاً أعد لهم الركائب اللازمة وودعهم حيث عادوا إلى مراكز أسقفياتهم .

### نظرة فى قرارات المجمع والنقد الموجه إليه :

لقد قرر المجمع ألوهية المسيح !! وأنه من جوهر الله ، وأنه قديم بقدمه ، وأنه لاغيره تغيير ولاتحول ، وفرضت تلك العقيدة على المسيحيين قاطبة مؤيدة سلطان قسطنطين ، لاعتنة كل من يقول غير ذلك ، والذين فرضوا هذا القول ٣١٨ أسقفاً ، ويخالفهم فى ذلك نحو ألفين أسقف ، وإن لم يكونوا متفقين فيما بينهم على نحلة واحدة ، فهل المجمع لم يخل من نقد ؟ إن باب النقد فيه متسع .

١ - أول ما يلاحظه الناقد أن الذين دعوا إليه ، وجابوا الأمصار ووصلوا إلى نيقية بدعوة من قسطنطين ، وبتفاهم البطارقة فيما بينهم بلغوا ألفان وثلاثمائة وأربعون أسقفاً ، فما هى آراء الباقين ؟ ولماذا أهملت كل هذا الإهمال؟ أكانوا جميعاً مختلفين فى النحل والآراء ، حتى أن نحلة لم يصل عددها إلى ٣١٨ ، فلماذا تعذر الأخذ بالكثرة المطلقة التى يزيد عددها على النصف ، ولو واحداً ، اتجهوا إلى الأخذ بالكثرة النسبية ، وهو اعتناق الرأى الذى يأخذ به أكبر عدد من الأصوات وإن لم يصل النصف أو يقاربه ؟ إن المروى غير ذلك ، لأن ابن البطريق يقول : إن قسطنطين هو الذى اختار أن يعقد أولئك الأساقفة الذين يبلغون ٣١٨ مجلساً خاصاً بهم ، وحضر هو المجلس ، وأعطاهم شارة الملك والسلطان لأنهم أفلجوا على إخوانهم فى زعم ابن البطريق المسيحى الثلاثى ، ولأن الرواة يقولون أن أريوس لما اجتمع إليهم وألقى بدعوته ونحله إليهم ، انضم إلى آرائه أكثر من سبعمائة أسقف ، وذلك العدد هو أكبر عدد نالته نحلة من تلك النحل المختلفة ، فلو كانت النصره بالكثرة النسبية ، لكان الواجب إذن أن يكون الغلب لأريوس الذى

احتج بما تحت أيديهم من أناجيل ، فلما عارضوه بنصوص أخرى تدل على ألوهية المسيح قرر تحريفها .

٢ - ويظهر أن عصا السلطان ورهبة الملك كان لهما دخل في تكوين رأى الذين رأوا ألوهية المسيح ، فلقد روى أن أولئك الـ ٣١٨ لم يكونوا مجتمعين على القول بألوهية المسيح ، ولكن تحت سلطان الإغراء بالسلطة الذى قام به قسطنطين بدفعه إليهم شارة ملكه ليتحكموا فى المملكة اجتمعوا ، فقد دفعهم حب السلطان إلى أن يوافقوا هوى قسطنطين الذى ظهر فى عقده مجلساً خاصاً بهم دون الباقين ، ولاعتقاده إمكان إغرائهم ، فأمضى أولئك ذلك القرار تحت سلطان الترهيب أو الترغيب أو هما معاً ، وبذلك قرروا ألوهية المسيح ، وقسروا الناس عليه بقوة السيف ورهبة الحكام .

٣ - إن المجمع فرض نفسه حكومة وجماعة كهنوتية تلقى على الناس أوامر الدين، وعليهم أن يطيعوا راغبين أو كارهين ، وقرروا أن تعاليم الدين لايتلقونها من كتب المسيحية رأساً ، بل لابد من تلقئها من أفواه العلماء ورجال الكهنوت ، وأن أقولهم فى ذاتها حجة ، سواء أخالفت النصوص أم وافقت ، سواء أكانت الصواب ، أم جافت الحق ، وأن ذلك كان له مابعد فى المسيحية ، وهو مخالف كل المخالفة لما جاء فى تعاليم المسيح المنصوص عليها ، حتى كتبهم التى يقرأونها ويعترفون بها ، فقد جاء فى الإنجيل «تعلمون أن حكام الأمم يسودنهم ، وعظماءهم يتسلطون عليهم ، وأما أنت فلا يكن ذلك بينكم » (متى : ٢٠ / ٢٥) ، ولكن العلماء تسلطوا على إخوانهم المسيحيين لما أعطاهم قسطنطين خاتمة وسيفه وقضيبه ، وبذلك خالفوا المسيح عليه السلام ليطيعوا قسطنطين .

٤ - إن المجمع أمر بتحريق الكتب التى تخالف رأيه ، وتتبعها فى كل مكان وحث الناس على تحريم قراءتها ، فهو بهذا يمنع أن يصل إلى الناس علم بأى أمر من الأمور التى تخالف رأيه ، وهو بهذا يحاول التحكم فى القلوب ، والسيطرة على النفوس بحملها على قراءة ماوافق رأيه ، ومنعها منعاً باتاً

جازماً ، من أن تقرأ غيره ، ويسد عليها منافذ النور للاهتداء إلى ما يخالفه ، ولعل المجمع مخطيء في ذلك التحريم ، وأثم في ذلك التحريف ، بل إن المجامع العامة من بعد قد خطأتها ، فأعدت إلى حظيرة التقديس كتباً حرّمها ، وأخرجت من البلى كتباً حرّفها ، قد حرم كتباً من العهد القديم ، ولم يعترف بها فاعترفت بها المجامع المسيحية من بعده ، وحرم من كتب النصرى المعتبرة الآن رسالة بولس إلى العبرانيين ، والرسالة الثانية لبطرس ، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ، ورسالة يعقوب ، ورسالة يهوذا ، ومشاهدات يوحنا ، ولكن المجامع من بعد أقرتها وأجمعت عليها .

إذن لم يكن المجمع مصيباً في كل الوجوه ، وإن أخطأ في معرفة الصحيح من الكتب ، فأراؤه الأخرى أكثر عرضة للخطأ ، وأكثر استهدافاً للنقد ، ولعل أشدها صلة بالباطل وأقربها به رحماً ، وأدناه إليه هو ما يتعلق بالعقيدة .

٥ - بقى أمر نشير إليه إشارة خفيفة ، وهو مقام قسطنطين في المسيحية عند انعقاد ذلك المجمع ، أكان مسيحياً عالماً بالمسيحية في ذلك الوقت ، حتى ساغ له أن يحكم لبعض المجتمعين ، وإن لم يكونوا الكثرة على أى اعتبار كانت الكثرة ، أكثره مطلقة أم كثرة نسبية ؟

يقول المؤرخ أبوسيبوس الذى تقدس كلامه الكنيسة وتسميه سلطان المؤرخين: «إن قسطنطين عمّد حين كان أسير الفراش ، وأن الذى عمّده ذلك المؤرخ نفسه ، وقد كان له صديقاً » .

والتعميد إعلان دخول المسيحية ، إذن فقسطنطين ماكان مسيحياً فى إبان انعقاد ذلك المجمع ، وماكان من حقه أن يحكم بفلج هؤلاء ، ويسوغ لنا أن نقول أنه كان له فى هذا إرب خاص ، وهو تقربها من وثنيته أو على الأقل عندما رجح رأى فريق كان يرجح ماهو أقرب إلى وثنيته ، وأدنى إلى مايعرفه من عقيدة ، فلم تكن الحجة القوية فى جانب ترجيحه على هذا الاعتبار ، أو كان متهماً فى ترجيحه بناء على الاعتبار الأول ، وسواء أكان هذا أم ذاك ، فهو قد رجح ماهو أقرب إلى الوثنية لوثنيته .

## مجمع صور يرفض بالإجماع قرار مجمع نيقية :

يذكر ابن البطريق أن أوسابيوس أسقف نيقومدية كان موحداً من مناصري آريوس في المجمع العام قبل أن تبعده عنه كثرتة ، ولعن من أجل هذا ، وأراد أن يتقرب من قسطنطين ، فأظهر له أنه وافق على قرار الثمانية عشر والثلاثمائة ، فأزال عنه اللعنة قسطنطين وجعله بطريك القسطنطينية ، فما أن ولى هذه الولاية حتى صار يعمل للوحدانية في الخفاء ، فلما اجتمع المجمع الإقليمي في صور حضره هو وبطريك الإسكندرية الذي كان يمثل فكرة ألوهية المسيح ويدعو إليها ، وينفرد من بين البطارقة في المبالغة في الدعوة إليها والحث عليها ، ولعن كل من يقاومها .

وانتهز أوسابيوس فرصة ذلك الاجتماع وأثار مقالة آريوس ، ورأيه في المسيح وإنكار ألوهيته ، وكان في ذلك المجمع كثيرون من الموحدين المستمسكين به ، إذ لم يحتاطوا بإبعادهم كما فعلوا في المجمع العام نيقية ، واشتد النقاش بين رئيس كنيسة الإسكندرية ، وبين المجتمعين ، ولم يكتفوا بالنقاش القولي ، بل امتدت الأيدي إلى بطريك الإسكندرية وعمدت إلى رأسه لإخراج الوثنية منها ، فضره حتى أدموه ، وكادوا أن يقتلوه ، ولم يخلصه من أيديهم إلا ابن أخت الملك الذي كان حاضراً ذلك الاجتماع .

وماسقنا ذلك القصص لرضانا عن تأييد الرأي بالعصا وجمع اليد ، ولكن سقناه ليتبين منه القارىء مقدار حماسة الموحدين من أهل المسيحية الأولى لعقيدة التوحيد ، وأنهم في تلك الحماسة لا يهابون الشيء ولا يهتمهم إغضاب ذوى السلطان أو إرضاءهم ، ولكن سقناه لتعلم أن الموحدين كما يظهر في رواية الكتب المسيحية ، وكما يستنبط كانوا الكثرة الغالبة في المسيحيين ، ففي مجمع نيقية كانوا الكثرة ، وفي مجمع صور الخاص كانوا الجميع ماعدا رئيس كنيسة الإسكندرية ، وإذ كانوا الكثرة في المؤتمرات خاصة وعامة ، فلا بد أن يكونوا الكثرة في جمهور المسيحيين .

## وبعد وفاة قسطنطين . . . .

يقول ابن البطريق : « فى ذلك العصر غلبت مقالة آريوس على القسطنطينية وأنطاكية وبابل والإسكندرية ، وأسويط قد علمت أن كنيستها موحدة » .

ويقول فى بيان حال الإسكندرية ومصر بعد الإجمال السابق : « فأما أهل مصر والإسكندرية فكان أكثرهم آريوسيين ، فغلبوا على كنائس مصر والإسكندرية وأخذوها ، ووثبوا على إثناسيوس بطريك الإسكندرية ليقتلوه ، فهرب منهم واختفى » .

وهكذا نجد مغالبة قوية بين التوحيد وألوهية المسيح ، الأولى تغالب بالكثرة وقوة الإيمان وسعة الحيلة ، والثانية بقوة السلطان وبقايا الوثنية والذين كانوا متأثرين بها ، ووجدوا مواءمة بينها وبين ما يألفون ، فابتغوها لقربها مما ألفوا وعرفوا وأمكنته التقاليد من نفوسهم ، ولكن قوة السلطان طمست نور المذهب الأول ، إذ أنها احتطت كل الأساقفة ممن لم يكونوا موحدين ، واحتطت أشد الاحتياط فى ذلك ، وأخذ أولئك يسيطرون على قلوب العامة بالرؤى والأحلام وإلهامات يزعمونها ، حتى اختفى المذهب الحق فى لجنة التاريخ ، ولم يبدُ على السطح إلا ألوهية المسيح !! .

## المجمع الثانى المجمع القسطنطينى الأول سنة ٣٨١م

تقرر فى مجمع نيقية أن المسيح إله ، وأنه ابن الآب ، وأنه جوهر قديم من جوهر الآب ، ولم يتعرض للروح القدس أهو إله أم روح مخلوق وليس إله ، ولم يكن مجمع نيقية أصدر قراراً فى هذا الأمر ، لذلك ظهرت أفكاراً بين المسيحيين لاتعترف بالوهيته ، ويظهر أن الإسكندرية التى كانت مهدياً للأفلاطونية الحديثة التى تقول بالتثليث ، وأن المسيطر على العالم ثلاث قوى مؤثرة فيه : قوة المكون الأول (الله) والعقل (الابن) والنفس العامة (الروح القدس) - تريد أن تفرض ذلك فرضاً على المسيحيين - كما كانت العامل القوى فى إعلان ألوهية المسيح .

بعد ارفض مجمع نيقية المسكونى ، ظهرت بعض التعاليم الغريبة ، فقام الآباء بتنفيذها وإظهار فسادها ، غير أن المبتدعين لم يدعونا للحق ، بل تبادوا فى عصيانهم وضلالهم (على حد قول الأساقفة) محاولين نفي سموم تعاليمهم بين البسطاء من جماعة المؤمنين ، فكان ذلك سبباً فى الدعوة إلى عقد مجمع مسكونى ثان للفصل فى هذه البدع قبل استفحال أمرها، ولقد كان على المجمع المسكونى الثانى هذا أن يبحث ويحكم فى ثلاث بدع غريبة عرضت عليه :

١ - بدعة أبوليناروس : إذ كان يُعلم بأن السيد المسيح قد قام مقام الروح الجسدية ، وتحمل الآلام والصلب والموت مع الجسد ، وكان يعتقد أيضاً وجود تفاوت بين الأقانيم الثلاثة منادياً بأن الروح عظيم والابن أعظم أما الآب فهو الأعظم !!

٢ - بدعة أوسابيوس : فكان يعتقد بأن الثالوث الأقدس أقنوماً واحداً ، ظهر فى العهد القديم كأب وصار إنساناً فى العهد الجديد بصفة ابن وحل على الرسل فى عليية صهيون بصفة الروح القدس .

٣ - بدعة مقدونيوس : أخذ هذا الرجل يجاهر بأن الروح القدس عمل إلهى



منتشر في الكون وليس بأفنوم متميز عن الأب والابن ، بل هو مخلوق يشبه الملائكة ولكنه ذو رتبة أسمى منهم .

وقد فند القديس إثناسيوس الرسولي هذه البدعة في المجمع الذي عقده بالإسكندرية بعد عودته من منفاه عام ٣٦٢م وأبان فساد رأى مقدونيوس ثم حكم بحرمه وبدعته ، وتبعه في ذلك أساقفة كثيرون .

ولما سمع الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير بانتشار هذه البدعة وافق على عقد مجمع مسكونى في مدينة القسطنطينية للقضاء عليها .

بدأ المجمع أولى جلساته في أيام شهر مايو سنة ٣٨١م برئاسة القديس ملاتيوس بطريك أنطاكية ، غير أن هذا الأب مرض قبل انتهاء المجمع ، فرشح الآباء القديس غريغوريوس ليخلفه في الرئاسة ، ولكن البابا الإسكندري وأساقفة مصر عارضوا في هذا الترشيح ، فلما رأى غريغوريوس أن رئاسة المجمع ستحدث انقساماً تنازل عنها لصديقه فكتاريوس الذى حاز رضا الجميع .

وبعد أن تليت المراسم الخاصة بانعقاد المجمع ، دعى مقدونيوس ليعرض اعتقاده على مسامع الآباء ، فبدأ يقول : « أن الروح القدس مخلوق مستنداً على الآية التى تقول : « به تكون كل شىء ، وبغيره لم يتكون أى شىء مما تكون » (يوحنا: ١ / ٣) ، فأجابه قائلين : « أنه لا يوجد لدينا إلا روح واحد هو روح الله ، ومن المعلوم أن روح الله ليس شىء غير حياته ، وإذا قلنا أن حياته مخلوقة فعلى زعمك أنه غير حى ، وإذا كان غير حى فهناك الكفر الفظيع والرأى الشنيع ! » .

ثم حاول الأساقفة إقناع مقدونيوس بخطأ عقيدته طالبين منه تركها كى يعود إلى الإيمان ، ولكنه رفض وأصر على التمسك ببدعته .

وإزاء إصرار مقدونيوس على التمسك بآرائه ، لم يجد المجمع بداً من النطق بالحكم عليه ، ف قضى بحرمه ، كما حكم الإمبراطور بنفيه .

وقرر الآباء أن الروح القدس هو الأفنوم الثالث من الثالوث الأقدس ، وأنه مساو للآب والابن ، ثم أكملوا قانون إيمان مجمع نيقية كالاتى :

«نعم نؤمن بالروح القدس الرب المحيى ، المنبثق من الآب ، نسجد له ونمجده مع الآب والابن ، الناطق فى الأنبياء ، وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية ،

ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا ، ومنتظر قيامة الأموات ، وحياة الدهر الآتى . . . آمين» .

ثم بحث المجمع بدعة أبوليناريوس وأوسابيوس ، وقرر حرهما ومن يعتقد بهما . (١)

ثم رفعت أحكام المجمع للإمبراطور فوافق عليها وثبتها . (٢)

### وأخيراً:

إن روح القدس خلقه الله ، واتخذه ليكون رسولاً بينه وبين من يريد أن يلقى عليه وحياً من خلقه ، أو أمراً كونياً ، فهي ليست روح الله المتعلقة بذاته ، وليس عنده من دليل على ما قال ، لكن هكذا ساق السلسلة ، وهكذا اقتنع سامعوه ، وبذلك تم له الثالوث الذى يتشابه تماماً مع فلسفة الإسكندرية ، وقد أعلنها بطريك الإسكندرية ، وزادوا بذلك على مجمع نيقية هذا الأقسام الثالث .

إذن تقرر التثليث ، وتمت أقانيمه ولكن مازال للمؤتمرات العامة والمجامع العامة موضع ، فإن طبيعة المسيح الإنسانية والإلهية ، كيف تجتمعان ؟ هذا موضع الخلاف ، ولهذا تجتمع المؤتمرات .

(١) فى هذه الأيام وفى عهد تاوفيليا بطريك الإسكندرية (٣٧٦ - ٤٠٤م) ظهر الفتية أهل الكهف ، وكان تاوداسيوس إذ ذاك ملكاً على الروم ، فبنى عليهم كنيسة ، وجعل لهم عبداً فى كل سنة ، واشتد الملك تاوداسيوس على «الإريسيين» وضيق عليهم ، وأمر فأخذت منهم كنائس النصرى بعدما حكموها نحو أربعين سنة ، وأسقط من جيشه من «الحنفاء» كثيراً ، وهدم بيوت الأصنام فى كل موضع .

وفى أيامه بنيت كنيسة مريم بالقدس ، وفى أيام الملك أرغاديوس بنى «دير القصير» المعروف الآن بدير البغل فى جبل المقطم ، شرقى «طرا» خارج مدينة فسطاط مصر .

(٢) راجع مجموعة المجامع - فليب لاييه اليسوعى (٣ / ٥٨٥ ، وسقراط ٥ / ٨) .

## المجمع الثالث مجمع أفسس سنة ٤٣١ م.

انعقد المجمع المسكوني الثالث في مدينة أفسس ضد نسطورس ، بأمر الإمبراطور ثيودوسيوس الصغير ، وقد حضره مائتا أسقف ، وتحدد لافتتاحه يوم عيد العنصرة عام ٤٣١ م .

### عيد العنصرة :

زعم أبريس «كورلس» أسقف بيت المقدس ، أنه ظهر في السماء على القبر الذي بكنيسة القمامة شبه صليب من نور ، في يوم عيد العنصرة ، لعشرة أيام من شهر آيار في الساعة الثالثة من النهار ، حتى غلب نوره على نور الشمس ، ورآه جميع أهل القدس عياناً ، فأقام فوق القبر عدة ساعات والناس تشاهده ، فأمن يومئذ من اليهود وغيرهم عدة آلاف كثيرة .

### نسطورس :

بطريك قسطنطينية كما جاء في سائر المصادر . وليس بطريك قسطنطين كما هو مذكور في الخطط والآثار والقول الإبريزي .

ونسطورس هذا ، مؤسس طائفة النساطرة ، أو الآشوريين ، الذين قطنوا في كردستان بين الموصل وأرمينيا إلى أن تبدد شملهم بعد حرب سنة ١٩١٤ م . فتفرقوا في بلدان شتى ، وازدهرت عندهم الحياة الرهبانية ، فأوفدوا المبشرين إلى آسيا الشرقية منذ فجر القرن السادس ، ومنهم انتشرت النصرانية في فارس والهند والصين .

### أفسس :

ومدينة أفسس التي تقرر أن يجتمع فيها هذا المجمع ، كانت واقعة على ضفاف نهر كايستر الذي يجري في الشمال الغربي من آسيا الصغرى . وكانت قديماً من أعظم المدن وأبهجها ، كما كانت ميناءً تجارياً هاماً ، وفي بدء عهد الإمبراطورية الرومانية تبوأ أفسس مكاتها بين العالم المسيحي ككرسى

رسولى ، ثم بدأت تضعف شيئاً فشيئاً إلى أن تلاشت تماماً ، بعد أن خضعت للرومان سنة ١٣٣ق م . وكانت تحتل الصدارة بين مدن آسيا ، وأصبحت مركز المسيحية ، ولم يبق منها سوى آثار هيكل أرطاميس الذى اشتهرت به فى العصور الوثنية .

### تعاليم نسطورس :

قال إنما ولدت مريم إنساناً اتحد بمشيئة الإله - يعنى عيسى - فصار الاتحاد بالمشيئة خاصة لا بالذات ، وإن إطلاق الإله على عيسى ليس هو بالحقيقة ، بل بالموهبة والكرامة .

وقال : إن المسيح حل فيه الابن الأزلى ، وإنى أعبدته ؛ لأن الإله حل فيه ، وإنه جوهران وأقنومان ومشيئة واحدة .

وقال فى خطبته يوم الميلاد : إن مريم ولدت إنساناً ، وأنا لا أعتقد فى ابن شهرين وثلاثة ، الإلهية ، ولا أسجد له سجودى للإله .

وكان هذا هو اعتقاد تادروس وديوادارس الأسقفين ، وكان من قولهما : إن المولود من مريم هو المسيح . والمولود من الأب هو الابن الأزلى ، وإنه حل فى المسيح ؛ فسمى ابن الله بالموهبة والكرامة ، وإن الاتحاد بالمشيئة والإرادة . وأثبتوا لله - تعالى عن قولهم - ولدين أحدهما بالجوهر ، وآخر بالنعمة .

### دعوة الإمبراطور لعقد المجمع :

الإمبراطور ثيودوسيوس الصغير : نصب ملكاً بعد وفاة والده أركاديوس عام ٤٠٨م ، وكان مواظباً على العبادة ، ميالاً للصوم ، شغوفاً بدراسة الكتاب المقدس حتى حفظ أكثر أجزائه !!

ويبدو أنه كان مسالماً طيب القلب ، حتى أن البعض سألوه مرة قائلين : «لماذا لم تقتل أحداً ؟ » فأجابهم قائلاً : «ليتنى أستطيع أن أحيى الموتى !» .

ولما ظهرت ضلالة نسطور فى أيامه ، ولمس القديس كيرلس الكبير عناد هذا المبتدع ، أرسل إلى الإمبراطور يقول : إن آباءك كانوا غيورين على الكنيسة ، مؤيدين لها ، مدافعين عن عقائدها ، وها إنه فى عهدكم الزاهر قد ظهر نسطور

هذا الذى يريد أن يشتت البيعة بضلاله . . لهذا نسأل جلالته أن تأمروا بعقد مجمع عام للنظر فى موضوع هذا الرجل ، فدعو لك وبنارك ملكك .

ووافق الإمبراطور ، وحدد موعد المجمع ثم أمر بإرسال الدعوة لجميع الأساقفة ليكونوا على استعداد للحضور إلى أفسس فى الموعد المحدد .

وبعد أن احتفل الأساقفة - كل فى مقره - بعيد القيامة المجيد ، بدأوا يعدون العدة للذهاب إلى مقر المجمع فى أفسس ، وقبل الموعد المحدد ، وصلت وفود الأساقفة ، فجاء القديس كيرلس البابا الإسكندرى بصحبة خمسون أسقفاً مصرياً ، كما حضر المجمع معه : الأنبا شنودة رئيس المتوحدين والأنبا بقطر السوهاجى (١) رئيس دير فاو الراهبين ، كما جاء يوبيناليوس أسقف أورشليم ، فاستقبلهم ممنون أسقف أفسس (الذى ينحدر إلى أصل مصرى) ، مع رهط من الأساقفة ، استقبالاً عظيماً دل على مالهم من مكانة فى نفوس الجميع .

كما حضر إلى مقر المجمع نسطور المبتدع ومعه أربعون أسقفاً من التابعين له ، وتأخر عن الموعد المحدد يوحنا بطريك أنطاكية وأساقفته ، وكذا نواب أسقف روما ، ولهذا اضطر الآباء إلى تأخير عقد المجمع فى مواعده انتظاراً لمجئ بقية الأعضاء .

ولكن بعد مضى مايقرب من ستة عشر يوماً ، أرسل الأساقفة المتأخرين اعتذاراً ، ذاكرين أنهم سيحضرون قريباً ، كما أنفذ يوحنا بطريك أنطاكية أسقفين حملاً موافقته على عقد المجمع قبل حضوره ، وفى الوقت عينه كان القديس كيرلس قد تسلم أمراً ملكياً بوجوب عقد المجمع حالاً دون تأخير أو إبطاء . عندئذ قرر الآباء جميعاً عقد المجمع فى اليوم التالى .

(١) بقطر السوهاجى : عن رقوق قبطية أخذت من دير الأنبا شنودة بسوهاج ، وقام العلامة المستشرق بوديان بنشرها بالقبطية مع ترجمتها الفرنسية ، ثم طبعها أرنتس لروا فى باريس عام ١٨٩٢م ، ولقد ذكر فى هذه الرقوق أن القديس كيرلس الإسكندرى قد أوفد الأنبا بقطر هذا ليكون مندوباً عنه فى القسطنطينية لدى الإمبراطور ثيودوسيوس الصغير ، وقد لعب هذا الراهب دوراً هاماً فى سبيل توصيل آراء البابا كيرلس وقرارات المجمع الأفسسى إلى الإمبراطور .

## الجلسة والحكم :

عقد المجمع أولى جلساته فى شهر يونيو عام ٤٣١م ، متخذين الكنيسة الكبرى بأفسس (كنيسة السيدة العذراء) مقراً لهم ، وكان عدد الحاضرين مائتى أسقف . ثم طرحت رئاسة المجمع على الآباء ، فأجمع الكل على انتخاب القديس كيرلس بابا الإسكندرية رئيساً ، لما أشتهر به من غزارة العلم وقوة الحجج وشدة التمسك بالإيمان ، فضلاً عن متابعته لبدعة نسطور منذ بدايتها .

وعندما كان المجمع يمهّد جلسته الأولى بالصلاة ، أرسل ثلاثة أساقفة لاستدعاء نسطور ، ولكن مندوب القصر لم يمكنهم من مقابلته ، فأرسل إليه الآباء دفعة ثانية فثالثة فأجاب : « بأنه لا يرى فى حضوره إلى المجمع لزوماً » ، وأخيراً أرسل إلى المجمع رسالة موقعاً عليها منه ومن بعض أساقفته قال فيها أنه لا يمكنه حضور المجمع قبل وصول يوحنا الأنطاكى وأساقفته !

ولم يأخذ المجمع بهذه الادعاءات الواهية لعلمه بسوء نية نسطور كاتبها ولاضطراره إلى عدم تأخير انعقاد المجمع أكثر من ذلك ، واستمر فى عقد جلسته .

وافتححت الجلسة الأولى بتلاوة رسالة الإمبراطور ثيودوسيوس الصغير للمجمع ، وبدأ الأعضاء فى مناقشة تعاليم نسطور على ضوء كتاباته ورسائله وأقواله المدونة ، فإذا بها تعاليم خاطئة ، واستمر المجمع فى جلساته بينما كان الشعب متجمهر فى الخارج ينتظر القرارات العادلة .

## الحكم ونهاية نسطور :

وقبل ارفضاض الجلسة أصدر المجمع حكمه ضد نسطور قائلاً : « حيث أن نسطور كلى النفاق ، قد رفض أن يخضع لصوت دعوتنا إياه ، ولم يقبل الأساقفة الذين أرسلناهم إليه من قبلنا ، لم يمكننا أن نتأخر عن أن نفحص تعاليمه الآثمة ، وبما أننا قد تحققنا من رسائله وأقواله قبل افتتاح المجمع مايرهن على معتقده الأثيم ، لهذا رأينا بناءً على القوانين المقدسة ، أن نبرز ضده هذا الحكم بكل حزن ودموع ، سائلين المولى بواسطة هذا المجمع المقدس أن يعدمه درجة الأسقفية ، وليكن مفرزاً من أية شركة كهنوتية » .

وبعد أن وقع الجميع على الحكم السابق ، أرسلوا إلى نسطور كتاباً قائلين :  
«من المجمع المقدس الملتئم بمدينة أفسس ، برحمة الله تعالى وبموجب تعاليم  
مخلصنا الفادى ، وباسم جلاله الإمبراطور الكلى العبادة ، والحسن الديانة ، إلى  
نسطور يهوذا الثانى :

«اعلم إنه لأجل تعاليمك النفاقية ، وعصيانك على القوانين قد عُرِزت  
وقُطعت من هذا المجمع المقدس بموجب قوانين الكنيسة ، وحكم عليك بأنك  
عديم الدرجة ومسلوب الوظيفة ، وغريب من كل خدمة كنيسة !! . . . »  
ثم قرر المجمع بحسب التعليم المحفوظ فى الكنيسة منذ عصر الرسل ، أن سر  
التجسد المجيد قائم فى اتحاد اللاهوت والناسوت فى أقنوم الكلمة الأزلى بدون  
انفصال ولا امتزاج ولا تغيير ، وأن السيدة العذراء هى والدة الإله .  
ووضع الآباء مقدمة قانون الإيمان كالاتى :

«نعظمك يا أم النور الحقيقى ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله ، لأنك  
ولدت لنا مخلص العالم أتى وخلص نفوسنا ، المجد لك ياسيدنا وملكننا المسيح ،  
فخر الرسل إكليل الشهداء ، تهليل الصديقين ، ثبات الكنائس ، غافر الخطايا ،  
نكرز ونبشر بالثالوث المقدس لاهوت واحد ، نسجد له ونمجده ، يارب إرحم ،  
يارب إرحم ، يارب بارك آمين .»

وهنا رفعت الجلسة ، وأعلنت الأحكام للشعب ، الذى فرح كثيراً عندما  
وقف على حرم نسطور ، وبدأ يهتف للقديس كيرلس بابا الإسكندرية ورئيس  
المجمع .

ثم تقرر نفيه إلى ديره الأول ، ولكنه رغم كل هذا ، لم يتب ولم يستكن ،  
بل بدأ ينفث سموم تعاليمه بين الرهبان وغيرهم ، الأمر الذى أغضب الإمبراطور  
وحدا به إلى إصدار الأمر بنفيه إلى إخميم بصعيد مصر ، حيث أدركته المنية  
هناك .

وقد اختلف المؤرخون فى سبب موته ، فقال البعض أنه لما تملك عليه اليأس  
لعدم تمكنه من الرجوع إلى بلاده دفعة ثانية ، شرخ رأسه بحجر ومات منتحراً ،  
وقال البعض الآخر أن الرب قد ضربه بالدود الذى أكل لسانه وأماته شرمية .

## النسطورية بعد نسطور:

على أن البدعة النسطورية لم تمت تماماً بموت نسطور - وإن كانت قد ضعفت كثيراً - ذلك لأن معلموا مدرسة الرُّها وتلاميذها تمسكوا بتعاليم نسطور الخاطئة ، وبدأوا ينشطون في نشرها ، ولما طردهم أسقف المدينة ، هربوا إلى نصيبين ومعهم بعض الكهنة ، وهناك شيدوا مقراً لهم ، ورسموا رئيساً عليهم. دعوه «جاثاليقا» وعملوا على نشر بدعتهم في بلاد فارس وأشور والهند وغيرها . ولازال بعض النساطرة حتى الآن في جبل سنجار على حدود بلاد فارس وفي ملبار بالهند .

عينا بيان المجامع الثلاثة السابقة ببعض التفصيل ، ولم نضن على القرطاس فيها ببعض الإطناب ، لأنها المجامع التي قررت بها العقيدة المسيحية الحاضرة . فأولها قرر ألوهية المسيح ، وثانيها قرر ألوهية الروح القدس ، وثالثها قرر أن المسيح اجتمع فيه الإنسان والإله ، لا الإنسان فقط ، وأن مريم ولدت الاثنين ، والمجامع الثلاثة الأولى اتفقوا على أنها مجامع عامة تلزم المسيحيين أجمعين ، أما المجمع الرابع الذي قرر أن المسيح ذو طبيعتين منفصلتين ، لا طبيعة واحدة متحدة ، وهو مجمع خلقدونية سنة ٥٤١م ، فهو ليس مجمعاً عاماً في نظر المصريين ، والكنائس تنتهج نهج كنيستهم .

والمجامع الآتية بعد ذلك ليس فيها مجمع قد أجمع عليه المسيحيون قاطبة بأنه مجمع عام مسكوني كما يعبرون ، فكل هذه المجامع لم تمثل فيها الكنيسة المصرية بعد انشقاقها على كنيسة روما ، أو انشقاق كنيسة روما عليها .

## المسيحية والتوحيد :

من البيان الذي سقناه في المجامع ، وما انعقدت بسببه من خلافات يظهر لنا أن المسيحية قد أتت عليها حين من الزمن كان التوحيد هو السائد بين معتنقيها ، والغالب على كل نحلة سواء من نحلها ، وإنك لترى لذلك واضحاً فيما بيننا من أن آريوس عندما ظهر مقاوماً لفكر الألوهية ، ومنازعاً كنيسة الإسكندرية في ذلك المبدأ الذي كانت تبثه في النفوس وهو ألوهية المسيح ، وتنادى به على رؤوس الأشهاد ، بينما كان أتباعه في مصر وفلسطين والقسطنطينية ، (وهذه مواطن



المسيحية في ذلك الإبان ) أكثر عدداً وأقوى مكانة ، فكثير منهم أساقفة ورؤساء كنائس ، وكل ذلك مع قسطنطين الإمبراطور الحاكم بأمره الذي لامعقب لحكمه ، كان يشايع فكرة ألوهية المسيح ويناصرها ، ويحميها ويؤيدها ، كما بينا عند الكلام في مجمع نيقية ، إذ حمى القائلين أن المسيح فيه ألوهية بحمايته ، ووضعهم تحت ظله وأمرهم بالجاء والسلطان .

وإذا كان قد أتى حين كان فيه التوحيد هو السائد ، فصح لنا أن نقسم عصور المسيحية إلى قسمين :

**عصر التوحيد :** ونجعل نهايته الزمن الذي انعقد فيه مجمع نيقية ، أو ما ولى ذلك الزمن بقليل ، إذ غالب التوحيد فكرة ألوهية المسيح رداً غير قصير من الزمن بعد مجمع نيقية .

**عصر التآليه :** وذلك العصر يتبدى بعد مجمع نيقية ، وبعد أن استطاع أباطرة الرومان أن يطمسوا نور التوحيد في وسط المسيحيين ، ويمنعوا الموحدين من نشر دعايتهم .

وبعد مجمع نيقية أبعث التوحيد رسمياً عن الديانة المسيحية ، وإن كان أتباعه أكثر عدداً وأعز نفراً ، ولم تستطع الحكومة الرومانية أن تقضى على التوحيد بذلك المجمع ، ولكنها أخذت تبعد الموحدين عن مكان الرياسة في الكنائس ، ولا تجعل صوتهم يصل إلى الشعب ، بالنفى والتشريد ، وكل ذرائع الأذى والاضطهاد ، حتى حيل بين العامة وبين سماع صوت التوحيد ، وفعل الزمن فعله ، وتغلبت الظلمة على النور ، وأخفى ظلام الليل نور النهار الساطع .

### **فرقة آريوس والتوحيد :**

والفرق التي ظهرت في عهد التوحيد كثيرة ، وبعضها كان مستمسكاً بالتوحيد ، ومعه الكثرة الغالبة من المسيحيين كما استنبطنا من السياق التاريخي ، وكما يستفاد من ثنايا التاريخ ، وبعضها كان قد انحرف عن التوحيد ، حتى كان وجوده تمهيداً للتثليث ، أو سيراً ببعض الخطوات في سبيله .

وأظهر الموحدين آريوس وأتباعه ، وقد كانوا كثيرين ، فقد شرحنا أنه قد كان يأخذ بمذهبه بطريك القسطنطينية وغيره من البطارقة ، وكان رأيه منتشرأ في مصر والشام ومقدونية ، وهي مواطن المسيحية كما علمت .

يقول ابن حزم فى بيان فرقة آريوس : « والنصارى فرق ، منهم أصحاب آريوس ، وكان قسيساً بالإسكندرية ، ومن قوله التوحيد المجرى وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق ، وأنه كلمة الله تعالى التى خلق بها السموات والأرض ، وكان فى زمن قسطنطين الأول باقى القسطنطينية ، وأول من تنصر من ملوك الروم ، وكان على مذهب آريوس » .

وهذا الكلام يحتاج جزءه الأخير إلى نظر ، فهو يزعم أن قسطنطين كان على مذهب آريوس ، وقد بينا عند الكلام فى مجمع نيقية ، أنه هو الذى تدخل بنفوزه وسلطانه ، فعزل أنصار لاهوت المسيح ، واعتبر المجمع مكوناً منهم دون سواهم ، وقد كان المجتمعون أول الأمر أكثر من ألفين ، فرفض رأى الكثرة ، وعقد مجمعاً مؤلفاً من ثمانية عشر وثلاثمائة ، بينما يذكر الثقات من المؤرخين أنه قد صرح بنصرة آريوس من المجمعين أكثر من سبعمائة .

نعم إن الأريوسيين قد حاولوا بعد ذلك جذبهم إلى رأيهم ، وضمه إلى حزبهم ليستفيدوا منه قوة وسلطاناً ، فمال إليهم أخيراً ، أو أظهر الميل ، وإن كان لم يعمل على مذهبه ، ولم يعقد مجمعاً ليقرر رأيهم ، كما فعل بالنسبة لغيره ، وأقصى ما عمله أنه رد المحرومين إلى حظيرة المسيحية ، وأعاد المنفيين من مناهم ، ومكثهم من الاستمتاع بنعمة الحرية ، ولعل ذلك كان كياسة منه وسياسة ، إذ رآهم كثرة المسيحيين الغالبة ، وأقوالهم هى الشائعة الرائجة ، فأظهر الميل إليهم حتى لا يتقصوا عليه .

### أصحاب بولس السمساطى :

ومن الموحدين الذين ظهروا أصحاب بولس السمساطى ، ويقول فيه ابن حزم : « كان بطريرك بأطاكية ، وكان قوله التوحيد المجرى الصحيح ، وأن عيسى عبدالله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام ، خلقه الله فى بطن مريم من غير ذكر ، وأنه إنسان لا إلهية فيه ، وكان يقول : لا أدرى ما الكلمة ، ولا الروح القدس » .

ومن هذا يتبين أن مذهب بولس هذا كان توحيداً خالصاً ، وأن عيسى ليس إلا رسولاً من رب العالمين ، وأنه كان إذا عرض له البحث فى كلمة الله ، وروح القدس أمسك عن ذلك ولم يخض فيه ، وتوقف واعتصم بذلك .

## استبداد الكنيسة بفهم الكتب المقدسة :

لقد احتجرت الكنيسة لنفسها الحق في فهم الكتب المقدسة عندهم ، واستبدت بتفسيرها دون سائر الناس أن يتلقوا قولها بالقبول ، وافق العقل أو خالفه ، وعلى المسيحي إذا لم يستغ عقله قولاً قالته أو مبدأً دينياً أعلنته ، أن يروض عقله على قبوله ، فإن لم يستطع ، فعليه أن يشك في العقل ، ولا يشك في قول البابا ، لأن البابا خليفة لسلسلة الخلافة التي بيّناها .

ولقد كانت تعلن أموراً ماجاء بها الكتاب المقدس عندهم ، وماتعرض له المسيحيون الأولون ، ولا المجامع الأولى ، وهي أمور غريبة جد الغرابة ، بعيدة عن القبول في أحكام العقل جد البعد ، وتلزم المسيحيين بها ، وتفرضها عليهم فرضاً ، ومن قال فيها كلمة فالويل له ، وينزلون به في الدنيا ولا ينتظرون حساب الديان في الآخرة .

ونذكر القارئ على سبيل المثال بمسألتين كان لهما أثر في الفكر المسيحي ، وبسببهما هما وغيرهما تقدم المصلحون في جرأة ، داعين إلى إصلاح الكنيسة بالحسنى أو بغير الحسنى ، هاتان المسألتان هما مسألة الاستحالة ومسألة الغفران .

### ١ - مسألة الاستحالة :

الأفخارستيا (الأوخارستيا) هو السرّ الذي في العشاء الرباني ، وهو وجود جسد الرب يسوع ودمه ونفسه ولاهوته في الخبز والخمر ، ففي الإنجيل «من يأكل جسدي ويشرب دمي ، فله حياة أبدية ، وأنا أقيم في اليوم الأخير ، لأن جسدي هو الطعام الحقيقي ، ودمي هو الشراب الحقيقي» (يوحنا : ٦ / ٥٤ - ٥٦) ، وذلك أن الكاهن يأخذ بيده قطعة الخبز وكأس الخمر لا يبقى منهما إلا ظاهرهما وأما الجوهر فيتلاشى ليحل محلها جسد المسيح ودمه ، فإن قسم الخبز والخمر إلى أجزاء كثيرة ، كان جسد المسيح ودمه في كل جزء كاملين تامين بحقيقتيهما لا بالمجاز ، ويقول البروتستانت بالمجاز لا بالحقيقة . (دائرة وجدى : ١٠ / ٢١٣) .

وفي صفحة ٢٦٤ من كتاب الثلاث عشرة رسالة مايلى : « إنه كانت عادة بين المسيحيين أنهم يأتون إلى الكنيسة بهدايا من ثمر الأرض مختلفة الأشكال لأجل الفقراء ، يضعونها على المائدة أو المذبح ، ومنها يأخذ الكاهن خبزاً وخمراً

للقدّاس ، فهذه الهدايا المقدمة من الشعب يسمّيها القديس إبيرونيموس الأفاخارستيا، أى الشكر من الناس لله لأجل ثمر أرضهم ، ويقول : إن هذه الهدايا من الناس هي القربان المطهر » .

ويقال للعشاء الرباني : (مائدة الرب) أو (شركة جسد الرب ودمه) ، وهي إحدى عقائد النصارى الأساسية ، فهم يعتقدون أن المسيح أكله مع تلاميذه ليلة القبض عليه ، قبيل ذهابه إلى بستان جثشيماني ، فإنه بعد أن تناول عشاء الفصح ، أخذ الخبز وباركه ، وقدم الشكر لأجله ، ثم كسره وأعطاه للتلاميذ مع الخمر ، ويسمون كأس الخمر التي تشرب في هذا العشاء (كأس الرب) أو (كأس البركة) ، ويعتقدون أن من يأكل هذا العشاء في موعده من كل سنة فإن الخبز يتحول إلى لحم المسيح في لحومهم ، والخمر يتحول إلى دم المسيح في دمائهم ، فيحصل الاشتراك بين المسيحي والمسيح . (قاموس الكتاب المقدس ص ٥٠٩ وانظر ص ٣٩٦) .

وذلك أمر غريب في العقل ، لا يستطيع أن يستسيغه أحد بيسر وسهولة ، بل لا يستطيع أن يستسيغه قط ، إذ كيف يتحول الخبز لحماً ، وكيف يصير لحم شخص معين معروف ، وكيف يتحول الخمر دماً ، وتصير دم شخص معين معروف ؟ ذلك غريب بل مستحيل التصور والقبول في العقل ، ولكن الكنيسة فرضت على الناس قبوله ومنعتهم من مناقشته ، وإلا عرضوا للطرد والحرمان ، وهل ورد هذا الأمر في الكتب المقدسة ، حتى يجب الأخذ به من غير تفسير أو تأويل ؟ إنه أمر استقلت به الكنيسة وأعلنته وأبدته في أحد مجامعها ، غير معتمدة في ذلك على نص صريح من الكتب المقدسة عندهم .

ولقد خالفت في بعض شأنه الكنيسة الكاثوليكية غيرها من الكنائس ، فالكنيسة الشرقية ترى أن العشاء الرباني لا يكون بالفطير ، بينما تراه الكنيسة اللاتينية ، ووجد من أحرار الفكر من ينكرون هذه الاستحالة ، ويعتقدون إنها غير ممكنة في العقل ولاسائغة في الفكر .

## ٢ - مسألة الغفران :

أما المسألة الثانية فهي مسألة امتلاك الكنيسة حق الغفران للمسيء في الدنيا، فقد قررت الكنيسة حقاً لنفسها في المجمع الثاني عشر .

وقد جاء في كتاب تاريخ الكنيسة في بيان قرار المجمع في هذا الشأن : «أنهى المجمع تعليمه فيما يتعلق بأمر الغفران» فقال : « إن يسوع المسيح ما كان قد قلد الكنيسة سلطان منح الغفرانات ، وقد استعملت الكنيسة هذا السلطان الذي نالته من العلامنذ الأيام الأولى ، قد أعلم المجمع المقدس ، وأمر بأن تحفظ للكنيسة في الكنيسة هذه العملية الخلاصية للشعب المسيحي ، المثبتة بسلطان المجمع» .

ثم ضرب بسيف الحرمان من يزعمون أن الغفرانات غير مفيدة ، أو ينكرون على الكنيسة سلطان منحها ، غير أنه قد رغب في أن يستعمل هذا السلطان باعتدال واحتراس حسب العادة المحفوظة قديماً والمثبتة في الكنيسة ، لئلا يمس التهذيب الكنسي تراخ بفراط التساهل .

## إفراط الكنيسة في استعمال حق الغفران :

هذا قرار المجمع ، وفيه يمكن للكنيسة من سلطان قوى جبار ، وهو سلطان مسح الذنوب وغفرانها مهما يكن مقدارها ، ومهما تكن قد دنست النفس ، وأرهقت القلب ، ولكنه قد أوصى الكنيسة بالاعتدال والاحتراس ، حتى لا يؤدي الإفراط في منح الغفران إلى ترك التهذيب الديني ، وهجر تعاليم الكنيسة ، والعبث بهدى الدين ، فهل أخذت الكنيسة بما أعطها المجمع ، وراعت حق الرعاية ما أوصى به من عدم الإفراط في الإعطاء والمنح ؟ لقد أتى حين من الدهر من بعد أن أعطى رجال الدين أنفسهم ذلك الحق ، أن أفرطوا في إعطائه إفراطاً شديداً ، وأنشأوا له صكوكاً تباع وتشترى ، فباعوها كأنها عرض من أعراض الدنيا ، ومنتعة من متعها ، وبذل العصابة في سبيلها المال ، وما كان عليهم من حرج في أن يرتكبوا ماشاءوا من الموبقات ، وينالوا ماتهوى الأنفس من معاص . مادام ذلك يفتدى بمال قل أو جل ، وهذا نص صك الغفران الذي يباع بيع السلعة :

## صورة من صك الغفران :

«ربنا يسوع المسيح يرحمك يافلان ، ويحلك باستحقاقات آلامه الكلية القداسة ، وأنا بالسلطان الرسولي المعطى لى أحلك من جميع القصاصات ، والأحكام والطائلات الكنيسة التى استوجبتها ، وأيضاً من جميع الأفرط والخطايا والذنوب التى ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفضيعة ، ومن كل علة ، وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا ، والكرسى الرسولى ، وأمحو جميع أقدار المذنب وكل علامات الملامة التى ربما جلبتها على نفسك فى هذه الفرصة ، وأرفع القصاصات التى كنت تلتزم بمكابدتها فى المطهر وأردك حديثاً إلى الشركة فى أسرار الكنيسة ، وأقرنك فى شركة القديسين ، وأردك ثانية إلى الطهارة والبر اللذين كانا عند معموديتك ، حتى أنه ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذى يدخل منه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب ، ويفتح الباب الذى يؤدى إلى فردوس الفرحة ، وإن لم تمت سنين مستطيلة ، فهذه النعمة تبقى غير متغيرة، حتى تأتى ساعتك الأخيرة باسم الأب والابن والروح القدس » .

هذه صورة من صك الغفران تذكر أنها تمحو الآثام ، وتغفر ذنوب العاصى ، ما تقدم منها وما تأخر ، تغسله من ذنوبه الماضية حتى يصير طاهراً ، ثم لا يصير قابلاً لأن تؤثر فيه الذنوب مهما يرتكب من خطايا ، ومهما ينغمس فى المعاصى ، وكأن ذلك الصك جواز المرور إلى النعيم المقيم ، لا يعوق حامله عائق ، ولا يرده عن الوصول خازن أو حارس .

لقد ابتدأت الكنيسة صك الغفران بمسألة الاعتراف بالذنوب عند الموت والتوبة ، ثم تولى القسيس مسح هذه الذنوب والشخص لم يودع الدنيا ، ثم انتقلت من ذلك إلى أن جعلت لنفسها الحق فى الغفران ، والشخص قوى يستقبل الحياة ، ولا يودعها ، ويُقبل على متعها ولا يدبر عنها ، وغالت فجعلت لنفسها غفران ما تقدم وما تأخر من الذنوب ، ثم أغرقت فى المغالاة فاتخذها رجال الدين باباً من أبواب الكسب للكنيسة ، ثم إنهم ينفقون ما يجمعون من مال فيما يحله الدين والأخلاق ، وما قد يحرمانه ، وبذلك طم السيل ، حتى جاوز الحزام الطيبين .

## فرق النصارى وأعيادهم وعبادتهم

النصارى فى القرآن ومفردھا «نصرانى» هم أتباع المسيح عليه السلام ، نسبة إليه ، لِنَعْتِهِ فى الأناجيل بأنه «يسوع الناصرى» ، أى الذى من «الناصره» ، وهى بلدة فى الجليل شمالى فلسطين نشأ فيها المسيح ، فىقال «الجليلى» ، «الناصرى» وقد كانت تقال فيه من خصومه على التحقير والاستهانة ، لأنه «لايأتى من الجليل شىء صالح» ، ولكن شاء ربك بهذا الجليلى المبارك أن يستطير ذكر الجليل والناصره خفافاً فى العالم ، ولولاه لما كان للناصره فى العالم ذكر .

كان الأوربيون قبل شيوع النصرانية فيهم يؤمنون إلى المسيح عليه السلام بأنه ذلك الرجل الذى من الناصرة استخفافاً ، يريدون الخط من شأنه ومن شأن أتباعه ، فاصطبغ اللفظُ عندهم بصبغة الدم ، وعندما فشت النصرانية فيهم ودخلوا هم أنفسهم فى دين النصارى ، أنفوا أن يقال فيهم نصارى من تلك الناصرة ، وآثروا الانتساب إلى المسيح نفسه ، فقالوا «مسيحى» ، «مسيحيون» ، أتباع هذه «المسيحية» التى جاء بها المسيح .

لم يكن هذا هو تاريخ لفظة نصارى ونصرانى فى المشرق ، فقد تمسك أتباع المسيح فى فلسطين بالانتماء إلى هذا النصارى الذى من الناصرة ، بل قد وجدوا فيها شرفاً لايعدله شرف ، يتحدثون به المُعرض والمستهزئ ، ومن فلسطين شاعت اللفظة فى كل شبه الجزيرة على أتباع المسيح ، لايقال إلا نصارى ، ونصرانى ، يعتنق «النصرانية» ، منسوب إلى هذا الناصرى المبارك ، صلوات الله عليه .

وقد ظلت لفظة نصارى ونصرانية علماً على أتباع هذا الدين عند جميع الناطقين بالعربية حتى أوائل هذا القرن العشرين ، خاصتهم وعامتهم ، نصارى وغير نصارى ، لاتعرف غيرها ألسنتهم وأقلامهم ، ولكن ما أن غلب هذا الشرق العربى على أمره تحت وطأة الغزو الأوروبى الكاسح مادياً وفكرياً منذ أواخر القرن التاسع عشر ، وفشت فى الناس لوثةُ التطبع بطباع الغالب ، واطلع المثقفون ، أو

قل أدياء الثقافة ، على تاريخ لفظة النصراني في الغرب ، حتى أنفوا منها هم أيضاً ، فأمسكوا على إطلاقها على أتباع المسيح ، واستبدلوا منها «المسيحي» ، «المسيحية» لانكاد تسمع اليوم غيرهما في موضوع نصراني ونصارى ونصرانية ، حتى بات يقع اللفظ - أعنى نصراني ومشتقاتها - في سمعك غريباً ، وربما جفَلَ منه المسيحي حين يسمعه منك ، وماذاك إلا لأن فكر هذا الشرق العربي المغلوب على نفسه وعقله وفكره ، بات فكراً مترجماً ، ينطق بالسمع لا بما يحس : يقرؤها Christian أو Chretien فيقول مسيحي ، ولو وقع فيما يقرؤها بلسانهم على nazarene أو nazareén لقال نصراني غير مبال ، ولو فطن وفطنوا لأدركوا أن المسيح والنصارى سواء ، كلاهما منسوب إلى المسيح الناصري ، عيسى بن مريم صلوات الله عليه لامسيحٍ سواه .

والذي ينبغي التنويه به أن العبرية المعاصرة لم تفعل ما فعله العرب بلغتهم فلا تزال العبرية تقول «نوصري» ، «نوصريم» وأيضاً نصراني ، نصرانيم ، تعنى النصراني والنصارى ، وتقول أيضاً «نصرت» ، وتعنى النصرانية دين المسيح . أما القرآن فقد قال «النصارى» على أصل ما نطق به أصحاب الملة أنفسهم: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ [المائدة : ٨٢] .

### فرق النصارى :

أما فرق النصارى فهي كثيرة منها :

١ - الملكانية : أو ملكيون : طائفة مسيحية من العصر البيزنطى ، منتشرة في سورياً ومصر وفلسطين ، ومنهم جالية هامة في أمريكا ، وكنيستهم أيضاً تسمى «كنيسة الروم الكاثوليك» ويتكلم معظمهم العربية ، ويرأسهم بطريك ، يقيم في دمشق والقاهرة .

سُموا «الملكانية أو الملكيين» لأنهم أيدوا القرار الذى اتخذ في مجمع خلقدونية سنة ٤٥١م ضد بدعة أوطيخا الميتافيزيقية «القائلة بطبيعة واحدة للمسيح» فلقبهم مخالفوهم بالملكانيين ؛ لوقوفهم فى صف الملك «مرقيانوس» الذى كان يعاضد المجمع ، ومنهم كاثولوك يعترفون برياسة بابا روما ويسمون «الروم الكاثوليك» ، وأرثوذكس لايعترفون بهذه الرياسة ويسمون «الروم الأرثوذكس» وقد ظهر فى



هذه الطائفة علماء وأدباء مشهورون مثل : قسطا بن لوقا ، ويوحنا بن البطريق ، ونيقولا الصايغ ، عرفهم المسلمون وناقشوا مذهبهم فى طبيعة المسيح الواحد ، كما فعل الشهرستاني فى «الملل والنحل» وابن حزم فى «الفصل فى الملل والأهواء والنحل» والباقلانى فى «التمهيد» .

٢ - **النسطورية** : بدعة ظهرت فى القرن الخامس الميلادى قال بها نسطورس بطريك القسطنطينية ، حين اعترض على تسمية مريم العذراء بوالدة الإله ، وقد عارضه كيرلس الإسكندرى ، وانعقد بسبب هذه المشكلات ثلاث مجامع دينية متلاحقة ، وقررت كلها أن للمسيح طبيعتين : إلهية وإنسانية متحدتين فى أقنوم واحد وقوام إلهى واحد . ورد ذكرها عند الشهرستاني فى «الملل والنحل» ، وابن حزم فى «الفصل فى الملل والأهواء والنحل» والباقلانى فى «التمهيد» .

٣ - **اليعقوبية** : فرقة مسيحية تنسب إلى يعقوب الأرثوذكسى ، وهى إحدى فرق ثلاث اختلفت حول طبيعة المسيح ، والفرقتان الأخرتان هما : الملكانية والنساطرة .

عاش اليعاقبة متمثلين فى «كنيسة الإسكندرية» فى مصر والنوبة والحبشة . . . واتصلوا بالمسلمين ، ويدور مذهبهم على القول بأن المسيح هو الله والإنسان ، اتحدا فى طبيعة واحدة هى المسيح .

واشتغل كثير من اليعاقبة فى ظل الإسلام بنقل الفلسفة اليونانية ، وكتبها إلى السريانية ، ثم إلى العربية . . . ولقوا من الخلفاء المسلمين كل تشجيع وتقدير ، فكان لذلك أثره المتج فى تاريخ الحياة العقلية الإسلامية ، لاسيما من الناحيتين : الكلامية والفلسفية . وقد ذكرهم الشهرستاني فى «الملل والنحل» وابن حزم فى «الفصل فى الملل والأهواء والنحل» والباقلانى فى «التمهيد» .

٤ - **اليوذعانية** : وهى إحدى فرق اليهود ، نسبوا إلى «يوذعان» من «همدان» وقيل كان اسمه «يهودا» . ويقول المقريزى فى الخطط : وكان يوذعان هذا يحث على الزهد وكثرة الصلاة وينهى عن أكل اللحوم وشرب الأنبذة .

٥ - **المرقونية** : وهم أصحاب «مريقيون» ، أثبتوا أصليين متضادين : أحدهما

«النور» والثاني «الظلمة» وهم إحدى الفرق «الثنوية»، ويقول المقریزی في الخطط : يزعمون أن المسيح يطوف عليهم كل يوم وليلة .

٦ - **الثنوية** : وهم أصحاب الاثنين الأزليين . يزعمون أن النور والظلمة أزليان، قديمان وهم فرق، منهم: المانوية والمزدكية والديصانية والمرقونية والكينونية .

٧ - **مذهب أرسطو طاليس** : وهو فيلسوف يوناني تتلمذ على يد أفلاطون وعلم الإسكندر الأكبر ، وله العديد من الكتب ، ويرى أن للعالم مبدآن أساسيان هما : الصورة والمادة ، فكما أن صورة التمثال تنطبع على البرونز فتجعله تماثلاً لشيء بذاته ، فكذلك كل شيء قوامه : صورة ومادة ، ولا تكون صورة بغير مادة إلا صورة الله ، وصورة النفس الإنسانية قبل حلولها في الجسم ، وبعد مفارقتها له . . . والله هو المحرك الأول للمادة ، وكان لأرسطو أثر في الفلاسفة الإسلاميين ، فلقبوه بـ «المعلم الأول» ، والفارابي هو «المعلم الثاني» وشرحوا فلسفته ، راجع في ذلك «إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي» ترجمة أرسطو طاليس .

٨ - **الرهاويون** : أي الذين ينسبون إلى الرها : وهي مدينة قديمة من مدن ما بين النهرين ، كانت تقوم مكان «أورفة» الحالية في تركيا ، ذكرت في التوراة على أنها كانت موطن أسرة خليل الله إبراهيم ، وكانت مركزاً للنصرانية في القرن الثالث ، وتأسست فيها في القرن الرابع والخامس أديرة كثيرة ، فتحها العرب سنة ٦٣٩ هـ .

### الأعياد :

والأعياد المسيحية المشهورة بمصر أربعة عشر عيداً في كل سنة حسب تقويمهم القبطي منها سبعة أعياد يسمونها أعياداً كباراً ، وسبعة يسمونها أعياداً صغاراً .

فلأعياد الكبار عندهم : عيد البشارة - عيد الزيتونة - عيد الفصح - عيد خميس الأربعين - عيد الميلاد - عيد الغطاس .

والأعياد الصغار : عيد الختان - عيد الأربعين - خميس العهد - سبت النور - أحد الحدود - التجلي - عيد الصليب .

ولهم مواسم أخر ليست هي عندهم من الأعياد الشرعية ، لكنها عندهم من

المواسم العادية وهو : يوم الثوروز ، وسأذكر من خبر هذه الأعياد مالا تجده مجموعاً في غير هذا الكتاب على ما استخرجته من كتب النصارى وتواريخ أهل الإسلام .

١ - عيد البشارة : وهو من أعياد النصارى ، وأصله أن جبريل (غبريال عند النصارى) بشرَ مريم بميلاد المسيح عليهما السلام .

٢ - عيد الزيتونة : ويعرف عندهم بعيد الشعانين ، ومعناه التسييح ، ويكون في سابع أحد من صومهم ، وستتهم في عيد الشعانين أن يخرجوا سعف النخل من الكنيسة ، ويرون أنه يوم ركوب المسيح العنو (وهو الحمار) في القدس ، ودخوله إلى صهيون<sup>(١)</sup> وهو راكب ، والناس بين يديه يسبحون ، وهو يأمر بالمعروف ، ويحث على عمل الخير ، وينهى عن المنكر ويباعد عنه .

٣ - عيد الفصح : وهو العيد الكبير ، و(فصح) اسم عبري ومعناه «عبور» ويعرف أيضاً بعيد الفطر . . أنشئ في مصر تذكراً لخروج بنى إسرائيل وخلصهم من فرعون مصر ، وهو يعرف عند النصارى بعيد القيامة وهو يوم الفطر من صومهم الأكبر ، ومدته سبعة أيام تبدأ في ١٥ نيسان وتنتهي بنهاية يوم ٢١ نيسان الذي هو الشهر السابع في التقويم العبري ويسمونه شهر (أبيب)، وقد جرت عادة بنى إسرائيل - وهو من أعيادهم - على تقديم الذبائح الحيوانية في مذبح الهيكل في القدس ، ثم تطور الأمر لتقديم ذبائح بشرية من أطفال الأمم المخالفة لليهود . (٢)

٤ - خميس الأربعين : ويعرف عند أهل الشام «بالمسلاق» ، ويقال أيضاً «عيد الصعود» وهو الثانى والأربعين من الفطر ويزعمون أن المسيح عليه السلام بعد أربعين يوماً من قيامته خرج إلى بيت «عنيا» - وهى قرية واقعة شرقي القدس على مسافة ٥ كيلو منها ، واسمها اليوم «العازرية» نسبة إلى لعازر أخى مرتا

(١) صهيون : جبل في أورشليم (القدس) عليه بنى الهيكل ، وفيه المسجد الأقصى وقبة الصخرة .

(٢) (الموسوعة الميسرة ص ١٢٤٧ ، وقاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٨) .

ومريم الذى أقامه السيد المسيح من الأموات - والتلاميذ معه فرفع يديه وبارك عليهم ، وصعد إلى السماء .

٥ - عيد الخمسين : وهو عيد العنصرة ، ويعملونه بعد خمسين يوماً من يوم القيامة وزعموا أن بعد عشرة أيام من الصعود ، وخمسين يوماً من قيامة المسيح ، اجتمع التلاميذ فى عليّة صهيون فتجلى لهم روح القدس فى شبه السنة من نار فامتثلوا من روح القدس ، وتكلموا بجميع الألسن ، وظهرت على أيديهم آيات كثيرة ، فعاداهم اليهود وحسوهم ، فنجاهم الله منهم ، وخرجوا من السجن ، فساروا فى الأرض متفرقين ، يدعون الناس إلى دين المسيح .

٦ - عيد الميلاد : ويزعمون أنه اليوم الذى ولد فيه المسيح ، وهو يوم الاثنين ، فيحبون عشية ليلة الميلاد ، وستهم فيه كثرة الوقود بالكنايس وتزينها ، ويعملونه بمصر فى التاسع والعشرين من «كيهك» الموافق ٧ يناير من كل عام فهو عيد الميلاد عند الأقباط <sup>(١)</sup> ، ولم يزل بديار مصر من المواسم المشهورة .

٧ - الغطاس : ويكون فى الحادى عشر من شهر طوبة ، وأصله عند النصارى أن يحيى بن زكريا ، عليهما السلام المعروف عندهم «ييوحنا المعمدان» عمّد المسيح فى بحيرة الأردن - وهى بحيرة طبرية فى فلسطين يجتازها نهر الأردن وهى نحو عشرة أميال فى ستة أميال كالبركة ، تحيط بها الجبال وتصب فيها أنهار كثيرة ، ومدينة طبرية مشرفة عليها - وعندما خرج المسيح عليه السلام من الماء اتصل به روح القدس ، فصار النصارى لذلك يغمسون أولادهم فى الماء فى هذا اليوم ، وينزلون فيه بأجمعهم ، ولا يكون ذلك إلا فى شدة البرد، ويسمونه يوم الغطاس .

(١) القبطى : هو المصرى القفطى المسيحى ، نسبة إلى «كفتوريم بن مصرايم بن حام بن نوح» وهو جد القفطيين الذين صعدوا إلى مصر العليا وأنشأوا مدينة «قفط» القديمة المسماة باللغة المصرية «جبّتو» ، ولفظ القبط فى اللغة العربية يشير أصلاً إلى المصريين القفطيين الذين اعتنقوا الدين المسيحى فى بداية البشارة به .

- ٨ - **الختان**: ويزعمون أن المسيح خُتن في هذا اليوم وهو الثامن من الميلاد، والقبط من دون النصارى تختن ، بخلاف غيرهم .
- ٩ - **الأربعون** : وهو عندهم دخول المسيح الهيكل ، ويزعمون أن سمعان الكاهن دخل بالمسيح مع أمه وبارك عليه .
- ١٠ - **خميس العهد** : ويعمل قبل الفصح بثلاثة أيام ، وستتهم فيه أن يملئوا إناء من ماء ويزمزمون عليه ، ثم يغسل للتبرك به أرجل سائر النصارى ، ويزعمون أن المسيح فعل هذا بتلامذته في مثل هذا اليوم كي يعلمهم التواضع ، ثم أخذ عليهم العهد ألا يتفرقوا ، وأن يتواضع بعضهم لبعض . . . . وعوام أهل مصر في وقتنا يقولون «خميس العدس» لأن النصارى تطبخ فيه العدس المصفى ، ويقول أهل الشام «خميس الأرز» و«خميس البيض» ، ويقول أهل الأندلس «خميس أبريل» .
- ١١ - **سبت النور** : وهو قبل الفصح بيوم ، يزعمون أن النور يظهر على قبر المسيح في هذا اليوم ، بكنيسة القيامة من القدس ، فتشعل مصابيح الكنيسة كلها .
- ١٢ - **حد الحدود** : وهو بعد الفصح بثمانية أيام ، فيُعملُ أول أحد بعد الفطر ؛ لأن الأحاد قبله مشغولة بالصوم . . وفيه يجددون الآلات والأثاث واللباس ، ويأخذون في المعاملات والأمور الدنيوية والمعاش .
- ١٣ - **عيد التجلى** : يزعمون أن المسيح تجلى لتلاميذه بعدما رُفِع ، وتمنوا عليه أن يحضر لهم إيلياء وموسى عليهما السلام ، فأحضرهما إليهم بمصلى بيت المقدس ، ثم صعد إلى السماء وتركهم .
- ١٤ - **عيد الصليب** : وهو من الأعياد المحدثّة ، وسببه ظهور الصليب على يد هيلانة أم قسطنطين .
- ١٥ - **النيروز** : معناه اليوم الجديد ، والتسمية فارسية كما يقول علمانيوهم ، وهو أول السنة القبطية بمصر .

## العبادات :

عند النصرارى لابد من تعميد اولادهم ، وذلك بأنهم يغمسون اولادهم فى ماء قد أغلى بالرياحين وألوان الطيب فى إناء جديدة ، ويقراءون عليه من كتابهم ، فيزعمون أنه حينئذ ينزل عليه روح القدس ، ويسمون هذا الفعل المعمودية .  
وطهارتهم هى غسل الوجه والكفين فقط .

ولايختتن منهم إلا اليعقوبية ، ولهم سبع صلوات يستقبلون فيها المشرق .  
ويحجون إلى بيت المقدس ، وزكاتهم العشر من أموالهم ، وصيامهم خمسون يوماً .

ولهم قرايين وكهنة ، فالشماس فوقه القس ، وفوق القس الأسقف ، وفوق الأسقف المطران ، وفوق المطران البطريق .

والسكر عندهم حرام ، ولايحل أكل اللحم ولا الجماع فى الصوم ، وكل ما يباع فى السوق ، ولم تعفه أنفسهم يباح أكله .

ولايصح النكاح إلا بحضور شماس وقس وعدول ومهر ، ويحرمون من النساء مايحرمه المسلمون ، ولايحل الجمع بين امرأتين ، ولا التسرى بالإماء ، إلا أن يعتقن ويتزوج بهن ، وإذا خدم العبد سبع سنين عُتق ، ولايحل طلاق المرأة إلا أن تأتى بفاحشة مبينة ، فتطلق ، ولاتحل للزوج أبداً .

وحد المحصن إذا زنى الرجم ، فإن زنى غير محصن وحملت منه المرأة تزوج بها . ومن قتل عمداً . قُتل . ومن قتل خطأ يهرب ولايحل طلبه .

وأكثر أحكامهم من التوراة ، وقد لعن منهم من لاط ، أو شهد بالزور ، أو قامر أو زنى ، أو سكر .

## المجيء الثاني للمسيح ونهاية التاريخ

عادة عندما يواجه العالم فترة من فترات التحول والتغيير ، أو عندما تحدث بعض الأحداث التاريخية الكبرى التي تؤثر على مجريات الأمور في العالم أو في منطقة هامة منه ، تبدأ على الفور بعض النظريات المتعلقة بنهاية العالم أو نهاية التاريخ في الظهور ، وتعلو في نفس الوقت نبرة الأصوات الدينية التي تتحدث عن مجيء المسيح الثاني ، وتمتلئ المكتبات بالكتب التي تشرح النبوءات والأحداث المصاحبة له ، والإعلان عن قرب مجيئه ، تكرر هذا عندما قامت الثورة الفرنسية ، والحرب العالمية الأولى والثانية . . . الخ .

وعند انكسار وانهيار الاتحاد السوفيتي نادى «فرنسيس فوكوياما» أستاذ العلوم السياسية الياباني الأصل في مقال له بعنوان «نهاية التاريخ» نشره عام ١٩٨٩م ، يقول فيه أن البشرية توصلت إلى مثالها النهائي في صيغة الديمقراطية الليبرالية ، وهذه المقولة لم تكن جديدة ، فقد همس بها من قبل هيجل وماركس ولينين .

وعندما حدثت حرب الخليج ، يذكر الدكتور القس فايز فارس في كتابه «حرب الخليج ونهاية العالم» أن جريدة التايمز الإنجليزية نشرت مقالاً يوم السبت ٢٢ سبتمبر ١٩٩٠م قالت فيه أنه بالرغم من أن منطقة الخليج تبعد عن أمريكا آلاف الأميال ، إلا أن بعض الشيع والجماعات الدينية اليمينية في أمريكا - كعادتها في كل المناسبات - اتخذت من أزمة الخليج برهاناً آخر لتأييد نظرياتها التي تقول أن نهاية العالم قد اقتربت جداً ، وأن الاتفاق بين روسيا وأمريكا بداية لأن تلعب روسيا دوراً في الشرق الأوسط ، تكون نتيجته الحرب مع إسرائيل ، والتمهيد لمعركة هرمجدون ونهاية العالم .

وترتفع في الفترة الأخيرة حرارة الحديث عن نهاية العالم ومجيء المسيح الثاني مع امتلاك إسرائيل للسلاح النووي ، والدعم الذي يصلها من كل مكان ، ومحاولات تهويد القدس ، وهدم المسجد الأقصى ، وإعادة بناء الهيكل ،

وتعطيل مفاوضات السلام ، ووصول حزب الليكود تسانده القوى اليمينية المتطرفة إلى الحكم إلى آخره .

وهكذا يحاول البعض أن يفسر الحقائق الكبرى على ضوء الأحداث السياسية المعاصرة والمتغيرة ، وفي نفس الوقت يبنى البعض فكرة هذا على تفسيرات حرفية لبعض النصوص والنبوءات الكتابية ، منزوعة من خالفاتها التاريخية ، وبعيداً عن الفهم الشامل للكتاب المقدس ككل ، وبالتالي يحددون العلامات والحسابات في ضوء الأحداث التاريخية المعاصرة ، فيقعون في العديد من الأخطاء من ناحية ، ويفجرون الخلافات والانقسامات من ناحية أخرى ، وكذلك يفعل بعض الكتاب المسلمين ، فيخلطون بين ماهو إسلامي ويهودي ومسيحي ، وبين الدين والسياسة .

وحتى الفيلم الأمريكي الحديث « يوم الاستقلال » لا يخلو من هذه الأفكار ، التي ربما تشكل الخلفية للخيال والتوظيف الدرامي ، الذي يحكى قصة هجوم من كوكب آخر على الأرض ومحاولة تدميرها ، والأحداث المصاحبة لنهايتها ، ولا يوجد في النهاية إلا يهودى يحاول إنقاذ الأرض وإعادة تعميرها والاحتفال بيوم الاستقلال ، ويختم الفيلم باليهودى وهو يقف بجوار الأهرامات ، وهم بهذا التصوير لسيناريو النهاية يتركون أكثر من رسالة للمشاهد، الأول تناقض التاريخ والحقيقة عندما يزعمون أن اليهود هم الذين قاموا ببناء الأهرامات .

والثانية هي إظهار القوة والسيطرة والهيمنة الأمريكية وقدرتها على التصدى لأى هجوم من خارج الولايات المتحدة الأمريكية .

وجاءت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ودمرت كل هذه الأفكار وانهارت مع انهيار المبنى التجارى ومبنى البنتاجون .

وهذه الاتجاهات تتبناها بعض المذاهب والفرق والهيئات الإنجيلية فى الغرب ، خاصة التى نشأت فى القرن التاسع عشر ، والتى تسمى « المدرسة الدهرية Dispensational School » من خلال تفكيرها الحرفى والأصولى ، والذي ظهر بأكثر قوة ووضوح فى أيام حكم ريجان للولايات المتحدة الذى يقول : « إن هذا الجيل بالتحديد هو الجيل الذى سيرى هرمجدون » ، وتقول الكاتبة الأمريكية



جريس هالسل فى كتابها « النبوءة والسياسة » : « إننا نؤمن كمسيحيين أن تاريخ الإنسانية سوف ينتهى بمعركة تدعى هرمجدون وأن هذه المعركة سوف تتوج بعودة المسيح الذى سيحكم بعودته على جميع الأحياء والأموات على حد سواء » ، وهذه الاتجاهات تلاقت فى نفس الوقت مع مخططات الحركة الصهيونية ، وهى التى ظهرت منذ مؤتمر بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ م .

وبعيداً عن هذا وذاك سوف أسوق إليك أخى القارىء ما هو أصح وأدق وأشمل من كلام الصادق المصدوق ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى عن هذه النبوءات :

تواترت الأحاديث عن النبى ﷺ أنه أخبر بنزول نبى الله عيسى عليه السلام فى آخر الزمان منها :

١ - عن حذيفة بن أسيد الغفارى رضى الله عنه قال : (طلع النبى ﷺ علينا ونحن نتذاكر ، فقال : « ماتذاكرون؟ » . قالوا : نذكر الساعة . قال : «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات : - فذكر - الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى عليه السلام ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم» . (١)

٢ - وعن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (يخرج الدجال فى خفة من الدين وإدبار من العلم ) فذكر الحديث - وفيه : « ثم ينزل عيسى بن مريم فينادى من السَّحَر ، فيقول : يا أيها الناس : ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث ؟ فيقولون : هذا رجل جنى . فينطلقون ؛ فإذا هم بعيسى ابن مريم عليه السلام ، فتقام الصلاة ، فيقال له : تقدم ياروح الله ، فيقول : ليتقدم إمامكم فليصل بكم ، فإذا صلى صلاة الصبح ؛ خرجوا إليه » . قال : « فحين يراه الكذاب ؛ ينمات كما ينمات

(١) أخرجه مسلم {٢٩٠١ / ٣٩-٤١} واللفظ له ، وأحمد {٦/٤} ، وأبو داود {٤٣١١} ، وابن ماجه {٤٠٤١ ، ٤٠٥٥} ، والترمذى {٢١٨٣} : « هذا حديث حسن صحيح » .

الملح في الماء ، فيمشى إليه ، فيقتله ، حتى إن الشجر والحجر ينادى :  
يا روح الله هذا يهودى ، فلا يترك ممن كان يتبعه أحداً إلا قتله» . (١)

٣ - عن النواس بن سمعان الكلابى رضى الله تعالى عنه قال : ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة . . فذكر الحديث بطوله - وفيه : « فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم ، فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين ، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين ، إذ طأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه ، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ، ثم يأتى عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ، ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة » ، ثم ذكر خروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم بسبب دعاء عيسى وأصحابه عليهم إلى أن قال : « ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر ، فيغسل الأرض ، حتى يتركها كالزلقة ، ثم يقال للأرض : أنبتى ثمرتك وردى بركتك ، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ، ويستظلون بقحفها ، ويبارك فى الرسل ، حتى إن اللقحة من الإبل لتكفى الفئام من الناس ، واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس ، واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس . . . . » . (٢)

٤ - عن أبى أمامة الباهلى رضى الله تعالى عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ ، فكان أكثر خطبته حديثاً حدثناه عن الدجال وحذرناه . - فذكر الحديث

(١) رواه أحمد {٣ / ٣٦٧} ، والحاكم {٥٣٠ / ٤} مختصراً ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبى : على شرط مسلم ووافقه الأرنؤوط {١٤٩٥٤ / المسند} ، وقوله تقدم ياروح الله : إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ {آل عمران : ٥٩} ، وقال الله تعالى عن آدم للملائكة : ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ {الحجر : ٢٩} ، وقال عن مريم : ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتِ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَتُ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ {التحریم : ١٢}

(٢) أخرجه مسلم {٢٩٣٧ / ١٠} ، وأبو داود {٤٣٢١} ، الترمذى {٢٢٤٠} ، وابن ماجه {٤٠٧٥} ، وقال الترمذى : « هذا حديث حسن غريب » .

بطوله - وفيه : فقالت أم شريك بنت أبي العكر : يارسول الله : فأين العرب يومئذ ؟ قال : « هم يومئذ قليل ، وجلها بيت المقدس ، وإمامهم رجل صالح ، فبينما إمامهم قد تقدم يصلى بهم الصبح ، إذ نزل عليه عيسى ابن مريم الصبح ، فرجع ذلك الإمام ينكص يمشى القهقري ليتقدم عيسى يصلى بالناس ، فيضع عيسى يده بين كتفيه ، ثم يقول له : تقدم فصل ، فإنها لك أقيمت . فيصلى بهم إمامهم ، فإذا انصرف قال عيسى عليه السلام : افتحوا الباب ، فيفتح وراءه الدجال ، معه سبعون ألف يهودى ، كلهم ذو سيف محلى ، وساج ، فإذا نظر إليه الدجال ؛ ذاب كما يذوب الملح فى الماء وينطلق هارباً .

ويقول عيسى عليه السلام : إن لى فيك ضربة لن تسبقنى بها ، فيذكره عند باب اللد الشرقى ، فيقتله ، فيهزم الله اليهود ، فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودى إلا أنطق الله ذلك الشيء ، لاججر ولاشجر ولاحائط ولادابة إلا الغرقة فإنها من شجرهم لاتنطق ، إلا قال : يا عبد الله المسلم : هذا يهودى فتعال اقتله . »

قال رسول الله ﷺ : « فيكون عيسى ابن مريم عليهما السلام فى أمتى حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً ، يدق الصليب ، ويذبح الخنزير ، ويضع الجزية ، ويترك الصدقة ، فلا يسعى على شاة ولابعير ، وترُفع الشحنة والتباغض ، وتنزع حُمة كل ذات حُمة ، حتى يدخل الوليد يده فى فيه الحية فلا تضره ، وتفر الوليدة الأسد فلا يضرها ، ويكون الذئب فى الغنم كأنه كلبها ، وتملاً الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء ، وتكون الكلمة واحدة ، فلا يعبد إلا الله ، وتضع الحرب أوزارها ، وتسلب قريش ملكها ، وتكون الأرض كفائور الفضة ، تنبت نباتها بعهد آدم ، حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم ، ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم ، ويكون الثور بكذا وبكذا من المال ، وتكون الفرس بالدرهيمات . »

قالوا : يارسول الله ! ومايرخص الفرس ؟ قال : « لاتركب لحرب أبداً » .

قيل له : فما يغلى الثور ؟ قال : «تحرث الأرض كلها . . . . .» (١)  
الحديث .

٥ - عن سمرة بن جندب رضى الله تعالى عنه : أن نبي الله ﷺ كان يقول :  
« إن الدجال خارج . . . . » - الحديث - وفيه : «فيلبث فى الأرض ماشاء  
الله ، ثم يجىء عيسى ابن مريم عليهما السلام من قبل المغرب مصدقاً بمحمد  
ﷺ وعلى ملته ، فيقتل الدجال ، ثم إنما هو قيام الساعة» . (٢)

٦ - عن عبدالله بن مغفل رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ :  
«ما أهبط الله تعالى إلى الأرض منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة فتنة أعظم  
من فتنة الدجال . . .» - الحديث - وفيه : « ثم ينزل عيسى ابن مريم مصدقاً  
بمحمد ﷺ على ملته إماماً مهدياً وحكماً عادلاً ، فيقتل الدجال» . (٣)

٧ - عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال : «يدرك رجال  
من أمتى عيسى ابن مريم ويشهدون قتال الدجال» . (٤)

٨ - عن حذيفة بن أسيد رضى الله تعالى عنه أنه قال : « الدجال يخرج فى  
بغض من الناس وخفة من الدين وسوء ذات بين ، فيرد كل منهل ، فتطوى  
له الأرض طى فروة الكبش ، حتى يأتى المدينة ، فيغلب على خارجها ،  
ويمنع داخلها ، ثم جبل إيلياء ، فيحاصر عصابة من المسلمين ، فيقول لهم  
الذى عليهم : ماتتظرون بهذا الطاغية أن تقاتلوه حتى تلحقوا بالله أو يفتح

(١) رواه ابن ماجه {٤٠٧٧} وضعفه الألبانى فى ضعيف سنن ابن ماجه {٨٨٤} ، وانظر المشكاة  
{٦٠٠٤} ، وضعيف الجامع {٣٦٨٤} ، وقال فى ظلال الجنة {٣٩١} : إسناده ضعيف ،  
رجالهم كلهم ثقات غير عمرو بن عبدالله الحضرمى لم يوثقه غير ابن حبان ، وللحديث  
شواهد تقوية .

(٢) رواه أحمد {٥ / ١٣} ، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد {٧ / ٣٣٩} : رواه الطبرانى  
وأحمد ورجاله رجال الصحيح .

قوله : « من قبل المغرب » أى : مغرب أهل المدينة ، وهو الشام ، والله تعالى أعلم .  
(٣) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد {٧ / ٣٣٨ - ٣٣٩} وقال : رواه الطبرانى فى الكبير  
والأوسط ورجاله ثقات ، وفى بعضهم ضعف لا يضر .

(٤) رواه الحاكم فى المستدرک {٤ / ٥٤٤} ، وقال الذهبى : منكر ، وعباد ضعيف .

لكم ، فيأثمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا ، فيصيحون ومعهم عيسى ابن مريم ، فيقتل الدجال ، ويهزم أصحابه ، حتى إن الشجر والحجر والمدر يقول : يامؤمن : هذا يهودى عندى فاقتله . (١)

٩ - عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لم يسلط على قتل الدجال إلا عيسى ابن مريم عليه السلام » . (٢)

١٠ - عن مجمع بن جارية الأنصارى رضى الله تعالى عنه قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يقتل ابن مريم الدجال بباب لد » . (٣)

١١ - عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده ، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها » . (٤)

١٢ - عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والله لينزلن ابن مريم حكماً عدلاً ، فليكسرن الصليب ، وليقتلن الخنزير ، وليضعن الجزية ، ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها ، ولتذهبن الشحنة والتباغض والتحاسد ، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد » . (٥)

١٣ - عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال : « يوشك من عاش منكم أن يلقي عيسى ابن مريم إماماً مهدياً وحكماً عدلاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، وتضع الحرب أوزارها » . (٦)

(١) رواه الحاكم فى المستدرک {٤ / ٥٥٣} ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه للسند لا للإسناد ، ووافقه الذهبى .

(٢) رواه أبو داود الطيالسى فى مسنده .

(٣) رواه أحمد {٣ / ٤٢٠} وقال الأرنؤوط {١٥٤٦٧} : صحيح لغيره ، والترمذى {٢٢٤٤} وقال : هذا حديث صحيح ، وابن حبان فى صحيحه {٦٨١١} .

(٤) أخرجه البخارى {٢٢٢٢٢} ، ومسلم {١٥٥ / ٢٤٢} ، وأحمد {٢ / ٥٣٧} ، والترمذى {٢٢٣٣} ، وابن ماجه مختصراً {٤٠٧٨} ، وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح » .

(٥) الحديث السابق .

(٦) رواه أحمد {٢ / ٤٢٠} وقال الأرنؤوط {٧٢٦٩} : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

١٤ - عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال : « الأنبياء إخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد ، وإنى أولى الناس بعيسى ابن مريم ، لأنه لم يكن نبى بينى وبينه ، وإنه نازل ، فإذا رأيتموه فأعرفوه ، رجل مربوع إلى الحمرة والبياض ، عليه ثوبان ممصران ، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل ، فيدق الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويدعو الناس إلى الإسلام ، ويهلك الله فى زمانه الملل كلها إلا الإسلام ، ويهلك الله فى زمانه المسيح الدجال ، ثم تقع الأمانة على الأرض ، حتى ترتع الأسود مع الإبل ، والنمار مع البقر ، والذئب مع الغنم ، ويلعب الصبيان بالحيات لاتضرهم ، فيمكث أربعين سنة ، ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون » . (١)

١٦ - عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : دخل على رسول الله ﷺ وأنا أبكى فقال لى : « مايبكيك ؟ » قلت : يارسول الله : ذكرت الدجال فبكيت ، فقال رسول الله ﷺ : « إن خرج الدجال وأنا حى كفيتكموه ، وإن يخرج الدجال بعدى ؛ فإن ربكم عز وجل ليس بأعور ، إنه يخرج فى يهودية أصسبهان ، حتى يأتى المدينة ، فينزل ناحيتها ، ولها يومئذ سبعة أبواب ، على كل نقب منها ملكان ، فيخرج إليه شرار أهلها ، حتى يأتى فلسطين باب لد ، فينزل عيسى عليه السلام فيقتله ، ثم يمكث عيسى عليه السلام فى الأرض أربعين سنة إماماً عدلاً وحكماً مقسطاً » . (٢)

(١) رواه أحمد {٢ / ٤٠٦ - ٤٣٧} ، وابن حبان فى صحيحه {٦٨٢١} ، وقال الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم ، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبدالرحمن بن آدم فمن رجال مسلم ، والحاكم فى المستدرک {٢ / ٥٩٥} ، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى ، وأبو داود مختصراً {٤٣٢٤} .

(٢) رواه أحمد {٦ / ٧٥} ، وابن حبان فى صحيحه {٦٨٢٢} ، وقال الأرنؤوط : إسناده قوى ، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد {٧ / ٣٣٨} ونسبه لأحمد وقال : رجاله رجال الصحيح غير الحضرمى بن لاحق وهو ثقة .

١٧ - عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ الصادق المصدوق يقول : « إن الأعداء الدجال مسيح الضلالة يخرج من قبل المشرق فى زمان اختلاف من الناس وفرقة ، فيبلغ ماشاء الله من الأرض فى أربعين يوماً ، الله أعلم ما مقدارها ، الله أعلم ما مقدارها «مرتين» ، وينزل عيسى ابن مريم فيؤمهم ، فإذا رفع رأسه من الركعة قال : سمع الله لمن حمده ، قتل الله الدجال وأظهر المؤمنين » . (١)

١٨ - عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق ، فيخرج إليه جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ ، فإذا تصافوا قالت الروم : خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم ، فيقول المسلمون : لا والله ؛ لانخلى بينكم وبين إخواننا ، فيقاتلونهم ، فيهزم ثلث لايتوب الله عليهم أبداً ، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ، ويفتح الثلث لايفتنون أبداً ، فيفتتحون قسطنطينية ، فينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون ، إذ صاح فيهم الشيطان : إن المسيح قد خلفكم فى أهليكم ! فيخرجون ، وذلك باطل ، فإذا جاءوا الشام ؛ خرج ، فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف ؛ إذ أقيمت الصلاة ، فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام ، فأمهم ، فإذا رآه عدو الله ، ذاب كما يذوب الملح فى الماء ، فلو تركه لانداب حتى يهلك ، ولكن يقتله الله بيده ، فيريهم دمه فى حربته » . (٢)

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه {٦٨١٢} وقال الأرنؤوط : إسناده قوى ، رجاله ثقات ، رجال الصحيح ، غير كليب بن شهاب والد عاصم ، فقد روى له أصحاب السنن والبخارى فى «رفع اليبدين» وهو صدوق ، ورواه البزار بنحوه {٣٣٩} ، وزاد بعد قوله : « الله أعلم مامقدارها » : « فيلقى المؤمنون شدة شديدة ، ثم ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء ، فيؤم الناس ، فإذا رفع رأسه من ركعته قال : سمع الله لمن حمده ؛ قتل الله المسيح الدجال ، وظهر المؤمنون » ، فأحلف أن رسول الله ﷺ أبا القاسم الصادق المصدوق ﷺ قال : « إنه لحق ، وأما أنه قريب ، فكل ما هو آت قريب » .

(٢) أخرجه مسلم {٢٨٩٧ / ٣٤} .

١٩ - عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لاتزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ، قال : فينزل عيسى ابن مريم ، فيقول أميرهم : تعال صل لنا ، فيقول : لا ، إن بعضكم على بعض أمراء ، تكرمه الله هذه الأمة » . (١)

(١) أخرجه مسلم {١٥٦ ، ٢٤٧} ، وأحمد {٣ / ٣٤٥} .



## خاتمة

قصة عيسى عليه السلام قصة يجب أن يتتبع إليها العقل انتبهاً جيداً ، ونحن في هذا الكتاب عرضنا وجهة نظر الذين وضعوه في موضع غير الموضع الذي أراده الله ، ووجهة نظر الذين وضعوه بالموضع الذي أراده الله .

فالمسألة ليست انتصاراً لنا في الدنيا على فريق يقول كذا ، وليست انتصاراً لفريق من أهل الدنيا علينا يقول كذا ، وإنما هي مسألة لها عاقبة تأتي في الآخرة ، فمن المهم أن نصفها تصفية تصحيحها ، وتظهر الحق فيها ، حتى لا يُظلم أحد .

عيسى عليه السلام جاء على دين بنى إسرائيل ، وقد حرفة اليهود تحريفاً ينحاز إلى الأمور المادية الصرفة ، ويكاد يطغى على عقل اليهود وإيمانهم ويقينهم في قضية الغيبات ، فهم ماديون لدرجة أنهم قالوا لموسى عليه السلام : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [البقرة : ٥٥] .

لقد صور اليهود الأشياء كلها على أنها حسية ، حتى الطعام الذي أراده الله تعالى لهم غيباً ليرحمهم في الدنيا ، فأرسل إليهم المن والسلوى ، غيباً من عنده سبحانه ، فهم لم يجتهدوا فيه ، ولم يستوردوه ، ولم يستتبهوه ، ولم يعرفوا كنهه ، ومع ذلك تمردوا على الغيب ، مع أنه رزق ساقه الله تعالى إليهم ، وقالوا لموسى عليه السلام : ﴿ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا ﴾ [البقرة : ٦١] .

يعنى ذلك أنهم طلبوا الأمور المادية المعروفة لهم ورفضوا الغيبات ، فكانهم قالوا : ومن يدرينا . . فإن المن والسلوى قد يتقطعان عنا ولا يستمران في المجيء إلينا ، وبالتالي فهم قوم لاثقة لهم في الغيب .

إذن . . فهم قوم كل أمورهم مادية ، ومادامت كل أمورهم مادية ، فهم في حاجة إلى هزة عنيفة تهز أوصال ماديتهم هذه ، لتخرجهم إلى معنى يؤمنون فيه بالغيب ، فكان ميلاد نبي الله عيسى عليه السلام على الصورة التي بينها في هذا الكتاب معجزة من الله تعالى ، ولكن القوم هم القوم ، قوم بهت قتلوا أنبياءهم وكذبوا رسلهم .

## أهم المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - صحيح مسلم (شرح النووي) - كتاب الشعب - القاهرة .
- ٣ - تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) .
- ٤ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبدالباقى - مطابع الشعب - القاهرة .
- ٥ - التوراة والإنجيل ( الكتاب المقدس بشرطيه : العهد القديم والعهد الجديد).
- ٦ - الكتاب المقدس - ترجمة الفاتيكان العربية ، المطبعة الكاثوليكية - بيروت - فبراير سنة ١٩٥١ م .
- ٧ - من إعجاز القرآن - العلم الأعجمى فى القرآن مفسراً بالقرآن - رؤوف أبو سعدة - دار الهلال - القاهرة - سنة ١٩٩٤ .
- ٨ - مريم والمسيح - محمد متولى الشعراوى - مكتبة التراث الإسلامى - الطبعة الثانية - ديسمبر سنة ٢٠٠٠ م .
- ٩ - تاريخ الأقباط - المعروف بالقول الإبريزى للعلامة المقريزى - دراسة وتحقيق د/ عبدالمجيد دياب - دار الفضيلة - القاهرة - سنة ١٩٨٨ م .
- ١٠ - أهل الكهف - فى التوراة والإنجيل والقرآن - د/ أحمد على المجذوب - الدار المصرية اللبنانية - القاهرة - الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠ م .
- ١١ - إظهار الحق - الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الكيروانى العثمانى الهندى - دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور محمد أحمد ملكاوى - دار الحديث - القاهرة سنة ١٩٩٢ م .
- ١٢ - المسيح فى الإسلام - ومحاورة مع قسيس حول ألوهية المسيح - أحمد ديدات نقله إلى العربية وقدم له - على الجوهري - دار الفضيلة - القاهرة سنة ١٩٩٠ م .
- ١٣ - مناظرتان فى استكهولم - بين أحمد ديدات وكبير قساوسة السويد استانلى شويرج - دار الفضيلة - القاهرة سنة ١٩٩٢ م .
- ١٤ - مناظرة العصر - بين أحمد ديدات والقس الدكتور / أنيس شروش بقاعة ألبرت بلندن - دار الفضيلة - القاهرة ١٩٩٢ م .
- ١٥ - المسيحية - د/ أحمد شلبى - مكتبة النهضة المصرية - الطبعة العاشرة سنة ٢٠٠٠ م .
- ١٦ - المسيح فى مصادر العقائد المسيحية - مهندس أحمد عبدالوهاب - مكتبة وهبة سنة ١٩٨٨ م .
- ١٧ - ماذا تعرف عن المسيحية - عبدالفتاح حسين الزيات - مركز اليا للنشر والإعلام - القاهرة - ١٩٩٨ م .
- ١٨ - العقائد النصرانية فى ضوء الوحي الإلهي والتأثيرات الوثنية - د/ عبدالعزيز سيف النصر - الأستاذ بقسم العقيدة والفلسفة - كلية أصول الدين - جامعة الأزهر - الطبعة الأولى ١٩٩١ م .
- ١٩ - النبؤات والبشارات بخاتم النبيين بين النصرانية والإسلام - د/ عبدالعزيز سيف النصر - الطبعة الأولى ١٩٩١ م .
- ٢٠ - عقيدة التثليث فى المسيحية وموقف الإسلام منها - د/ محمد أبو الغيط الفرت أستاذ العقيدة والفلسفة - جامعة الأزهر - ١٩٩١ م .
- ٢١ - الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل - أبو حامد الغزالي - دار الجليل - بيروت - الطبعة الثالثة سنة ١٩٩٠ م .
- ٢٢ - محاضرات فى النصرانية - الإمام محمد أبو زهرة - دار الفكر العربى - القاهرة بدون تاريخ .
- ٢٣ - النصرانية تاريخاً وعقيدة - د/ مصطفى شاهين - دار الاعتصام - ١٩٩٢ م .
- ٢٤ - الأناجيل دراسة مقارنة - أحمد طاهر - دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٩١ م .
- ٢٥ - عقائد النصرارى الموحدين - حسنى يوسف الأطير - مكتبة الزهراء - القاهرة سنة ١٩٩٨ م .
- ٢٦ - عيسى رسول الإسلام - القس سليمان شاهد مفسر - ترجمة أبو إسلام أحمد عبدالله - بيت الحكمة - القاهرة الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣ م .
- ٢٧ - محمد رسول الله فى الترجوم والتلمود والتوراة - هشام محمد طلبة - النهار للطبع والنشر والتوزيع - القاهرة الطبعة الأولى ٢٠٠١ م .
- ٢٨ - سر مريم - حسنى يوسف الأطير - مكتبة الزهراء - طبعة أولى ١٩٩٤ م .
- ٢٩ - الكنائس الكاذبة - وليد طوغان - دار الخيال - القاهرة سنة ٢٠٠١ م .
- ٣٠ - السنوات المجهولة من حياة المسيح - د/ فريز صموئيل - مطبعة أوتورنر سنة ١٩٩٦ م .

- ٣١ - المجيء الثاني للمسيح ونهاية التاريخ - د/ القس مكرم نجيب - دار الثقافة - القاهرة طبعة أولى ١٩٩٧ م .
- ٣٢ - الديدأخي - أى تعليم الرسل - الكاتب / راهب من الكنيسة القبطية - مصادر طقوس الكنيسة طبعة أولى سنة ٢٠٠٠م - مكتبة المنار - القاهرة .
- ٣٣ - محاكمة الإيمان المسيحي - روث كلفورد - ترجمة رأفت زكى - الجمع والإخراج الفنى والطباعة - لوجوس ستر - القاهرة سنة ١٩٩٧م .
- ٣٤ - كل يوم صباح جديد - رابطة قراء الكتاب المقدس - دار الكتاب المقدس - طبع بدار نوبار - القاهرة - طبعة ثانية سنة ٢٠٠٠م .
- ٣٥ - إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي - دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابى الحلبي - القاهرة ١٩٥٧م .
- ٣٦ - اكتشاف أهل الكهف - وفق وفا الدجاني - مؤسسة المعارف - بيروت سنة ١٩٦٤م .
- ٣٧ - أهل الكهف - محمد تيسير ظبيان - دار الاعتصام - القاهرة سنة ١٩٧٨م .
- ٣٨ - اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها - الجزء الثانى - إدوار جيبون نقله إلى العربية لويس إسكندر - دار الكاتب العربى للطباعة والنشر - القاهرة سنة ١٩٦٦م .
- ٣٩ - تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين - فيليب حتى - ترجمة جورج حداد وعبدالعظيم رائق - دار الثقافة - بيروت سنة ١٩٥٨م .
- ٤٠ - تاريخ المسيحية (مصادر الوحي الإنجيلي) المجلد الثانى من سلسلة إنجيلية يوسف درة الحداد - بدون تاريخ ولامكان نشر ولاناشر .
- ٤١ - حياة المسيح - عباس محمود العقاد - دار الهلال - القاهرة .
- ٤٢ - السيرة النبوية - ابن هشام - مصطفى البابى الحلبي - الطبعة الثانية - القاهرة سنة ١٩٥٥م .
- ٤٣ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - أحمد بن على المقرئى - دار صادر بيروت - بدون تاريخ .
- ٤٤ - إتعاظ الخفاء بأخبار الأئمة الخلفاء - أحمد بن على المقرئى - طبع ببيروت سنة ١٩٠٩م ، ثم أعيد طبعه محققاً فى مصر أكثر من مرة .
- ٤٥ - الأقباط فى القرن العشرين - تأليف رمزى تادرس - أربعة أجزاء طبع سنة ١٩١١م .
- ٤٦ - تاريخ الفيوم وبلاده - لأبى عثمان النابلسى الصفدى الشافعى - طبع سنة ١٨٩٨م - القاهرة .
- ٤٧ - تاريخ مصر - للواقدي - طبع فى ليدن سنة ١٨٢٥م .
- ٤٨ - تاريخ الأمة القبطية - يعقوب نخلة روفيلة سنة ١٨٩٨م .
- ٤٩ - تاريخ الكنيسة القبطية - الشماس منسى القمص - سنة ١٩٢٤م .
- ٥٠ - تحفة النظار فى غرائب الأمصار - لابن بطوطة - طبع فى باريس سنة ١٨٩٣م .
- ٥١ - مروج الذهب ومعادن الجوهر - المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦هـ - طبع بباريس سنة ١٨٦١م .
- ٥٢ - نظم الجوهر - سعيد بن البطريق - طبع فى رومية قديماً وحديثاً فى بيروت بدون تاريخ .
- ٥٣ - الكافيء فى تاريخ مصر القديم والحديث - ميخائيل بك شاروبيم .
- ٥٤ - مختصر تاريخ الأمة القبطية فى عصر الوثنية والمسيحية - سليم سليمان طبعة عام ١٩١٤م .
- ٥٥ - قوانين الرسل والمجامع المسكونية والمكائنة - طبع عام ١٨٨٤م .
- ٥٦ - عصر المجامع - القمص كيرلس الأنطوني - طبع عام ١٩٥٢م - من كنيسة الشهيد مار جرجس بالقزاقيق - المكتبة الاستعارية .
- ٥٧ - تاريخ المجامع - ساوريس بن المقفع - أسقف الأشمونيين - بدون تاريخ .
- ٥٨ - توراة الأنبياء والكتابة (تورا نبئيم وكتويم) الأصل العبرانى مصحوباً بترجمة إنجليزية .
- ٥٩ - العهد الجديد (هاربريت هحداشيا) ترجمة عبرانية عن الأصل اليونانى للأناجيل .
- ٦٠ - العهد الجديد فى أصله اليونانى مصحوباً بترجمة إنجليزية بينية حرفية .
- ٦١ - المعجم الحديث لألفاظ توراة الأنبياء والكتابة (هملُون هحداش لتناخ) عبرى / عبرى - دكتور صفى رادى وبروفيسور حايم راين - القدس ١٩٨٩م .
- ٦٢ - المصدر الرئيسى للكتاب (مخطوط بعنوان صمت المسيح) نسخة وحيدة خطية من عند المرحوم الشيخ عبدالعزيز عبدالسلام حجازى وهو جدى لوالدتى متوفى سنة ١٩٨٣م وهو من مواليد ١٨٩١م والمخطوط بتاريخ ١٩٠١م وهو تأريخ جديد وليس تاريخ كتابة المخطوط .
- ٦٣ - إلى غير ذلك مما أشرنا إليه فى حواشى الكتاب ولم نذكره هنا .

## الفهرست

٣	١ - إهداء
٥	٢ - تمهيد
٧	٣ - مقدمة
٢٠	٤ - مدخل لغوى لابد منه
٣٣	٥ - الفصل الأول - الأناجيل
٤٦	٦ - ماهو الإنجيل
٤٨	٧ - الحواريون وكتابة الأناجيل
٥٠	٨ - أسباب تأخير الأناجيل
٥٣	٩ - إنجيل مرقس
٥٥	١٠ - إنجيل متى
٥٦	١١ - إنجيل لوقا
٥٨	١٢ - إنجيل يوحنا
٦٣	١٣ - مريم والمسيح
٦٧	١٤ - المسيح المبارك
٧٣	١٥ - الفترة المجهولة
٧٤	١٦ - معنى كلمة أسينون
٧٥	١٧ - عقائدهم وتعاليمهم
٧٥	١٨ - نظامهم وأسلوب معيشتهم
٧٨	١٩ - طريقة الانضمام إليهم
٧٩	٢٠ - الأسينون ويوحنا المعمدان والمسيح
٨٢	٢١ - يحيى والمسيح
٨٨	٢٢ - الرسول والرسالة
٩٦	٢٣ - البشارة

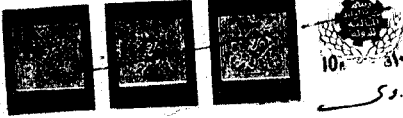
- ٢٤ - المسيح ابن الله ..... ١٠٦
- ٢٥ - البت في مسألة الصلب ..... ١١٤
- ٢٦ - البت في مسألة الوفاة والرفع ..... ١٢٧
- ٢٧ - الفصل الثاني ..... ١٤١
- ٢٨ - المجامع وأثرها في تحديد شخصية المسيح ..... ١٤٣
- ٢٩ - المجامع المسكونية ..... ١٤٥
- ٣٠ - مجمع نيقية ..... ١٤٥
- ٣١ - بدعة آريوس ..... ١٤٨
- ٣٢ - من هو آريوس ..... ١٤٩
- ٣٣ - جلسات المجمع وقراراته ..... ١٥٣
- ٣٤ - أول من حمل الصليب ..... ١٥٤
- ٣٥ - انتهاء المجمع ..... ١٦٢
- ٣٦ - نظرة في قرارات المجمع ..... ١٦٣
- ٣٧ - مجمع صور يرفض قرار مجمع نيقية ..... ١٦٦
- ٣٨ - المجمع الثاني - مجمع القسطنطينية ..... ١٦٨
- ٣٩ - المجمع الثالث - مجمع أفسس ..... ١٧١
- ٤٠ - المسيحية والتوحيد ..... ١٧٦
- ٤١ - فرقة آريوس والتوحيد ..... ١٧٧
- ٤٢ - استبداد الكنيسة بفهم الكتب المقدسة ..... ١٧٩
- ٤٣ - مسألة الاستحالة ..... ١٧٩
- ٤٤ - مسألة الغفران ..... ١٨١
- ٤٥ - صورة من صك الغفران ..... ١٨٢
- ٤٦ - فرق النصارى وأعيادهم وعباداتهم ..... ١٨٣
- ٤٧ - المجيء الثاني للمسيح ..... ١٩١
- ٤٨ - خاتمة ..... ٢٠١
- ٤٩ - المراجع ..... ٢٠٢



نموذج رقم « ١٧ »

AL - AZHAR AL - SHARIF  
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY  
GENERAL DEPARTMENT  
For Research, Writting & Translation

الأزهر الشريف  
مجمع البحوث الإسلامية  
الإدارة العامة  
للبحوث والتأليف والترجمة



السيد / نا. ص. رمضان. منشاري

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - وبعد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : الجوائف الخفية بمراجعة الشيخ  
..... تأليفكم .....

نفيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية ولا مانع  
من طبعه ونشره على نفقتكم الخاصة .

مع التأكيد على ضرورة العناية التامة بكلية الآيات القرآنية والأحاديث  
النبوية الشريفة والالتزام بتسليمه خمس نسخ لمكتبة الأزهر الشريف بعد الطبع .

والله الموفق ،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

حرفه

مدير عام  
الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة



تحريراً في ٤٤ جمادى الآخرة ١٤٤٢ هـ  
الموافق ٢٠٢٠ / ٩ / ٢

## هذا الكتاب

مخطوط قديم .. يكشف جوانب خفية من حياة المسيح لم يذكرها التاريخ الإسلامى ولا التاريخ المسيحى من قبل ، ويعرض هذا الكتاب كل هذه الجوانب بطريقة شيقة تدعو للقراءة ، وقد صرّح الأزهر الشريف بنشر هذا الكتاب بعد أن تم فحصه ومراجعته جيداً .

فتعالى معى نكتشف أين كان المسيح منذ أن بلغ الثانية عشر وحتى بداية الدعوة ، وطريقة القبض عليه ليلة العشاء الأخير ، وكيفية خلاصه ، وكيفية الصلب والقتل والرفع .

فتعالى معى لتكون لحظة بلحظة مع المسيح .

ناصر المنشاوى